

مجلة

# المؤرخ العربي



رئيس التحرير  
الدكتور حسين أمين  
الأمين العام  
للاتحاد المؤرخين العرب

١٩٧٧

٤

العدد



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢١٢ لسنة ١٩٧٧

١٠٠٠/١

## المحتويات

موضوع البحث	اسم الكاتب	البلد	الصفحة
١ - المقدمة	الدكتور حسين امين	العراق	٥
٢ - نشأة الحركة التعليمية في العراق واثرها في نهضة الآداب والعلوم .	الدكتور حسين امين	العراق	٧
٣ - التنافس بين بريطانيا وفرنسا في البحر المتوسط .	الدكتور محمد محمود السروجي	مصر	٢١
٤ - الرازي في مراسلات البيروني وابن سينا	الدكتور صالح الحمارة	الاردن	٤٣
٥ - الاصول التاريخية للملاحم القحطانية .	ميخائيل بتروفسكي	لينيغراد	٥٧
٦ - روابط الايمان بين مصر وأفريقيا .	الدكتور عبد المنعم ماجد	مصر	٦٦
٧ - الوجه النصراني للحضارة العربية .	الدكتور الاب رشيد حداد	لبنان	٧٥
٨ - سينا : كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطى .	الدكتور جوزيف نسيم ( منتدب من مصر )	العراق	٩٨

موضوع البحث      اسم الكاتب      البلد الصفحة

٩ - اضاء على مؤلفات القاضي اسماعيل بن علي بن الحسن الخزرجي  
علي بن الحسن الخزرجي      علي الاكوع      اليمن ١٢٣  
المؤرخ اليمني

١٠ - تلمذة الطهطاوي الدكتور محمود اسماعيل      مصر ١٣٠  
فكره الاجتماعي  
والسياسي

١١ - دور ابن زيدون الدكتور محمد حسين      العراق ١٤٥  
السياسي والدبلوماسي الزبيدي  
في الاندلس

١٢ - كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الدكتور شاكر محمود      العراق ١٦٩  
عبد المنعم

١٣ - تعقيب على بحث الاستاذ محمد عبد الحميد      مدريد ٢١٠  
اسبانيا  
(الجامع عنصر وظيفي) عيسى

١٤ - نشاطات اتحاد الاستاذ بهجت كيظان بشير      العراق ٢١٧  
المؤرخين العرب  
(سكرتير الاتحاد)

15 - Barbarian Influence On Rome Before The Great  
Invasions .

Ramsay Macmullen  
U. S. A.

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة :

بكل اعتزاز نقدم للقارئ العربي مجلته « المؤرخ العربي » والتي صار لها صدى كبيرا في الاوساط الاكاديمية بفعل الخطة التي انتهجتها في مسيرتها الموضوعية وعنايتها الكبيرة في اتباع الطريقة العلمية أساساً للبحث ونهجاً في الكتابة التاريخية .

والامانة تعتذر للقراء الكرام عن تأخر هذا العدد وذلك بسبب احتجاز العدد الثالث في بيروت بسبب الحوادث المؤسفة والذي لا نعلم عنه أى شيء برغم كل المحاولات والجهود المبذولة لاجراجه الى حيز الوجود ، لذا فنحن بادرننا الى تهئية هذا المجلد الجديد من مجلتكم ليعوض عن ذلك العدد الذي نرجو ان نفلح في تقديمه اليكم في القريب العاجل باذن الله .

ان الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، تتقدم بخالص شكرها وعظيم تقديرها الى كل الذين اسهموا في تحرير هذا العدد كما تتقدم الى جميع الحكومات العربية التي ساهمت في دعم الاتحاد واسناده ليكون عاملا مهما من عوامل البناء والتطور في المجالين القومي والعلمي .

ونسأله تعالى ان يوفقنا لما فيه خير العروبة وأزدهار تاريخها المجيد .

الدكتور حسين امين

الامين العام لاتحاد المؤرخين

العرب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

# نشأة الحركة التعليمية في العراق واثرها

## في نهضة الآداب والعلوم

الدكتور حسين امين  
الامين العام  
لاتحاد المؤرخين العرب

العراق مهد الحضارة الانسانية في تاريخه البعيد ، وقامت في ربوعه اقدم المنشآت الحضارية ، وحفل تاريخه بأروع الصفحات ، وساهم مساهمة كبيرة في بناء المدينة التي نعيشها اليوم ، والاثار الخالدة التي خلفها الانسان العراقي القديم تنطق بما وصلت اليه الحضارة العريقة من الرقي والتقدم ، فالسومريون والاكديون والبابليون والأشوريون عناوين ضخمة ومواضيع مهمة في سجل الحضارة الانسانية .

وكان للعراق نصيب وافر وكبير في تاريخ الامة العربية الاسلامية ، فقد كان نقطة انطلاق العرب الفاتحين الى المشرق ، كما اصبحت الكوفة عاصمة الخليفة الامام علي بن ابي طالب الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين ، وكان للعراق اثر كبير في نقل تراث العروبة الى المشرق الاسلامي ، كما كانت للبيصرة والكوفة التأثيرات الحضارية الكبيرة خاصة في الدراسات اللغوية وقد ظهرت تلك الدراسات لاول مرة في كتبا المدينتين العظيمتين الخالدتين ، وما القواعد التي تعلمناها ودرسناها في مدارسنا وكتباتنا الا قبس من جهود اثار اجدادنا الكوفيين والبصريين ، كما كان العراق مركزا من مراكز المعارضة السياسية الشديدة ، وفي ربوعه ظهرت الفرق والجماعات السياسية والمذهبية ، فالشيعة والخوارج والمعتزلة والقرامطة والزنج واخوان الصفا وغيرها من الفرق ، انطلق عناؤها في عراقنا الخالد وكان لتلك الفرق ومبادئها النتائج الخطيرة في تاريخنا السياسي والاجتماعي .



والعراق اصيل في عراقة الحضارية ، وقد أثبتت اثاره الشاخصة  
والتي ظهرت نتيجة التنقيبات الاثرية ان العراقيين لعبوا دورا مهما وخطيرا  
في نشر التعليم وازدهار العلوم ، وان العراقيين القدماء منذ فجر السلاطات  
شيدوا المدارس ، وقد دلت التنقيبات على اثبات ذلك في مدينتى نفوسبار  
وغيرهما من المدن العراقية القديمة عدا المدارس الخاصة بالمعابد ، وكان الطلبة  
يتعلمون الخط اى الكتابة المسمارية ، وكان على الطالب العراقى القديم ان  
يتعلم اللغتين البابلية السامية وشؤون القانون ، وكان الطلاب يتعلمون تلك  
المعارف بأختصاصات معينة في معاهد خاصة ومؤسسات للبحث العالمى  
كانت تعرف بالبابلية ( بيت - مومى ) مما يقابل معنى الاكاديمية ، كما  
كانت هناك بيوت الكتب اى المكتبات الكثيرة والتي أمدتنا بمعلومات قيمة  
عن اتجاهات العلم والتعليم في العراق القديم (١) فقد احاطتنا تلك المكتبات  
بما توصل اليه العراقيون القدماء من المعرفة الكبيرة للطب والفلك والعلوم  
الرياضية كافة والتاريخ والجغرافية والادب والفنون ، وقد نجحوا في  
تشيد حضارة مزدهرة معروفة وشهيرة في تاريخ الانسانية .

وفي القرن السادس الميلادى ظهرت المبادئ الاسلامية التى دعا  
اليها الرسول محمد (ص) ومنذ انبثاق الدعوة الاسلامية كان التعليم قرينا  
لها وكانت اولى الايات القرآنية تشير الى العلم وبعض ادواته ، قال تعالى :  
« اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم  
الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » ومن الجدير بالذكر ان القرآن  
الكريم فيه ايات عديدة تدعو المسلمين الى طلب العلم وتحثهم على التعليم،  
قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات (٢) »  
كما كانت تلك الايات القرآنية الكريمة ترفع من قدر العلم وتعالى شأن

---

(١) راجع كتاب الاستاذ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة .

(٢) القرآن الكريم : سورة المجادلة : آية ١١ .



العلماء وتمجد العقل والمعرفة وتخفف من الجهل واهله وكثيرا ما تفرقه بالعلم وتنبهه بالضلالة والظلمات الحالكه ، كما اعتبر القرآن الكريم ، التعليم من وظائف النبي (ص) ، قال تعالى : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم (٣) »

وما من شك ان التعليم من مستلزمات تطور وازدهار المجتمع الانساني وهو في ابط مظاهره ليس سوى تكييف الفرد مع ضروريات الحياة ولوازمها في بيئته ، وادا كان الاسلام هو النظام الموجه للحياة عند المسلمين بكل مظاهره فقد كان فهمه ودراسته امرا لا بد منه لافراد الجماعة الاسلامية ، فالتعليم اذن كان من مستلزمات الدعوة الجديدة لتحقيق التربية الصحيحة التي تهدف اليها الدعوة الاسلامية ، ومن الواضح ان الرسول (ص) كان يستهدف بناء امه جديدة وانشاء حكومة تضاهي الحكومات القائمة في عصره فلا بد من وجود طبقة متعلمة متتورة تحمّل عبء الدعوة ولها قوة الحجة والمقدرة على الاقناع بالطرق العلمية ، وتذكر المراجع التاريخية انه لم يكن بين العرب عدد كبير من الذين يتقنون القراءة والكتابة ، ويذكر القلقشندي : ان عدد الكاتبين من بين العرب عند بعث النبي (ص) لم يكن يزيد على بضعة عشر نفرا (٤) ، ولهذا كان من اهداف النبي (ص) العمل على نشر التعليم بين المسلمين وتشجيعهم على ارتياده .

وواكب المسجد الدعوة الاسلامية ولازمها ، كما كانت المعاهد الاولى للتعليم في صدر الاسلام ، كما اصبح المسجد المكان الطبيعي والملائم لتلقى العلوم ، روى عن مكحول انه قال : حدثني عشرة من اصحاب رسول الله (ص) قالوا : كنا ندرس في مسجد قباء ، اذ خرج علينا رسول

(٣) القرآن الكريم : سورة البقرة : آية ١٢٩ .

(٤) القلقشندي : صبح الاعش ج ٣ ص ١٥ .

الله (ص) فقال: تعلموا ما شئتم ان تعلموا فليس يأجركم الله حتى تعلموا (٥) .  
وفي حديث آخر للرسول (ص) : انه مر بمجلسين في مسجده فقال : كلاهما  
خير واحدهما افضل من صاحبه ، فأما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه  
فإن شاء اعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ، ويعلمون  
الجاهل منهم افضل ، وإنما بعث معلما ، قال : ثم جلس فيهم (٦) .  
وانتشرت المساجد في جميع انحاء العالم الاسلامي وقامت  
بدورها ورسالتها الدينية والتهديبية والتعليمية ، وبرز في العراق مسجد  
البصرة ومسجد الكوفة ثم جامع المنصور في بغداد وغيرها من المساجد  
التي شيدها المسلمون في مختلف العصور الاسلامية .

ولاشك فإن المسجد في صدر الاسلام كان هو المنتدى الوحيد  
في اى مدينة اسلامية فيه يلتقى العرب المسلمون الفاتحون بغيرهم من  
ابناء الشعوب المختلفة وهذا الالتقاء ادى الى ان يتعرف الفرس مثلا في  
العراق على الافكار الدينية الجديدة ويتلقفها باللغة العربية الفصحى كما  
يتعرف على تراثهم الفكرى وبخاصة التراث الادبى ، ونتيجة الاختلاط بين  
العرب والشعوب الاخرى بعد الفتوحات الاسلامية ، برزت مشاكل  
حضارية مختلفة اجتماعية واقتصادية وثقافية ، فتعرضت اللغة العربية  
السليمة للوثة العجمة ، كما ظهر بين العرب من لا يحسن العربية ، كما  
تعرضت عقيدة البعض منهم لشيء من الشك ، فظهرت بعض الافكار  
والمبادئ تحمل لونا جديدا من التعليل والتسييب ، فأدى هذا الى ظهور  
الدراسات اللغوية كالنحو مثلا ، وتشير الاخبار التاريخية ان الامام على  
ابن ابي طالب (ع) هو واضع علم النحو وان ابا الاسود الدؤلى اخذ ذلك  
العلم من الامام على (ع) ، ونحن نرجح ان الامام على (ع) املى ذلك العلم

(٥) الغزالي : قائمة العلوم ص ١٩ .

(٦) الكتاني الادريسي : التراتيب الادارية ج ٢ ص ١٩ .

على ابي الاسود في مسجد الكوفة ايام اقامته في تلك المدينة العريقة  
وفي مسجد البصرة برزت فكرة المعتزلة اثر الجدل الحاصل بين الشيخ حسن  
البصري وبعض من كان ملازما لحلقته امثال واصل بن عطاء وعمر بن عبيد  
وانصارهما واللذين كونوا حلقة جديدة في مسجد البصرة كانت تنادي  
بأفكار وارااء يعافها الحسن البصري وانصاره ، ولاشك ان حركة المعتزلة  
الفكرية ، احدثت اثرا كبيرا في التفكير الاسلامي بخاصة وفي الفكر الانساني  
بعمامة لما اتت به من افكار وارااء تستند الى العقل وتفسر الحوادث والظواهر  
والافعال الانسانية بالروح العلمية وبالاسلوب المنطقي المعتمد على قوة  
النسجة والاقناع ، وكان ذلك عاملا مهما في نشر الافكار الحرة وعملت على  
ازدهار الحركة العلمية في مطلع النصف الاول من القرن الثالث الهجري .

وفي مسجد البصرة كان الشعراء والادباء يجتمعون ، وذكر  
الجاحظ انه ادرك بالبصرة رواية المسجدين المبردين ، واتخذ الخليل  
ابن احمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٤ هـ المسجد مقرا له ، ويعتبر الخليل اول  
من رسم علم اللغة واول من صنف فيه ، ويذكر ابن خلكان سبب موته ،  
انه دخل المسجد فصدته سارية وكان يقطع بحرا من العروض (٧) .  
كما يعتبر الخليل اول من وضع علم العروض وفن المعاجم في العربية ، وقد  
عاش معظم حياته في البصرة متزهدا متعففا ومن اشهر طلابه سيبويه المتوفى  
سنة ١٨٠ هـ والذي يعتبر امام البصريين في النحو .

واشتهر مسجد الكوفة بأنه كان مدرسة لاقرأ القرآن ففي  
هذا المسجد كان شيوخ الاقراء يجلسون فيلقنون طلاب العلم القراءات  
التي رووها بأسانيدهم . ومن اشهر قراء الكوفة عبدالله بن حبيب بن  
ربيعه الضرير ، وكان اول من جلس لاقرأ القرآن الكريم في مسجد الكوفة ،

(٧) ابن خلكان : وفیات الاعيان ج ٢ ص ١٩ .

ولد في حياة النبي ولأبيه صحبة واليه انتهت القراءة تجويداً وضبطاً (٨) ،  
( اخذ القراءة عن علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود  
( رضي الله عنهم ) ، وبرز في مسجد الكوفة ايضاً قارئ كبير هو حمزة بن حبيب  
ابن عمارة الكوفي التميمي احد قراء القرآن الكريم السبعة ، واليه صارت  
الامامة في القراءة بعد عاصم والاعمش وكان اماماً حجة ثقة ثباتاً ، وتوفي  
حمزة بن حبيب سنة ١٥٦ هـ (٩) .

كما كان مسجد الكوفة مركزاً من مراكز دراسة الفقه وازدهاره ،  
ففي هذا المسجد ظهرت بوادر مبادئ الفقه المبني على التجرد واستنباط  
مفهومه من الكتاب والسنة ، كما ظهرت في مسجد الكوفة ايضاً مدرسة  
لتفسير القرآن الكريم واشتهر من رجالها سعيد بن جبير المقتول سنة  
٩٤ هـ ، وكان سعيد بن جبير عالماً بالتفسير ، وعلي بن حمزة الكسائي  
الذي انتهت اليه رئاسة الاقراء بعد حمزة بن حبيب وكان يجمع طلابه  
ويجلس على كرسي ثم يتلو عليهم القرآن الكريم ويسمعون ويضبطون  
عنه (١٠) ، ويحيى بن زيد الفراء الذي عني بدراسة القرآن وتفسيره ،  
ويعتبر الفراء من نحاة الكوفة وشيوخها في العربية ، قال ثعلب : لولا الفراء  
لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لانها  
كانت تتنازع (١١) . وذلك لان العربية نارت باللغات الاخرى وبذلك كادت  
ان تفقد خصائصها الاصيله ، لذا ابدى امثال الفراء الى وضع قواعد الضبط  
في اللغة للحفاظ على تلك الخصائص كما نجحوا نجاحاً بعيداً في جعل اللغة  
العربية سهلة المثال لمن يريد تعلمها وضبطها ، ومطاوعة لارادة الكتاب

---

(٨) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٤١٣ .

(٩) المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٣ .

(١٠) المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٣ .

(١١) الانباري : نزعة الادباء : تحقيق الدكتور السامرائي ص ٦٥ .

للتعبير عن آرائهم وأفكارهم ، اعنى بهذا انهم نجحوا فى جعل اللغة العربية متطورة وقادرة على مواكبة التطور الحضارى والمعيشة بين لغات الانسانية عامة .

وهكذا اصبحت المساجد الاسلامية في العراق معاهد مهمة تشد اليها الرحال للدرس والتدريس ، وكان التدريس في جامع المنصور مثلاً من المراكز المهمة فقد ذكر ياقوت : ان الكسائي كان يجلس في جامع المنصور ليقراً اللغة وتتلذذ عليه الفراء وابن السعدان(١٢) ، كما كان يطمح العلماء في ان ينالوا منصبا تدريسيا فيه لمكاته العلمية ، ذكر الخطيب البغدادي : انه لما حج شرب من ماء زمزم وسأل ان يحقق له ثلاث حاجات احداها ان يحقق له املاء الحديث بجامع المنصور(١٣) وفي المساجد العراقية صنف الكثير من الكتب في مختلف مواضيع الادب والعلم ، ومن يتصفح الكتب المخطوطة المنتشرة فى انحاء العالم يجد اشارات واضحة بأن قسماً كبيراً منها صنف في المساجد العراقية ، وكتب تاريخ التراجم تزر بأخبار العلماء والفقهاء والادباء الذين اتخذوا من المساجد العراقية امكناً فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيها يقيمون ويعيشون ، وفيها يدرسون ويتدارسون ويؤلفون ويصنفون ويخلدون اثارهم العلمية والادبية ، ومن اجل ان يحقق المسجد مطامع مريديه وتيسير عملهم العلمى فقد التحقت في كل مسجد مكتبة عامرة تضم عدداً وفيراً من الكتب فى مختلف العلوم والفنون ، وقد تسابق الناس الى تزويد تلك المساجد بالكتب وان بعض المسلمين كان يوقف كتبه على المساجد ، طلباً للاجر او الحفاظ عليها من ان تبدها الايدي ، وهكذا صارت بعض المساجد اشبه بالاكاديميات

(١٢) ياقوت : معجم الادباء ج ٤ ص ٢٤٣ .

(١٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ج ١ ص ١٨ .



الثقافية ، وكان لهذا الاثر الكبير في نجاح الدرس والتدريس والبحث والتصنيف .

والى جانب المسجد كمعهد للتعليم كانت توجد اماكن اخرى لتعليم الاطفال ، وهى الكتاتيب ومفردتها (كتاب) وفي الكتاب يتعلم الطفل القراءة والكتابة ومبادئ الدين الاسلامى وبعض المعلومات من الحساب والنحو وشيئا من اشعار العرب ، وتوجه العناية في الكتاب بشكل خاص الى تحفيظ الصبيان القرآن الكريم .

وكانت تعقد في قصور الخلفاء والامراء حلقات العلم وفيها يتناظر العلماء في اللغة والادب والشعر والفقه والحكمة والمنطق وعلم الكلام ، وكانت عناية خلفاء العباسيين واضحة واشهر من عقدت حلقات المناظرة فى قصره من خلفائهم هارون الرشيد الذى كان قصره كعبة العلماء والادباء وكان يحضر مجلسه ابو نواس وابو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الاحنف وابراهيم الموصلى والاصمعي والكسائي والوافدى وغيرهم (١٤) ، فقد كان نفسه اديبا عالما ، قرب العلماء وشجعهم على البحث والمناظرة وقد اعتنق المأمون مذهب المعتزلة الذين اعتمدوا على الجدل وقوة الحجة ، ولما ضعفت الخلافة العباسية في بغداد وانفصلت الاطراف وقامت بها دول مستقلة تتنافس سلاطين هذه الدول وامراؤها في اجتذاب اشهر العلماء والادباء الى مراكز حكمهم وقصورهم ، واصبحت القصور في العواصم المختلفة مراكز ثقافية خضبة (١٥) .

وظهرت في العراق دور العلم ، وهى كما نرى انها دور خاصة بالدرس والبحث ، ولعل من اشهرها بيت الحكمة ببغداد ودار العلم في الموصل

---

(١٤) Nicholson : A Literary History of the Arabs p. 261.

(١٥) Khuda Bukhsh : Contribution to the history of Islamic Civilization. p. 184.



وبيت الحكمة اشبه ما تكون باكاديمية مختصة بالدرس والبحث وترجمة نادر الكتب العلمية والادبية ، كما كانت تعقد فيها مجالس العلم للمناظرة من اجل التوصل الى حقائق العلم ، ومن مشاهير من اشتغل في بيت الحكمة ابو سهل الفضل بن نوبخت وكان قد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية (١٦) ، كذلك كان ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي ملازما خزانة بيت الحكمة ، وقد اشتهر الخوارزمي بالعلوم الرياضية ، وصاحب الزيج المشهور بالسند هند وكتاب العمل بالاسطرلاب ، كما اشتهر بنو موسى بن شاكر وهم اخوة ثلاثة : محمد واحمد والحسن ، وكان هؤلاء من رواد بيت الحكمة في العلوم الرياضية والفلك والفلسفة ، وقد اشتهر احمد بن موسى بن شاكر بكتابه الحيل واشتهر محمد بن موسى بكتابه (الجزء) كما اشتهر الحسن بن موسى بكتابة (الشكل المدور المستطيل) (١٧) .

وهناك اشارات في كتب التاريخ توضح ان عددا كبيرا من الادباء والعلماء من قى شتى الاختصاصات اجتمعوا في بيت الحكمة ببغداد ، وكانت تواجتهم كثرة وعالية ساعدة على تطوير عملية البحث العلمى وتنشيطها ، ومن ثم ازدهار الاداب والعلوم ، ومما يجدر الاشارة اليه ان بيت الحكمة ببغداد كان يضم العلماء المسلمين والمسيحيين والمجوس ، وحتى من الشعوبيين المغالين في بغض العرب ، فكان علان الشعوبى واصله من بلاد فارس وهو ضليع بمعرفة الانساب ، وكان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة ، وصنف كتاب الميدان في المثالب الذى هتك فيه العرب وظهر مثالبها ، ابتداء بيني هاشم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب الى

(١٦) ابن النديم : الفهرست ٣٩٦ .

(١٧) الفهرست ، ص ٣٩٣ .

آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبي (١٨) ، وهذا ان دل انما يدل على انسانية العلم والتعليم في بغداد حاضرة الخلافة العباسية ومركز الاشعاع الفكري الانساني في القرون الوسطى .

وفي الموصل شيد ابو القاسم جعفر بن حمدان دار علم كان لها شأن كبير في نشر العلم وازدهاره ، وابو القاسم من فقهاء الشافعية اشتهر في الاصول والحكمة والهندسة وقول الشعر ، وكان مجلسه في الموصل عامرا بالادباء والشعراء والعلماء ، وداره التي انشأها كان ملتقى الادباء والعلماء الذين يتباحثون ويتناظرون في شؤون العلم والادب ، وكان جعفر ابن حمدان صديقا للمبرد وثلعب (١٩) .

واسس ابو نصر سابور بن اردشير وزير بهاء الدولة البويهى ، دار علم في الجانب الغربى من بغداد ، وذكر ابن الاثير انها شيدت سنة ٣٨٣ هـ ووقف فيها كتب كثيرة على المسلمين المنتفعين بها (٢٠) ، وكانت هذه الدار مركز بحث ودراسة ينفذ اليها الادباء والعلماء والفلاسفة والحكماء ، ومن اشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف العربى ابو العلاء المعرى ، ولا يى العلاء قصيدة مشهورة من بحر الطويل ، اشار فيها الى دار العلم تلك قوله :  
وغنت لنا في دار سابور قينة من  
الورق مطراب الاصائل مهياب

وكان سابور من اكابر الوزراء وامائل الرؤساء جمعت فيه الكتابة والدراسة ، وكان بابه محط الشعراء ومجلسه ملتقى الادباء والعلماء . وكانت لشيخ الامامية الكبير محمد بن محمد بن النعمان المعروف بأبن المعلم والمشهور بالشيخ المفيد ، دار بدرب رياح يحضرها اهل العلم

(١٨) ياقوت : معجم الادباء ج ٥ ص ٦٦ .

(١٩) المرجع السابق : ج ٧ ، ص ١٤١ .

(٢٠) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٦٢ .

والمعرفة يتناظرون في علوم الفقه والكلام والجدل ، ومن اشهر تلامذته الشريف المرتضى والشريف الرضى ، وبعد وفاة الشيخ المفيد سنة ٤١٣ أصبحت دار الشريف المرتضى موئل الادباء والعلماء وكان الشريف المرتضى يدرس في علوم كثيرة ويجرى على تلامذته رزقا فكان للشيخ ابي جعفر الطوسي ايام قراءته عليه كل شهر اثني عشر دينارا وللقاضى ابن البراح كل شهر ثمانية دنانير وهكذا . . . وتوفي الشريف المرتضى لخمس بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين واربعمائة للهجرة ، فانتقل مجلس العلم الى دار ابي جعفر الطوسي ، وكانت داره بالكرخ مقصد الادباء والعلماء ، وكان الشيخ يناقش المواضيع العلمية ويناظر في الامور الكلامية ويوضح مبادئ الدين ، وقد امتاز بالنبوغ والذكاء وقوة الحجة وزاد عدد تلامذته على الثلاثمائة في الشيعة والسنة ، ولشهرته ومكانته الرفيعة جعل له الخليفة العباسي القائم بأمر الله كرسى الكلام والافادة تقديرا لعلميته واعترافا بسمو مكانته .

( ( ١٤ ) )

هكذا كانت المظاهر الثقافية بارزة في العراق بعامة وبغداد بخاصة وتجلت بوضوح النواحي العلمية التي برزتها وهذبته وصقلتها حلقات المساجد ومجالس العلم وانتشرت الكتب العديدة في شتى مواضيع العلم والمعرفة ، وكان سوق الوراقين ببغداد من مراكز نشر الثقافة وملتقى العديد من الادباء والعلماء .

وفي سنة ٤٥٧ هـ شرع نظام الملك الوزير السلجوقي ببناء المدرسة المعروفة بالنظامية وتكامل بناؤها في العاشر من ذي القعدة سنة ٤٥٩ هـ ، وتعتبر المدرسة النظامية اول مدرسة بوشري بناها ببغداد ، وقد اسست لتدريس الفقه الشافعي ، وشرط الواقف ، ان يكون المدرس بها والواعظ ومتولى

(٢٢) ياقوت : معجم الادباء ج ٥ ص ٤١٥ .

(٢٣) الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١٢ .

الكتب من الشافعية اصلا وفرعا (٢٢) ، وانتشرت المساجد في بغداد مثل مدرسة مشهد ابن حنيفة والمدرسة التاجية والبشيرية والتتشية وغيرها من المدارس والتي كانت في معظمها تختص بتدريس مذهب واحد .

وفي سنة ٦٣٠ تكامل بناء المدرسة المستنصرية التي امر بإنشائها الخليفة المستنصر العباسي ، ولهذه المدرسة اهمية خاصة ، اذ المعروف ان المدارس السابقة للمستنصرية كانت تشيد كل واحدة منها لدراسة مذهب واحد بعينه ولكن هذه المدرسة هي اول مدرسة عرفها العالم الاسلامي كله بنيت لتدريس المذاهب الاربعة ، وقد عاصرت هذه المدرسة المدارس الاخرى التي انشئت في بغداد والبصرة والموصل وواسط .

كانت المدارس العراقية امكنة صالحة للعلم والتعليم وقد عنيت تلك المدارس في تدريس العلوم والاداب وتربية المواطنين تربية صالحة واعدادهم الاعداد الذي يليق والمجتمع الاسلامي . وقد عنيت المدارس العراقية بالاختصاص فقد كان لكل موضوع مدرسه المختص وكان هذا واضحا كل الوضوح في المدرسة النظامية والمستنصرية ، فعندما توفي ابو زكريا التبريزي استاذ الادب في النظامية ، اصبح على بن محمد الفصيحى صاحب ذلك الكرسي (٢٣) لاشتهاره بالادب ، هذا ونصت شروط المدرسة المستنصرية ان يكون لكل طائفة من المذاهب الاربعة مدرس واربعة معيدين ، وان يكون بالمدرسة طبيب حاذق يشغل عشرة انفس يعلمهم الطب (٢٤) .

وكان مجال المناقشة مفتوحا امام الطلاب ، وكانت للمناقشة بين الاستاذ وطلابه اداب خاصة ، تكفل للاستاذ وقاره وهيبته ومكاتبه كما تحقق للطلاب طريق الفهم والتعليم ، ذلك ان طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم واهله وتعظيم الاستاذ وتوقيره (٢٥) . وكان الاستاذ هو الذي يضع برنامج التدريس وهو الذي يختار المادة

---

(٢٤) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم ص ١٨ .

العلمية التي يلقيها على طلابه ، وكانت الدراسة حرة اى ان الطالب هو الذى يختار الاساتذة الذين يرغب فى مصاحبتهم وحضور دروسهم •  
واتبعت المدارس العراقية فى سلم درجات التدريس مرتبة المعيد ، ووظيفته ان يساعد المدرس او الشيخ ويوضح مايصعب على الطلبة من امور فى مادة الدرس •

ان المدارس العراقية قامت بأداء رسالتها التعليمية ، وقدمت خدمات جليلة فى نهضة العلوم الدينية ، التفسير والحديث والفقه والفرائض ، والعلوم الادبية كاللغة والنحو والصرف والعروض والاداب ، والعلوم الرياضية والعلوم العقلية كالمنطق وعلم الكلام والاصول والعلوم الطبيعية كالطب والصيدلة وعلم الحيوان ، واصبحت لتلك المدارس شخصية بارزة فى عالم الثقافة وفى تربية النشء واعدادهم لحياة افضل •

كما ان تلك المدارس كانت مركزا للتطور الفكرى فظهرت المؤلفات والتصانيف فى شتى مواضيع الفكر والمعرفة ، مما ادى الى تطوير الاداب والعلوم وازدهارها ، وكانت تلك المدارس بحق مصادر الاشعاع الفكرى ومنبع الثقافة الانسانية فى العصور الوسطى الاسلامية ، حيث انتشر طلابها ومدرسوها فى انحاء العالم شرقا وغربا ونقلوا تراث بغداد والمدن العراقية الاخرى كما اصبحت تأليف اساتذة المدارس العراقية المعين الذى يغترف منه المتعلمون فى جميع انحاء العالم ، كما اصبحت مدارس العراق مثالا يحتذى فى نظام البناء وطريقة التدريس صورة الجهاز العلمى • كما كانت مكتبات تلك المدارس مراكز لالتقاء العلماء والادباء وامكنة للبحث والتأليف ، كل ذلك بلاشك ساعد على تطوير العلوم والاداب وعمل على ازدهارها خدمة للعلم والثقافة الانسانية •

وهكذا سارت جنبا الى جنب المساجد والكتاتيب ومجالس العلم الخاصة ودور العلم والمدارس التى انشأها الخلفاء والامراء والخاصة ، وصارت

الكتاتيب مثلاً تمت المدارس بالطلبة كما اخذ طلبة النظامية او المستنصرية ارتياد مجالس العلم والمساجد للمشاركة في البحث والمناقشة التي تدور في تلك الامكنة ، ونلاحظ ان المدارس لم تقتصر مواضيعها على العلوم الدينية الصرفة بل صارت العلوم العقلية والطبيعية والرياضية تدرس فيها ، كما شمل المدارس نظام يحدد مواعيد الدروس وحياة الطلبة في المدرسة وتوحيد لباسهم ومنحهم الرواتب العينية والنقدية ، وهذا بلاشك عمل على ربط الطلبة وتوثيق صلاتهم بالمدرسة الاسلامية .

واصبحت المدارس الاسلامية والشهيرة منها بخاصة كالنظامية والمستنصرية امكنة يفد اليها الطلبة من انحاء العالم الاسلامي وهذا بلاشك ادى الى نشر التقاليد والانظمة والثقافة السائدة في المدارس العراقية بعامة والبغدادية بخاصة في بلدان العالم الاسلامي ، كما صارت تلك المدارس تمتد جميع المدن الاسلامية بطبقة مثقفة بثقافة متطورة كانت عاملاً مهماً في تطوير الحياة الثقافية وازدهارها ، فتجددت الافكار وتنوعت الاراء في طريقة البحث والتأليف كما تنوعت المواضيع واصبح الناس يعرفون من مكنتات المساجد والمدارس ودور العلم ما يرغبون من مواضيع ادبية وعلمية .

ان نكبة بغداد في هجوم المغول عليها وانتشار الفوضى في الاقطار الاسلامية ادى الى ضياع الكثير من التراث العلمي الاسلامي كما ادى الى تقلص المدارس العلمية وكان هذا من مظاهر ركود حركة التطور الثقافي بعد عام ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م أي بعد سقوط مدينة بغداد وتحكم المغول في العراق .



# التنافس بين بريطانيا وفرنسا في البحر المتوسط

بعد شق قناة السويس

د • محمد محمود السروجي

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر  
بكلية الاداب - جامعة الاسكندرية

أثارت حملة نابليون بونابرت على مصر في أواخر القرن الثامن عشر ،  
واوائل القرن التاسع عشر اهتمام بريطانيا بما لهذه البلاد من اهمية خاصة  
بالنسبة للمصالح البريطانية في شرق البحر المتوسط ، لاسيما وان نابليون  
اثناء اقامته بمصر ، حاول اتارة القوى المحلية بالمشرك العربي ضد بريطانيا •  
ولهذا فقد صممت بريطانيا بعد اخراج الفرنسيين من مصر على عدم السماح  
بوقوع مصر في يد اية دولة اجنبية قوية او قيام حكم محلي قوى يستطيع  
الحاق الضرر بالمصالح البريطانية في تلك المنطقة • ولقد نجحت في هذا ايما  
نجاح فمنعت كل الدول من الاقتراب من مصر ، كما قضت على قوة محمد  
على عندما تمكن من اقامة نظام حكم قوى مستقر في مصر لا يفتق والمصالح  
الانجليزية •

ونظرا لان بريطانيا كانت تدرك بان لفرنسا ذكريات قديمة لا يمكن  
ان تنساها في البحر المتوسط ، ترجع الى ايام الحروب الصليبية ، ثم حصولها  
على معاهدة الامتيازات الشهيرة من الدولة العثمانية في عام ١٥٣٥ ، فقد  
راقبت تحركات فرنسا في هذا البحر بكل يقظة وحذر ، فلم يهنأ لها بال  
حينما انزلت فرنسا بقواتها في الشام في عام ١٨٦٠ اثر المذابح التي قامت  
في تلك البلاد بحجة حماية ارواح المسيحيين حتى سحبت فرنسا قواتها منها •  
كما أنها عارضت ضم جزيرة كريت لمصر عقب ثورتها في عام ١٨٦٦

خشية ان يمتد نفوذ فرنسا اليها ، نظرا للتقارب الواضح بين مصر وفرنسا في ذلك الوقت (١) .

ولما كانت بريطانيا حريصة على الا يتفوق نفوذ دولة على نفوذها في الدولة العثمانية (٢) ، فقد انتهجت سياسة تقوم على مصادقة تلك الدولة وعدم تقسيم ممتلكاتها بين الدول الاوربية الطامعة .

فسياسة المحافظة على ممتلكات الدولة العثمانية طوال الثلاثة الارباع الاولى للقرن التاسع عشر تشل حجر الزاوية في سياسة بريطانيا الخارجية ازاء تلك الدولة . فمنع الروس من السيطرة على المضائق والوصول الى مياه البحر المتوسط الدفينة تمثل الاستراتيجية البريطانية قبل شق قناة السويس (٣) .

بل ان آسيا الصغرى - وليست مصر - كانت تعتبر في نظر سياسة بريطانيا هي خط الدفاع الاول عن الطريق المؤدية الى الهند . ولذا فهم يرون ان احتلالهم لمصر اذا ما قسمت ممتلكات الدولة العثمانية - ليعادل احتلال الاستانة وسيطرة الروس على المضائق ، بل لاقيمة له (٤) .

وعندما نشبت حرب القرم في منتصف القرن الماضي ، ادرك الانجليز - رغم كونها حربا برية - اهمية القوة البحرية وقتذاك . اذ لولاها لما استطاعت بريطانيا نجدة الدولة العثمانية ، ولا المحافظة على ممتلكاتها . واذا كان تفوق البحرية البريطانية على البحرية الفرنسية قد بدا واضحا خلال الحملة الفرنسية على مصر ، فانه قد تعرض للاهتزاز بعد ذلك ، فمئذ تسوية فينا عام ١٨١٥ اصيبت البحرية البريطانية بشيء من الاهمال ،

---

(١) السروجي : مصر والمسألة الشرقية ص ٣١ ، ١١٨ .

(2) Marlowe, Cromer in Egypt p. 8.

(٣) رتنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ص ٣٣٢ .

(4) Scaton - Datson ; Disraeli, Gladston and the Eastern

نتيجة لشعور بريطانيا بنشوة النصر على فرنسا من جهة ، ولأطمئنانها على ممرزها البحري من جهة أخرى ، ولإعطائها بتضعف قوة منافستها فرنسا من ناحية ثالثة •

استمر هذا الإهمال ما يزيد عن الأربعين عاما ، الى ان تنبّهت بريطانيا الى خطورة هذا الوضع في عام ١٨٥٩ عندما وجدت فرنسا في عهد نابليون الثالث تنشيء اسطولاً جديداً من السفن الحربية المصنوعة من الحديد • ولذا فقد عملت بريطانيا فيما بين عام ١٨٥٩ وعام افتتاح القناة ١٨٦٩ على اعاده انشاء بحريتها من جديد لمواجهة التهديد الخطير من قبل فرنسا • لان هذا هو موقف الدولتين البحريتين بريطانيا وفرنسا قبل شق قناة السويس ، وهو موقف اتسم بالمنافسة بينهما ، نظرا لمحاولة كل منهما الاحتفاظ بقوة بحرية كبيرة في البحر المتوسط ، وستزداد تلك المنافسة بعد انشاء القناة ، لازدياد أهمية الدور الذي يلعبه هذا البحر في مجال السياسة والاقتصاد •

وقد صاحب انشاء القناة في النصف الثاني للقرن التاسع عشر تطور هائل في بناء السفن الحربية من حيث استخدام الحديد والصلب بدلا من الخشب ، ومن حيث تزويدها بمدافع اكثر قوة ، وابعد مدى ، ومن حيث الخطط والتكتيكات الحربية •

هذا بالإضافة الى ظهور انواع جديدة من السفن الحربية ، مثل قوارب الطوربيد • بحيث يمكننا القول بأنه قد حدثت ثورة في فن بناء السفن ، جعلت من الاساطيل الحربية قوة خطيرة في الدفاع والهجوم • ومن العوامل التي ساعدت على زيادة الاهتمام بالشئون البحرية انتماء كثيرين من رجال البحرية والجيش والسياسة الى المؤسسات الصناعية المتعلقة بصناعة السفن ، كصناعات الحديد والصلب ، واسهامهم في ادارة تلك المؤسسات • ويبدو هذا واضحا بصفة خاصة في بريطانيا • اذ نجد

في السنوات الاخيرة للقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عددا من رجاة البحرية يسهمون في شركة فيكرز **Vickers** وعددا آخر من رجال السياسة مثل سولسبرى ، وبرائس ، ودفنشر ، ولانزدون يسهمون في شركة ارمسترنج اكبر شركات صنع الاسلحة .

وليس تطوير السلاح البحرى الانجليزى بما يتلائم مع طبيعة العصر ، وتقدم الاختراعات الحديثة ، من المسائل الدفاعية فحسب ، بل هو — على حد تعبير فيشر اكبر رجال البحرية الانجليزية في اواخر القرن التاسع واوائل القرن العشرين — مسألة حياة او موت بالنسبة لبريطانيا ، فهي كدولة تعتمد في حياتها وقوتها على التجارة . ويسكن ان تموت جوعا ، اذا ما استطاعت دولة اوربية ان تنتزع منها السيادة البحرية . ومن ثم نشأ الاعتقاد في بريطانيا بأنه بالاسطول تستطيع بريطانيا ان تبقى او ان تسقط .

By the navy we must stand or fall.

ومن هنا جاء الاهتمام بالبحرية في بريطانيا ، فالبحرية في نظر البريطانيين القوة المدافعة الاولى عن الامبراطورية ، ويأتى الجيش في المرتبة الثانية ، ولكن لاغنى لاحدهما عن الآخر .  
وهم يقولون بأن البحرية كالدرع الواقى واما الجيش فكالرمح الضارب .

'The navy is the shield to guard, the army is the spear to strike,

والاهتمام بالبحرية لا يتطلب بناء السفن الجديدة المتطورة ، وتدريب رجال البحرية التدريب اللائق فحسب ، وانما يتطلب ايضا اعداد القواعد البحرية ، واعتناق مبدأ حرية البحار ، وهذان الامران لا تستطيع بريطانيا البت فيهما دون الدخول في منافسات مع الدول الاخرى .

استمرت حركة بناء وتجديد الاسطول البريطانى تجرى بهمة ونشاط الى مجيء وزارة جلاد ستون الاولى الى الحكم . فنظرا لاعتناقها سياسة ضغط النفقات العامة ، وخاصة في البحرية ، ان انكشمت تلك الحركة بشكل لم يقبله الرأى العام الانجليزى .

ويرجع السبب - على الأرجح - في عدم اهتمام الوزارة الانجليزية كثيرا بقوة الاسطول انه على الرغم من تفوق اسطول فرنسا على اسطول بروسيا من ناحية القوة ونجاحه في محاصرة الشواطىء الالمانية في الحرب البروسية الفرنسية ، الا ان تفوق الجيش البروسى على الجيش الفرنسى اكسب بروسيا الحرب ..

على ان السبب الرئيسى لذلك هو سياسة العزلة وعدم التوسع التى انتهجتها تلك الوزارة .

وترتب على ذلك انه في سنة ١٨٦٩ ، سنة افتتاح القناة ، لم يكن نفوذ بريطانيا في البحر المتوسط متفوقا تماما على نفوذ فرنسا ، فأسطول فرنسا في هذا البحر احدث ، وربما كان اقوى من الاسطول الانجليزى، ويتمتع بقاعدة طولون(٥) البحرية التى لا يوجد لها نظير لدى بريطانيا في هذا البحر . فمالطة وجبل طارق لم تكن بحرية بمعنى الكلمة ، وان كانت بريطانيا قد ادركت خطورة موقع جزيرة مالطة بعد فتح قناة السويس ، فقامت بوسيع مينائها لاستيعاب السفن المار به بالبحر المتوسط(٦) .

كذلك كان لدى فرنسا من القوات الكثيره العدد في الجزائر ما يجعل اسمها محترما في شاطئ البحر المتوسط الجنوبى ، واصبح لاسمها دوى كبير في العالم بعد افتتاح قناة السويس . فالقناة مشروع قومى فرنسى وستكون نقطة ارتكاز للنفوذ الفرنسى في شرق هذا البحر .

---

(5) Marder ; British .... p. 145.

(6) Laferla. British Malia vol. 1, p. 240.

ولكن كان يجد من نفوذ فرنسا نمو قوة ألمانيا الحربية على الضفة الشرقية لنهر الراين وازدياد قلق فرنسا واضطرابها من اندحار قوات النمسا في موقعة سادوفا في سنة ١٨٦٦ امام قوات بروسيا ، ووقوف روسيا موقف العطف على الآمال الألمانية . كل ذلك لم يجعل فرنسا في مركز يسمح لها بتحدى قوة بريطانيا في البحر المتوسط او اثاره شكوكها في ذلك الوقت . فبريطانيا حتى سنة ١٨٧٨ كانت مطمئنة على قوتها البحرية في هذا البحر ، خصوصا وان منافسة فرنسا لها قد ضعفت بعد دارة سيدان سنة ١٨٧٠ . هذا فضلا عن اشغال فرنسا في اعادة بناء جيشها ، وقد استمر هذا العمل حتى سنة ١٨٨٠ .

توطد نفوذ بريطانيا في البحر المتوسط (٧) بعامة ، وفي شرقيه بخاصة بعد نجاح دزيريلي في شراء اسهم الخديو اسماعيل في قناة السويس في سنة ١٨٧٥ وحرمان فرنسا منها . ولقد ادركت الدول الأوروبية عظم الصفقة ، فاعتبرها ليوبولد ملك بلجيكا كاعظم حادث في السياسة الحديثة ، كما انها قد اتلجت صدر المستشار الألماني بسمرك لانها اضافت اذلالا جديدا لفرنسا تتج عن اذلال سيدان . وادرك دزيريلي نفسه اهمية هذا العمل الذي قام لتدعيم المصالح البريطانية في مصر فكتب يقول للملكة فيكتوريا « ان الفرنسيين غلبوا على امرهم ، ولقد قدم دى لسبس عرضا للخديو ، ولو نجح لاصبحت القناة ملكا لفرنسا ، ولاغلقتم امام انجلترا» . بل ان هذه الصفقة قد نالت اعجاب المعارضين للحكومة الانجليزية ، من امثال هارنجتن وهو من زعماء حزب الاحرار ، وعبر عن اعجابه هذا بقوله بأن حقوق سيادة الخديو على القناة قد انتقلت الى يد بريطانيا .

---

(7) Hallberg; The Suez Canal, Its history and diplomatic importance p. 249.



اثبتت هذه الصفة - بما لا يدع مجالا للشك - ان بريطانيا قد هجرت نهائيا سياسة العزلة والسلبية التي انتهجها جلادستون في وزارته الاولى السابقة على وزارة دزيرلى ، واصبحت تؤمن بضرورة اتباع سياسة خارجية قوية ، ستؤدى في السنوات التي اعقبت سنة ١٨٧٨ الى احتلال مصر ، والتصميم على البقاء فيها ، وتقسيم افريقية ، والاشراف على مناطق كبيرة في آسيا .

لقد عرفت فرنسا بعظم الخسارة لضياع تلك الاسهم ، ولاتقبالها الى يد منافستها بريطانيا ، وادرت المغزى الحقيقى من وراء استحواذ بريطانيا على هذه الاسهم ، وهو لا يخرج عن احد امرين : التهديد لاحتلال مصر ، او على الاقل التدخل في شئونها المالية لا سيما وان الامر الاول ينال تأييد وموافقة المستشار الالماني بسمرك .

اما بالنسبة لآثر هذه الصفة على مصر ، فمما لاشك فيه انها كانت وبالا عليها ، فرغم ان القناة مصرية ، وتسير في ارض مصرية ، وانها قامت على تسخير العمال والفلاحين المصريين ، وهدار حقوقهم ، وحرمان الزراعة المصرية منهم مدة طويلة ، كل هذا في مقابل لاشئ ، بل لقد اصبحت القناة منذ سنة ١٨٧٥ كارثة عليها ، وعلى مستقبلها قرابة خمسة وسبعين عاما .

لقد جعلت القناة لمصر مركزا استراتيجيا خاصا (٨) في اشرق الادنى ، فجبل طارق ومالطة وقبرص ومصر هي القواعد البحرية الحصينة للاسطول البريطانى في البحر المتوسط من اجل السيادة والسيطرة على هذا البحر ، وتعتبر مصر اهم حلقة فى هذه السلسلة من القواعد ، ومصدر خطر شديد على الامبراطورية البريطانية اذا ما تعرضت لغزو خارجى .

---

(8) Silva, A. Arthur, The expansion of Egypt pp. 101-2.

كما ان هذا المركز الاستراتيجي لمصر اثار اهتمام الدول الامبريالية به الى حد ان ضحت هذه الدول بمصالح مصر ونموها واستقلالها في سبيل الاشراف عليه والتحكم فيه . وهذا الاهتمام من جانب بريطانيا والدول الاخرى بمركز مصر يشبه الى حد ما اهتمام بريطانيا بالعراق لوقوعه على رأس الخليج العربي وعلى الطريق المؤدية الى الهند وكانت توليه بريطانيا حتى سنة ١٨٨٠ اهمية اعظم من اهمية قناة السويس ، لان ديزريلي حتى ذلك التاريخ كان يرى ان اسيا الصغرى هي التي تشرف على الطريق الى الهند لا مصر ، ولا قناة السويس ، ومن هنا جاءت اهمية العراق بالنسبة لبريطانيا . وترتب على عدم ادراك ديزريلي لعظم اهمية القناة في المواصلات العالمية حتى سنة ١٨٨٠ ، انه لم يوجه اهتماما كبيرا لعروض المستشار الالماني بسمرك خلال الازمة الروسية التركية باخذ مصر ، نظير سيطرة الروس على شرقى البلقان .

كما ان ديزريلي وزملاؤه الوزراء لم يصغوا لنوبار باشا حين ذهب الى لندن يطلب بسط حماية بريطانية على مصر ، واهملوه الى حد قوله لمستر سفير المانيا في لندن « بان الاسد البريطاني مستغرق في نومه ، وان اظفاره ستسرق منه دون ان يستيقظ » .

ورغم ان حكومة المحافظين في بريطانيا كانت تدرك اهمية مصر لبريطانيا ، وبأنها ستحتلها في يوم ما قرب ام بعد ، الا انها خشيت في ذلك الوقت ان تفقد صداقة فرنسا اذا ما اقدمت على احتلالها ، لاسيما وانها كانت في عزلة سياسية تحتم عليها المحافظة على هذه الصداقة .

وبمجيء سولسبرى الى وزارة الخارجية الانجليزية خلفا لدربي في وزارة المحافظين ان بدأ تغير جوهرى في السياسة الخارجية الانجليزية بأزاء الدولة العثمانية ، فقد غادر نهائيا السياسة التقليدية الرامية الى المحافظة على كيان تلك الدولة ، واتجه الى الاخذ بوجهه نظر بسمرك . ولكنه

استعاض عن احتلال مصر وقناة السويس بأحتلال جزيرة قبرص التى تشرف على آسيا الصغرى ومدخل القناة معا (٩) •

ولا يهمننا هنا الدخول في تفاصيل المسألة الشرقية ، واضطراب العلاقات بين تركيا وروسيا الى حد اعلان الحرب ، الا بقدر ما تثيره من تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ، وهل سيتم هذا دون حرب ام بحرب ، وهل ستدخل بريطانيا الحرب ضد روسيا دفاعا عن مصالحها في منطقة الشرق الادنى ••

على اى حال حاولت بريطانيا في التسوية التى تمت في برلين سنة ١٨٧٨ الا تمس الموقف كثيرا في البحر المتوسط ، ووقفت بريطانيا وفرنسا امام تقدم روسيا الى هذا البحر ، ولكن كان هذا على حساب ازدياد ضعف الدولة العثمانية •

وخارج قاعات المجلس اثناء انعقاد مؤتمر برلين تمت مقابلات بين سولسبرى وزير خارجية بريطانيا ، ووادنجتون وزير خارجية فرنسا ، والمستشار الالماني بسمرك • وكان وادنجتون قد غضب حين علم بنبأ الاتفاقية التى فرضتها بريطانيا على السلطان العثماني وانتزاعها جزيرة قبرص، وسيطرتها بالتالى على شرق البحر المتوسط وقناة السويس • وقد استبد بالوزير الفرنسى الغضب الى حد اعتزاه مغادرة برلين وعدم الاشتراك في المؤتمر •

كان بسمرك وسولسبرى على استعداد لاسترضاء وزير الخارجية الفرنسية ، وعلى استعداد ايضا للمساومة طالما كان في ذلك تحقيق وجهة النظر الالمانية في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية والتى كانت تجد تأييدا من وزير الخارجية الانجليزى وقتذاك • فأبدى عدم اعتراضهما على مايفعله

---

(٩) Stamp, Dudley, A commercial geography, pp, 245-6.

الفرنسيون بتونس في مقابل قبول الوضع الجديد في شرق البحر المتوسط . وكان هذا كافيا من وجهة نظر الوزير الفرنسي لاعادة التوازن الذي اختل بسيطرة البريطانيين على قبرص . وهذا يدلنا على مدى اهتمام فرنسا بمركزها في هذا البحر (١٠) . ولذا في ربيع سنة ١٨٨١ فرض الفرنسيون حمايتهم بالقوة على تونس ، واصبحوا من هذا الموقع الاستراتيجي الجديد يشطرون البحر المتوسط الى شطرين . ولادراك بريطانيا لهذه الحقيقة بعد فوات الاوان حاولت ان تقلل من خطر الوجود الفرنسي في تونس على المصالح البريطانية في هذا البحر الى حد ما ، وذلك عن طريق اخذ وعد من الفرنسيين بالا ينشئوا قاعدة بحرية بحرية في هذا المكان . ومع ذلك فقد شعرت بأن هذا الوعد لن يكون له قيمة كبيرة ، ومن ثم فقد صممت على ألا تقع مصر ألا في يدها وحدها تعويضا لها عن صفقة تونس .

حقيقة حين تأزمت الامور في مصر في سنة ١٨٨٢ طلبت بريطانيا من فرنسا وايطاليا الاشتراك معها في احتلال قناة السويس ، وفي اخماد الثورة ولكن جلادستون رئيس الوزارة البريطانية كان واثقا تماما من تقاعس الدولتين ، فالبرلمان الفرنسي لن يسمح لحكومته بان تدخل في مغامرة عسكرية ولم يمر اكثر من عام على احتلالها تونس . أما من ناحية ايطاليا فأن حكومتها ما كانت تستطيع التحرك دون ان تتلقى اشارة من برلين ، ولم تكن برلين راغبة في التدخل ، فعروض جلادستون اذن كانت عروض مجاملة .

وحين استدعى تخرج الامور في مصر اجتماع مؤتمر الاستانة لمناقشة الموقف ، رأت بريطانيا الا يصبح المؤتمر عائقا دون تحقيق ما تسعى اليه ألا وهو احتلال مصر ، فاشتركت في جلساته ومناقشاته ولكنها قررت عدم

---

(10) Ren- vin, P., La politique d' expansion imperialiste, p. 11.

التقيد بما يسفر عنها من قرارات لا تتفق مع المصالح الانجليزية • فاهتمامها كان مركزا على مصر فى المقام الاول • فراقبت تحركات المصريين واعتبرت تحصين بلادهم عملا عدائيا موجها للسفن الحربية الانجليزية الراحية فى الميناء ، وضربت الاسكندرية واحتلتها • وقد حاولت بريطانيا ان تصور هذا العمل على انه خدمة للمصالح الاوربية ، فحينما وجد سفير بريطانيا فى روما اغسطس باجت شيئا من الضيق والقلق يجتاح ايطاليا اعلن « بأنه يجب على دول اوربا ان تشكر هذه الظروف ، وان تحمد الحكومة الانجليزية على اتخاذ خطوات من شأنها رفعة مركز اوربا فى الشرق الادنى » •

كان حل المسألة المصرية كما فهمته بريطانيا هو فى احتلال قناة السويس ، واتخاذها قاعدة لتحركاتها العسكرية فى زحفها نحو العاصمة • ولم تعر بريطانيا احتجاجات شركة القناة ادنى اهتمام ، بل وانذرت الحكومة الفرنسية حينما وجدت بعض العراقيين من جانب دى لسبس •

وبنجاح الغزو البريطانى لمصر استطاعت بريطانيا ان تعيد التوازن الدولى فى البحر المتوسط وكذلك الاشراف على قناة السويس • وحتى عام ١٨٨٤ كان النفوذ البريطانى متفوقا فى البحر المتوسط ، ولكن كان يثير قلق بريطانيا نمو الاسطول الفرنسى بسرعة كبيرة • هذا فضلا عن احتمال انضمام دولة بحرية اخرى مثل المانيا الى جانب فرنسا • ولو تم ذلك لاصبح موقف بريطانيا جد خطير ، لان قوة الدولتين البحرية تفوق قوة بريطانيا فى هذا البحر •

لم تنظر بريطانيا بعين الارتياح الى نمو قوة دول اوربا البحرية مثل روسيا وايطاليا والمانيا ، وخصوصا الدولة الاخيرة التى اتخذت من تقوية بحريتها سياسة مقررة بعد ان عازمت على الدخول فى مضمار الاستعمار • فهذه الدول مجتمعة تستطيع ان تهدد مصالح بريطانيا فى البحر المتوسط بعامة ، وفى مصر بخاصة • وهذا هو سر تسليم بريطانيا بمطالب المانيا

وفرنسا الاستعمارية ، وتسوية المسألة المالية في مصر بطريقة ترضى فرنسا ، بل الاستجابة لمطلب فرنسا بتحديد مركز قناة السويس في معاهدة دولية .

ونظرا لاستمرار توتر العلاقات بين بريطانيا وفرنسا بشأن مصر من ناحية ، وبين بريطانيا والمانيا بشأن المسائل الاستعمارية من ناحية اخرى ان زاد الخطر على بريطانيا ، وطالب الرأى العام البريطانى حكومته بضرورة زيادة الاعتمادات البحرية اللازمة لايجاد اسطول بحرى كبير . خصوصا وان تقارير رجال البحرية الانجليزية اوضحت بأن الاسطول البريطانى في البحر المتوسط غير مستعد وغير كاف لمواجهة اى خطر مفاجئ من جانب فرنسا . وزاد الموقف خطورة مطالبة الرأى العام الفرنسى حكومته بضرورة عقد تحالف مع روسيا .

وحتى سنة ١٨٨٨ ظل اسطول فرنسا في البحر المتوسط متفوقا على الاسطول الانجليزى ، واصبحت طولون اعظم ترسانه ، واغوى قاعدة للعمليات البحرية في هذا البحر . كما كان الاسطول الفرنسى على اهبة الاستعداد دائما للحرب .

ولم تكن قوة الاسطول الفرنسى تفزع بريطانيا وحدها ، بل كنت تخيف ايطاليا ايضا ، اذ كان الايطاليون يعتقدون بأن اسطولهم لن يستطيع الصمود امام الاسطول الفرنسى اكثر من ثمانية واربعين ساعة .

ولقد صاحب اهتمام الانجليز بتقوية بحريتهم زيادة اهتمامهم بالبحر المتوسط ، فمصالح بريطانيا ليست استراتيجية فحسب ، وانما اقتصادية وسياسية كذلك ، فعبر قناة السويس ثمر ١٦٪ من واردات بريطانيا و ٢١٪ من صادراتها ، وفقدان هذه التجارة او تعطيلها خسارة كبيرة . ثم هناك مسألة على جانب عظيم من الاهمية، الا وهى سلامة المواصلات الامبراطورية البريطانية ، وممتلكات بريطانيا في البحر المتوسط ، في جبل طارق ومالطة ،



بالإضافة إلى احتلالها لقبرص ومصر ، ومصالحها التي تدعيها في قناة السويس .  
وأصبح البحر المتوسط الطريق الرئيسية التجارية لبريطانيا ، وكلما مرت  
الأيام تكشفت بريطانيا ازدياد أهميته ، فالحرب الصينية اليابانية ( ١٨٩٤ -  
١٨٩٥ ) وجهت الاهتمام إلى الصين كأهم أسواق المستقبل ، وبالتالي  
توجه الاهتمام إلى الطريق المؤدية إليها ، ألا وهي طريق البحر المتوسط .  
كذلك أدركت بريطانيا أن بالقوة البحرية في ذلك البحر تستطيع  
اقناع دول التحالف الثلاثي ، ولا سيما إيطاليا بالوقوف إلى جانبها ،  
فبالقوة البحرية يمكن لبريطانيا أن تنال احترام الدول المطلة على البحر  
المتوسط ، باستثناء فرنسا بطبيعة الحال . كما أن بريطانيا كانت ترى في  
قوة بحريتها في ذلك البحر خير ضمان لعدم قيام حرب أوربية في غير صالحها .  
ومن الناحية الاستراتيجية ، فوجود الأسطول البريطاني يجب أن يكون  
حيث يوجد العدو لبريطانيا . وليس هناك عدو لها سوى فرنسا في الدرجة  
الأولى وروسيا في الدرجة الثانية . وحيث أن فرنسا تحتفظ بمعظم  
قواتها البحرية في البحر المتوسط ، فوجود أسطول بريطاني قوى في  
مواجهتها أمر ضروري . كما أن نجاح بريطانيا في اقتحام البحر الأسود  
في حرب القرم يذكر روسيا دائما بقوة بريطانيا كدولة بحرية عظمى .  
ثم هناك ما هو اسمى من المصالح الاقتصادية والسياسية ، ألا وهي  
هيبة بريطانيا وسمعتها اللتين اكتسبتهما منذ مائتي عام ، لا بد من المحافظة  
عليهما ، مهما كلفها ذلك من تضحيات . واعتبرت بريطانيا أن العمل على  
إضعاف قوتها البحرية أو إخراجها من هذا البحر بمثابة « لقاء عود ثقاب  
مشتعل في برميل بارود أوربا » (١١) .

وفي الجانب الآخر نرى نمو مركز فرنسا في البحر المتوسط يسير

---

(11) Marder, British naval policy (1880-1905) p. 145.

مطردا، ففرنسا لها مصالح مهمة في هذا البحر بعد استيلائها على الجزائر ونمو نفوذها في سوريا وبعد فرض حمايتها على تونس ، وبعد انشائها لامبراطوريتها الاستعمارية الشرقية في مدغشقر والهند الصينية . بل ان روستان قنصل فرنسا في تونس كان يعتبر البحر المتوسط بحيرة فرنسية (١٢) . فمصالح فرنسا الامبراطورية الاستعمارية والتنازع مع بريطانيا بشأن الجلاء عن مصر ، وتأزم العلاقات بينها وبين ايطاليا ، كل هذه العوامل جعلت فرنسا تركز نشاطها حول تدعيم قوتها في البحر المتوسط ، وتركز معظم سفنها الحربية الكبرى في قاعدة طولون ، وخصوصا بعد ان اطمأنت الى تحديد مركز قناة السويس في معاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ .

وفي مواجهة هذا الاجراء من جانب فرنسا قررت الادmirالية البريطانية ان ينضم اسطول القنال الانجليزى الى الاسطول الانجليزى في البحر المتوسط لتعزيزه وقت الخطر . ولكنهما مع ذلك لم تصل قوتهما حتى عام ١٨٩١ مساوية لقوة الاسطول الفرنسى في ميناء طولون .

ولما وجدت بريطانيا ألا قبل لها على مجاراة فرنسا في قوة بحريتها في هذا البحر ، تركت سياسة التفوق البحرى الى حين . ولم يكن ذلك لقصور مادى او فنى ، ولكن لعدم وجود قواعد بحرية كبيرة صالحة لرسو الاعداد الكبيرة من السفن مثل ما لدى فرنسا ، فجبل طارق ليس فيها المرفأ المناسب ، ولا تحتل عتادا حريا كبيرا ، ولا وقودا كافيا ، وهى فوق هذا وذاك مهددة في تأمينه الى حد كبير على صداقة اسبانيا لبريطانيا .

ولذا وجدت بريطانيا اخيرا ان من الخير لاسطولها الا يلتجئ لجبل طارق في حالة حرب مع فرنسا اذ يستطيع اسطول طولون المتفوق ان يكسر شوكته ، بل عليه ان يغادر البحر المتوسط طلبا للنجاة . ولكن تنفيذ

---

(12) Safwat, M., Tunis and the Crest Powers. P. 111.

هذا القرار مخفوف بالمخاطر ، اذ ان هروبه سيهبط بأسم بريطانيا ، ولا يحفظ مالها من مركز كبير في العالم .

ثم هناك مشكلة بنزرت ( ييزرته ) وهو ميناء يشرف على جزئي البحر المتوسط : الشرقى والغربى ، ويتسع لأكثر من اسطول ، ويصلح قاعدة هائلة للعمليات الحربية البحرية . ولكن فرنسا حتى سنة ١٨٩٠ لم يكن لها قاعدة بحرية واحدة في شمال افريقية ، لانها قد التزمت حتى ذلك الوقت بالوعد الذى قطعته على نفسها لبريطانيا بعدم انشاء قاعدة بحرية في هذا الميناء الكبير ، لان انشاء مثل تلك القاعدة سيقرب ميزان القوى البحرية في البحر المتوسط لصالح فرنسا ، وتهديد لاطاليا في نفس الوقت . وخطورة اقامة تلك القاعدة في بنزرت كبيرة على المواصلات البريطانية والتجارة البريطانية عبر البحر المتوسط . وان كان البعض يرى في انشاء تلك القاعدة تقسيم لقوى الاسطول الفرنسى بينها وبين طولون .

وفي منتصف عام ١٨٩٥ افتتحت قاعدة بنزرت - لأكقاعدة بحرية كبيرة - ولكن كرد فعل من جانب فرنسا على افتتاح قناة كيل . وهنا بدأت تتحقق مخاوف بريطانيا بأن وعد فرنسا لم يكن الا من قبيل التمويه . وازداد اضطراب بريطانيا عندما علمت بنبا زيادة قوة الاسطول الروسى في البحر الاسود ، وما ينطوى عليه هذا العمل من تهديد للاستانة ، وما سيلقيه هذا التهديد من اعباء جديدة على الاسطول الانجليزى في البحر المتوسط . لاسيما وان احتمال اجتماع الاسطولين الفرنسى والروسى ضد الاسطول الانجليزى امر محتمل الوقوع . بعد ان اصبح التحالف الفرنسى الروسى حقيقة غير خافية على بريطانيا .

ولذلك كتبت صحيفة التميز اللندنية في سنة ١٨٩٣ تصف الموقف في

**البحر المتوسط تقول :**

British supremacy in the Mediterranean was already an affair of ... the past; her trade route to Egypt and India through the Suez - Canal was entirely independent on the good will of the French whose Mediterranean fleet could wipe out or drive into port the English Mediterranean fleet. Toulon suggested the possibility even the probability of a Franco-Russian naval coalition against England, a combination whose overwhelming superiority and strategic location could only result in a decisive British defeat.

طالب الرأي العام البريطاني بالحاح شديد بزيادة الاعتمادات المخصصة للبحرية لمواجهة هذا الموقف ، وقد وافق اعضاء وزارة جلاستون على ذلك ، الا جلاستون نفسه الذي انسحب من الوزارة ومن الحياة السياسية كلية . لقد شغلت مسألة مرور السفن التجارية الانجليزية في البحر المتوسط في حالة حدوث حرب مع فرنسا اذهان الساسة الانجليز ، فوجود الجزائر ، واوران ، وبنزرت ، ومراكز قوارب الطوربيد في يد فرنسا يجعل هذا الامر في غاية الخطورة . وخيل لهؤلاء الساسة ان الفرنسيين قد يتمكنون من اغلاق القناة . واذا ماتم ذلك فليس امام الانجليز الا ترك هذه الطريق كلية . وقد زادت هموم الانجليز في سنة ١٨٩٥ على وجه الخصوص ، فقد عانت من ازمات عديدة في اماكن مختلفة من العالم ، بعضها يتعلق بالدولة العثمانية ، وهذا ما يعنينا في هذا البحث ، والاخر يختص بفنزويلا وبأفريقية الجنوبية .

ففيما يتعلق بالدولة العثمانية ، فقد استطاع الروس السيطرة سيطرة تامة على البحر الاسود . ومدوا نشاطهم الى الشرق الاقصى حيث عقدوا مع الصين معاهدة تنازلت لهم بمقتضاها عن ميناء بورت آرثر لاتخاذ كقاعدة بحرية تشرف على مدخل بكين . وكان ذلك يمثل خطرا هائلا على المصالح البريطانية .

اما في جنوب افريقيا فكانت المانيا تعطف على مطالب البورز وتؤيد استقلالهم ، وفكرت هي وفرنسا وروسيا في التدخل لصالح البورز ضد بريطانيا • واما ايطاليا التي كانت بريطانيا تعتمد على صداقتها - رغم عدم ثقتها في كفاية رجال البحرية الايطالية - فان فشلها في موقعة عدوة امام الاحباش جعل الاعتماد عليها امرا غير محسوب •

ولذا كان على بريطانيا - امام تل تلك الصعاب ، وياتى على رأسها عزلتها السياسية التي تكاد تكون تامة - ألا تعتمد الا على نفسها ، لا المحالفات • وقد نفذت هذه الفكرة الجديدة في برنامج سنة ١٨٩٧/٦ البحرى الذى سيعطى لبريطانيا مستوى أقوى قوتين بحريتين •

#### Two Powers-standard

كانت اعتمادات البحرية الانجليزية حاسمه في تقرير مصير البحر المتوسط ، فلقد فصلت في مصير مصر بعد ان تخرجت الأمور بين بريطانيا وفرنسا الى ان بلغت ذروتها في فاشودة •

كان اللقاء بين كتشنر ومارشان في فاشودة في ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ نهاية المناقشة الحامية بين بريطانيا وفرنسا طوال ثلاثين عاما تقريبا ، وحين رفضت بريطانيا المفاوضة في أول الأمر ، وتخرجت الامور بين الدولتين وضعت الحكومة الفرنسية اسطول طولون على اهبة الاستعداد • وكان رأى العام الانجليزى متحمسا للحرب ، لأنه كان موقنا بعد التعزيزات البريطانية الأخيرة ، من احراز نصر على فرنسا يضاهى نصرهم في الطرف الأغر ، ففي البحر المتوسط ، الميدان الحربى الاول ، لدى بريطانيا ٢٣٩ر٤٥٠ طن من حمولة السفن الحربية ، بينما لم يكن لدى الفرنسيين سوى ١٧٠ر٠٨٥ •

بدأت بريطانيا تركز أسطولها في المناطق الحساسة ، فراقبت حركات الاسطول الفرنسى ، وأرسلت اسطول القنال الانجليزى الى قرب جبل طارق ،

وأسطول البحر المتوسط الى جزيرة كورفو للمحافظة على مصر والقناة ،  
وأسطول الشرق الأقصى الى هنج كنج •

ومما زاد من حرج مركز فرنسا ، ومن أولا لها ان حليفتها روسيا  
رفضت تقديم اية مساعدة ، ولم تكن - في الواقع - تستطيع تقديم  
اية مساعدة ، فاسطول البحر البلطى جامد في موانيه المتجمدة ، واسطول  
البحر المتوسط لم يكن على أهبة الاستعداد للحرب • هذا في نفس الوقت  
الذى لم يكن لروسيا مصلحة في ان تزج بنفسها في حرب مع بريطانيا من أجل  
مطامع استعمارية فرنسية •

وقد عازمت بريطانيا على ضرب مواى فرنسا ، وعلى اخراج  
الاسطول الفرنسي الى عرض البحر ليصلى نار حرب حامية ، وأدرك  
الفرنسيين خطورة موقفهم ، فاتخذوا موقف الدفاع دون الهجوم ، خصوصا  
وأن الحالة الداخلية في فرنسا كانت توشك على الانفجار نتيجة القضية  
دريفوس •

اما من ناحية الحكومة البريطانية ، فكان عدد من اعضائها مثل  
جوشن وتشمبرلين ودفنشيرون انتهاز هذه الفرصة للتخلص نهائيا من  
فرنسا كمنافس عنيد ، ولكن هذا الفريق لم يجد تأييدا كافيا ،  
خصوصا بعد ان اعلنت فرنسا بانها ستسحب من فاشودة • وبذلك  
تنتهى الأزمة •

وفي ٢١ مارس سنة ١٨٩٩ تصل الدولتان الى اتفاق يتعلق بالسودان ،  
وفيه اعترفت فرنسا باتفاقية السودان المشهورة بين مصر وبريطانيا •  
وكان الفاصل في ازمة فاشودة ، بل وفي أمر العلاقات الفرنسية الانجليزية  
في البحر المتوسط هو القوة البحرية ، وحق للانجليز ان يقولوا :

Whatever may have been the pressing consideration which prompted the French to maintain so humiliating a diplomatic defeat, there was no doubt in the minds of the English people that the obvious superiority of the royal navy, in numbers, efficiency and readiness had been the sole factor in saving the country from a great war.

بعد انتهاء الأزمة البريطانية الفرنسية ، حاولت فرنسا التحول نحو دول التحالف الثلاثي ، فعلا اخذت تتقرب من ألمانيا ، ولكن مسألة الالتزام والالتزام كانت عائقا دون إقامة تفاهم بين الدولتين لمدة طويلة . كذلك حاولت فرنسا تحسين علاقاتها بإيطاليا ، وحثت إيطاليا على زيادة قواته البحرية حتى تستطيع الدولتان السيطرة على البحر المتوسط ، ولكن إيطاليا لم تكن مستعدة بالضحية بعلاقاتها الودية ببريطانيا من أجل فرنسا . كانت أزمة فاشودة درسا قاسيا وعنه فرنسا بعرق ، وعرفت مدى اثر القوة البحرية ، وادركت في نفس الوقت انها لا تستطيع ان تجاري بريطانيا في حركة بناء السفن ، وخاصة الكبيرة منها ، وبالتالي ايقنت بأن المنافسة مع بريطانيا يجب ان تهدأ ، وان تنتهي الى غير رجعة . وبانتهاء الخطر الفرنسي على بريطانيا ومصر ، استقرت الامور في البحر المتوسط الى حين . وحل محل التنافس الفرنسي بالنسبة لبريطانيا التنافس الألماني ، فاذا حدث واستطاعت ألمانيا التفاهم مع فرنسا لنال بريطانيا الخسران المبين وخاصة اذا مالت روسيا الى مثل ذلك التفاهم . ولذا اسرعت بريطانيا في منطقة الشرق الاقصى . كما عملت في نفس الوقت على اصلاح ذات البين مع فرنسا كي تطمئن على سلامة مرور تجارتها امام الشاطئ الأفريقي . ورأت بريطانيا ان خير حل يمكن الوصول اليه لتسوية مشاكلها مع فرنسا ان تنازل لها عن حقوق لا تملكها في مراكش في مقابل تنازل فرنسا



لها عن حقوق تملكها في مصر بمقتضى الاحتلال . وكانت فرنسا مستعدة لقبول مبدأ التعويض . وبالفعل قامت المفاوضات في لندن بين لورد لانزدون وزير الخارجية البريطانية وبين كامبون سفير فرنسا في إنجلترا وكانت فرنسا مترددة في أول الأمر لادراكها بأن بريطانيا ستتنازل لها عن حقوق لا تملكها في مقابل حقوق تملكها امتلاكاً حقيقياً . ولكنها أدركت أخيراً بأن حقوق فرنسا في مصر مهما كانت أحقيتها فيها فقد تلاشت وعفى عليها الزمن ، وأن من الأفضل لها أن تتطلع إلى اكتساب حقوق جديدة في بلاد أخرى على البحر المتوسط نفسه .

وطالت المفاوضات بسبب رفض الفرنسيين التسليم ببقاء الانجليز في مصر لأجل غير محدود ، وبتمسك الانجليز بأن تتنازل فرنسا عن مطالبة بريطانيا بالجلء عن مصر . وحسم الموقف بتوقيع الاتفاق الودى بين الدولتين في ربيع سنة ١٩٠٤ ، وفيها تركت فرنسا لبريطانيا حرية التصرف في مصر ، وتردت بريطانيا لفرنسا حرية التصرف في مراكش . وبهذه الاتفاقية اطمأنت بريطانيا إلى مركزها في مصر ، وإلى تفوقها البحري في البحر المتوسط ، وتقرر أن تكون الاسكندرية أهم قاعدة في البحر المتوسط للأسطول البريطاني .

وهنا يجدر بي - قبل أن اختتم هذا البحث - بأن أذكر أن هذه الاتفاقية وأن كانت قد وضعت حداً فاصلاً للمعارضة الأوربية للاحتلال البريطاني لمصر ، إلا أنها لم تغير من مركز مصر السياسي ، ففرنسا لا تستطيع أن تعطى ما ليس حقاً لها ، ثم إن بريطانيا نفسها وافقت على عدم تغيير مركز مصر ، فهي لم تضم مصر إليها ، بل لقد اعترفت بأن كل مالها في مصر هو حماية فعلية مستورة مؤقتة . ولكن الاتفاقية لم تلق الأيسر في قلوب المصريين ، فلم يعترف المصريون بالموقف الجديد ، وازدادوا إيماناً بحقوقهم واستمسكوا بقضيتهم وقضية الاستقلال .

مراجع البحث :

العريضة :

بطرس بطرس غالى ( دكتور ) : قناة السويس ومشكلاتها ( ١٨٥٤ -

١٩٥٧ ) القاهرة - الجمعية المصرية

• للقانون الدولي ١٩٥٨ •

راشد البراوى ( دكتور ) : مجموعة الوثائق السياسية - المركز الدولي

لمصر والسودان وقناة السويس •

القاهرة - مكتبة النهضة - الجزء الاول

• ١٩٥٢ •

رينوفان ، بيير : تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤ • ترجمة

• جلال يحيى - القاهرة - دار

المعارف - ١٩٦٨ •

عبد العزيز الشناوى ( دكتور ) : قناة السويس والتيارات السياسية

الدولية التى احاطت بانشائها. القاهرة -

معهد البحوث والدراسات التاريخية

• والجغرافية • الجزء الاول ١٩٧١ •

عبد الله رشوان ( دكتور ) : المركز الدولي لقناة السويس ونظائرها •

القاهرة - مطبعة حجازى ١٩٥٠ •

محمد محمود السروجى ( دكتور ) : مصر والمسألة الشرقية في النصف

الثانى من القرن التاسع عشر -

الاسكندرية ١٩٦٦ •

محمد مصطفى صفوت ( دكتور ) : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف

الدول الكبرى ازاءه ، الاسكندرية

• ١٩٥٢ •

محمد مصطفى صفوت (دكتور) : إنجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ -

١٩٥٦ ، الاسكندرية ١٩٥٦ •

محمد مصطفى صفوت (دكتور) : مؤتمر برلين ١٨٧٨ وأثره في البلاد

العربية ، معهد الدراسات العربية

العالية ، القاهرة ١٩٥٦ • ٨

#### الأجنبية :

- Arthur, Silva White The expansion of Egypt. under the Anglo-Egyptian condominium. London 1899.
- Hollberg, C.W.. 'The Suez Canal. Its history and diplomatic importance. N.Y. 1931.
- Hoskings, H.L., British routes to India. London 1928.
- Laferla, A.V., British Malta. Vol. 1 Malta, 1938.
- Marder, A.J., British Naval Policy (1880-1905) U.S.A. 1940.
- Marlowe, J., Anglo-Egyptian relations (1880-1953) London 1954.
- Renovin, Pierre, La Politique de l'empire. Paris. 1939.
- Safwat, M.M., Tunis and great Powers (1878-1881). Alex 1943.
- Seaton-Watson, Disraeli, Gladston and the Eastern Question, London, 1935.
- Stamp, Dudley. A commercial geography. London, 1937.

## الوجه النصراني للحضارة العربية

بقلم

الدكتور الاب رشيد حشادة

الجامعة اللبنانية - بيروت

لكل حضارة وجهها الخاص ، وسماتها الفريدة ، كما لكل ملامحة الفارقة وحضارة الشعوب الحية في تطور دائم كوجهه الانسان الحي ، لا ينفك يتبدل رويدا رويدا ما دام حيا ، لا وجه له ثابت الا متى اطبق عليه الموت ، فتتحجر حينئذ الملامح كما تتحجر في صخر التمثال أو في خطوط الصورة . فصورة الانسان مثالا تبرز الا خطوطه المتجلية في برهة معينة ، وهي ، بذلك ، كأنها تعزله عن الزمن ، وبالتالي عن الحياة المتطورة . هكذا الانسان الذي ينكب على درس وتحليل حضارة معينة فان اخطر مجازفة يركبها هي ان يعزلها عن سنة التطور والحياة ، وبالنتيجة فانه لا يمسك بيده الا حضارة ميتة قد تحجرت . فالحياة في دراسة حضارة الشعوب الحية تتبخر تحت الكلمة ولا يشعر بها الا من اندمج حياتيا بتلك الحضارة . فوصف الحضارات لا يتناول حتما الا قشورها ، ولا يلزم بروحها الا من عاشها من الداخل (١) .

وحضارتنا العربية اخذت في تاريخها المديد ، وجوها عدة برزت من خلالها على العالم وقد رمتها كل ناظر من وجهة خاصة وشغف بمظهر واحد وتخليها كما بانت لعينيه وغاب عن باله ان هذا الوجه لا يقدم له الا عنصرا فردا من عناصر الحضارة العربية المختلفة ، وأن الأمام

(١) هرسكوفتش : اسس الاتروبولوجيا الثقافية ( بالفرنسية ) ، باريس ١٩٦٧ .

بالعناصر الأخرى يقتضي ان يزيج ولو برهة عن وجهة نظره هذه . كرائد المتحف يتطلع الى جوهرة كريمة داخل خزانة زجاجية يدور حولها ليكمل عينيه بكل قسماتها ، فلا تفوته منها نظرة . اما اذا بقي مكانه لن يرى الا جزءا منها يسيرا ، رغم كونه وجهها صحيحا لها . فهل بنا نتنقل من الامكنة التي اعتدنا الوقوف فيها الى أمكنة أخرى ، فعسى ان الدوران حول جوهرة حضارتنا العريقة يسمح لنا بالتطلع اليها من كل جهاتها لندرك مدى أبعادها ونعي سعة غناها .

الحضارة مواد وبناء هي اولا معطيات حضارية ترثها الشعوب عما سلفها فتبني بها صرحها الحضاري . فتاريخ كل حضارة يشمل اجمالا نشأة الحضارة ثم اكتمالها فانحطاطها . هذا الشعب الناهض يأخذ ، بالمرحلة الاولى التركة الحضارية لشعب تقدمه ثم يطبعها بطابعه الخاص ويتميز بها بمتكر وفقا لنفسيته الخاصة . وبعد ان يكملها يعيش فيها ويحييها . وكما الناس هكذا الحضارات تدخل طور الشيخوخة والانحلال ، حتى يتاح لها من ينفع فيها روحا جديدة فيها من الجديد ما ينسجم مع تجذذات الانسان الحي المتطور ، وفيها من القديم ما يجسم روح تلك الحضارة التي ابدعتها نفسية الشعب الاصلية . هذه هي المراحل الأساسية التي تمر بها الحضارة . ففي نشأتها تأخذ عما سبقها وترتبط به . لا ضير على حضارة اذا ارتبطت بالتراث البشري العام ، فالانسان يستفيد بما انتجته العصور الغابرة . تعالوا نستقصي ما أخذ العرب عن الشعوب السالفة ونرى كيف تمت عملية الصهر والابتكار . ولكي تبقى هذه الصورة قريبة من الواقع نتطلع الى الحضارة العريقة

كما تبدؤ لآعيننا في القرن الرابع الهجرى أى العاشر الميلادى (٢) •  
 للشعب العربى ميزة استيعاب نادرة ومجبة استطلاع فريدة • فهو لم يترك  
 فنا الا زاوله ولم يلتق بأدب الا وتطرق اليه • فقد أخذ عن الشعوب  
 السالفة أرفع ما أبدعت وما كان يتلاءم وروحه العربية وحاجاته الاجتماعية •  
 وبعد ان صهرها في بوتقة نفسه العربية اخرجها الى العالم حضارة أصيلة  
 تعبر اجلى تعبير عما يخالج روحه من النزعات الشرقية السامية (٣) •  
 حكى لنا المؤلفون العرب كأبن أبى اصيبعة (٤) والقفطى (٥) وأبن النديم (٦)  
 والبيهقى (٧) وغيرهم (٨) قصة اطلاع العرب على الأدب الهندى والفارسى  
 وشيئا من اقتباساتهم للادب اليونانى والسريانى • كما ان ابن جيل (٩) يذكر  
 بعض المؤلفات التى ترجمت عن اللاتينية الى العربية فى الاندلس فى القرن  
 الرابع الهجرى الذى عاش فيه المؤلف • اننا لن نتوقف عند ما حمله اليُنا

(٢) آدم متر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى نقله الى العربية  
 محمد عبد الهادى او ريدة ( جزئين ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٧ م ،  
 رفائيل بابو اسحق : احوال نصارى بغداد فى عهد الخلافة العباسية ، بغداد ١٩٦٠  
 حبيب الزيات : الروم المكيون فى الاسلام ، ج ١ ، بيروت لبنان ، ١٩٥٣ •

(٣) راجع ما كتبه فى هذا الصدد موريس لومبار : الاسلام فى اول مجده  
 ( بالفرنسية ) ، باريس ١٩٧١ ، ص ١٢ - ١٣ - صلاح الدين خردابخش ؛  
 حضارة الاسلام ( ترجمة وتعليق الدكتور على حسنى الخربوطلى ) •  
 بيروت ١٩٧١ ، ص ١٧٥ - ١٨١ •

حضارة الاسلام ( ترجمة وتعليق الدكتور على حسنى الخربوطلى )  
 (٤) عيون الانباء فى طبقات الاطباء ( طبعة مولر الالماني تحت لقب امرى القيس  
 بن طحان ) القاهرة ١٨٨٢ •

(٥) اخبار العلماء باخبار الحكماء ( طبعة الخانجي ) القاهرة ١٢٣٦ •

(٦) الفهرست ، القاهرة ١٣٤٨ هـ •

(٧) تاريخ حكماء الاسلام ، دمشق ١٩٤٦ •

(٨) عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة العربية ، القاهرة ١٩٤٦ •

(٩) طبقات الاطباء والحكماء ( نشره فؤاد السيد ) القاهرة ١٩٥٥ •

هؤلاء المؤلفون العرب اذ لا يجهله احد . بل نريد ، في هذه العجالة ، ان تنوه ببعض الكتب النصرانية المعربة عن اليونانية والسريانية والقبطية التي عثرنا عليها في ابحاثنا ، مما لم يذكره من تقدمنا أو لم يعبأ به لخرجه عن نطاق اشغاله . ثم نورد اسماء الكتاب النصارى الذين ساهموا بأقلامهم بأقامة الصرح الحضارى العربى وهو وليد الجامع والكنيسة معا .

في التراث اليونانى أنصب أهتمام النصارى على تعريب الفكر اللاهوتى للآباء (١٠) ما عدا انشغالهم بترجمة الكتب الفلسفية والطبية .

اقدم كاتب تعرض له المترجمون هو اكليمنضوس ، تلميذ بطرس أول الخواريين وبابا رومية . له رسالتان نقلتا الى العربية (١١) ، وينسب له ايضا كتاب الاسرار وهو محفوظ في مخطوط في طورسينا يرتقى الى القرن التاسع أو العاشر الميلادى وقد نشرته السيدة جيسون (١٢) . ويعرف لاغناطيوس الانطاكي ( + ١١٧ ؟ ) عدة رسائل (١٣) شاعت بنصها العربى قبل القرن العاشر ، اذ ان ساويروس ابن المقفع القبطي مطران الاسمونين في مصر يذكرها ويستشهد بها (١٤) .

- 
- (١٠) يعتبر النصارى « آباء » للكنيسة المؤلفين الذين ظهوروا في العصور الاولى المسيحية وكانت كتاباتهم مقالة عند كل الفرق النصرانية .
- (١١) مصباح الظلمة في ايضاح الخدمة ، لشمس الرئاسة ابي البركات ابن كبر القبطي ( نشره سمير خليل قسيم ) القاهرة ١٩٧١ .
- (١٢) الدراسات السينائية ، ج ٥ ، لندن ١٨٩٦ ، ص ١٤ - ٣٠ .
- (١٣) راجع مقال باسيل : « مصدر عربى قديم لرسائل اغناطيوس الانطاكي » بالفرنسية ) في مجلة « كلمة الشرق » ( ملتو ) : ٤ ( ١٩٦٨ ) ، ص ١٠٧ - ١٩١ و ١٩٦٩ ( ١٩٦٩ ) ، ص ٢٦٩ - ٢٨٧ .
- (١٤) تاريخ الجامع ، نشره مع ترجمة فرنسية بطرس في سلسلة الآباء الترياقين ، باريس ، ج ٣ ( ٥ - ١٩ ) ، ص ١٢١ - ٢٣٢ . وردت مقاطع من رسالة اغناطيوس الانطاكي في ص ١٨٤ وما يتبع .

عرف العرب ايضا بوليكربوس اسقف ازميز ( + ١١٥ ؟ ) من خلال رسالته حول المسيح . اما ايريناوس اسقف مدينة ليون في فرنسا ، وهو من النصف الثاني من القرن الثاني ، فان مؤلفاته قد ترجمت الى السريانية ومنها الى العربية والجزء الاكبر منها محفوظ في اربعة مخطوطات فاتيكانية ترتقي الى القرن الثالث عشر (١٥) . ولاكليمنضوس الاسكندري ( + قبل ٢١٥ ) تفسير للانجيل نقل الى العربية وما زالت بعض اثاره محفوظة في مخطوطات الفاتيكان (١٦) . ومن مؤلفات هيبوليطس ازروماني ( + حوالي ٢٣٦ ) نقل الى العربية شرح التوراة ، وتفسير انجيل القديس متى وتفسير سفر الرؤيا (٧) . اما غريغوريوس العجائبي ( + ٢٧٥ ؟ ) فلنا منه منقولا الى العربية كتاب الايمان ودحض الهرطقات وبعض الخطب والرسائل العقائدية . للاسكندرائيين : ديونسيوس ( + ٢٦٤ ) والشهيد بطرس ( + ٣١١ ) واسكندر خليفته على كرسي الاسكندرية ( + ٣٢٨ ) مؤلفات عدة معربة ، منها ما هو منشور والجزء الاكبر ما يزال طي المخطوطات (١٨) . واما اتناسيوس الاسكندري ( + ٣٧٣ ) ويعد من اكابر اللاهوتيين في مصر فقد لاقت مؤلفاته المعربة منذ القرن التاسع الميلادي رواجا كبيرا عند النصارى ، خصوصا رسالته ضد الاريوسيين وتفسيره لكتاب الزبور

(١٥) راجع المخطوط لفاتيكاني العربي رقم ١٨٧ ، صحيفة ٦٥ وما تتبع - رقم ١٧ صحيفة ١٩٤ .

(١٦) انظر مخطوط رقم ٤١٠ و ٤٥٢ .

(١٧) ابن كبر : مصباح الظلمة ، ص ٢٨٨

Id BRAUKE, "Ein arabisches Bruchstück aus Hippolyt's schrift über den Antichrist", dans zeitschrift für die wissenschaftliche Theologie, 36, 1(1892), PP. 282-289; G.GRAF, Geschichte der Christlichen Arabischen Literatur, Citta del Vaticano, 1944, t. I, P. 306-308.

(١٨) راجع للمصادر التي نوه عنها غراف في كتابه المذكور آنفا ، ص ٣٠٩ - ٣١٠



ورسائله ، والمقسيم الأكبر من خطبه الدينيه وقد اربت على الستين خطبة (١٩) . تلميذه تيوفيلوس الاسكندري ( + ٤١٢ ) عرب له الاقدمون بعض الاقوال الروحية وقسما كبيرا من خطبه اللاهوتية . وثمة بعض تفاسير للاناجيل منها قسم لاوسايبوس القيصري ( + ٣٤٠ ) وديديموس الاعمي ( + ٣٩٨ ) وتيطس اسقف البصرة المتوفي قبل سنة ٣٧٨ . معربو هذه الكتب مجهولون ، ولا يستبعد ان يكون بعض هؤلاء ممن تصدوا لكتب فلاسفة اليونان ، كما ثبت لنا ذلك تعريب الكاتب النصراني المشهور اسحق بن حنين ( + ٨٧٣ ) لكتاب طبيعة الانسان وقد نسب لغريغوريوس نصوص وورد ذكره عند ابن النديم (٢٠) ، وهو في الحقيقة لمناسيوس الحمصي . مؤلفات باسيليوس الكبير رئيس اساقفة قيصريه الكابادوك ( + ٣٧٩ ) اللاهوتية والنسكية ظهرت في اللغة العربية منذ القرن التاسع الميلادي وقام بتعريب الجزء الكبير من خطبه الروحية الشيخ عبد الله ابن الفضل النصراني في القرن الحادي عشر (٢١) .

وهناك رسالة روحية يغلب عليها الطابع الفلسفي ظهرت في القرن الرابع الميلادي باللغة اليونانية ثم نقلت الى العربية ، ويرجح ان التعريب كان عن السرياني وشاعت بعنوان « مسائل وأجوبة باسيليوس وغريغوريوس » ، فقد كثر نسخها في العراق وسوريا وخصوصا في مصر (٢٢) . ولغريغوريوس هذا ، ويعرف بغريغوريوس اللاهوتي

(١٩) ذكر له ابن كبر ( مصباح الظلمة ، ص ٢٩٢ ) خمسة كتب مصرية .  
(٢٠) الفهرست ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٥٧ . ذكره ايضا ابن كبر في مصباح الظلمة ص ٢٩٠ .

(٢١) راجع لويس شيخو : المخطوطات العربية لكتبه النصرانية ، بيروت ١٩٢٤ ، ص ٥٢ - ٥٤ و ٢٣٥ - ابن كبر : مصباح الظلمة ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢٢) نشرها جرجس يعقوب : رسائل دينية قديمة ، القاهرة ١٩٢٦ ، ص ٩٤ - ٥٥ .

الانطاكي في أواخر القرن العاشر الميلادي • وأما عبد الله ابن الفضل فقد  
 عرب لغريغوريوس نيصص ( + ٣٩٤ ) شرحه لستة أيام الخليقة • ومواعظ  
 كيرلس الاورشليمي ( + ٣٨٦ ) نقلت الى العربية قبل القرن الثاني عشر  
 الميلادي (٢٣) ويوحنا الملقب بالذهبي الفم وهو كاتب وخطيب ذائع الصيت ،  
 وقد سلخ قسما كبيرا من حياته في انطاكية قبل ان ينتقل الى القسطنطينية  
 فانه نال قسما وافرا من عناية المترجمين العرب الذين نقلوا له عدة خطب  
 وعظية ومقالات لاهوتية ورسائل كتابية • وأنتك لا تجد مجموعة  
 مخطوطات عربية في دير أو مكتبة مسيحية خالية من مؤلفات هذا  
 اللاهوتي (٢٤) • ولكيريلس الاسكندري ( + ٤٤٤ ) كتاب الكنوز ،  
 ومجادلة مع نسطوريوس والحرومات ومقتطفات عدة من كتب لاهوتية  
 وكتابية نقلت كلها الى اللغة العربية ولاقت أوسع انتشار بين  
 المسيحيين (٢٥) •

لقد طالت اللائحة وتوجب علينا الاختصار • فلنذكر عابرين المؤلفين  
 الآخرين الذين نقلت كتبهم من اليونانية الى العربية (٢٦) وهم بركلس بطريرك  
 القسطنطينية ( + ٤٤٦ ) وتيودوتوس اسقف انقره ( + قبل ٤٤٦ )  
 وتيود وربطوس القورشي ( + حوالي ٤٥٨ ) وأنسطاسيوس الانطاكي  
 ( + ٥٦٩ ) وأوستراتيوس الكاهن القسطنطيني ( آخر القرن السادس ) ،

(٢٣) راجع غراف : تاريخ الادب المسيحي العربي ( بالامانة ) ص ٣٣٠ - ٣٣٧

(٢٤) قسطنطين الدانيال : « القديس يوحنا فم الذهب في الادب العربي » ( بافرنسية )

في كتاب دراسات وابحاث حول القديس يوحنا فم الذهب ، رومية

سنة ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ، ص ١٧٣ ن ١٨٧ •

(٢٥) غراف : الكتاب المذكور ، ص ٣٥٨ - ٣٦٥ •

(٢٦) راجع ما ورد عن هؤلاء المؤلفين في كتاب غراف المذكور ، ص ٣٦٥ - ٣٧٧ •

والكاتب المعروف بديونسيوس الارثوفاجي وصفروبيوس المقدسي الذي حضر  
فتح بيت المقدس والمتوفي سنة ٦٣٨ ومكسيموس المعتزف ( + ٦٦٢ )  
وأنسطاسيوس رئيس دير طورسينا ( + حوالي ٧٠٠ ) وأندراوس الدمشقي  
اسقف كربت ( + ٧٤٠ ) وجرمانوس بطريرك القسطنطينية ( + ٧٣٣ )  
وخصوصا يحيى أو يوحنا الدمشقي ( + ٧٤٠ ) . وهذا الكاتب نديم  
الخلفاء الامويين قبل ترهبه ( ٢٧ ) عاش في بيئة عربية بيد انه حصل على  
ثقافة يونانية وفيها ألف كتبه التي نقلت الى العربية في القرن العاشر  
والحادى عشر . من مؤلفاته العربية كتاب في الفلسفة والمنطق وفي علم  
الكلام ( ٢٨ ) .

زد على هذا التراث العلمي الضخم مجموعات مهمة من المؤلفات الصوفية  
أو النكية المغفلة ككتاب بستان الرهبان وكتاب مفتاح باب فردوس الله  
واخر بعنوان فردوس الرهبان وايضا كتاب البستان في اخبار الرهبان والمؤلفات  
المنسوبة لمكاربيوس المصري ويوحنا التباقيسي ( أى الاسيوطي ) وكذلك  
اسطفانوس التباييسي وموسى الحبشي ( + حوالي ٣٩٥ ) وأفاغريوس  
البنطي ( + ٣٩٩ ) والانبأ نيلس ( + حوالي ٤٣٠ ) ومعاصره مرقس الناسك  
وأشعيا المتوحد ( + ٤٨٨ ) ودانيال الاسقيطي ( القرن السادس ) وسمعان  
العامودى الجديد ( + ٥٩٢ ) والانبأ دوروثاوس ( + حوالي ٥٤٠ ) ،  
وقد عربت ميامره منذ القرن التاسع ، ومعاصره برصنوفوريوس ، ومن القرن  
السابع ثالاسيوس ويوحنا الكرباتي وغيرهم . ولا ننسى يوحنا السلمي  
( + حوالي ٦٤٩ ) رئيس دير طورسينا صاحب الكتاب المشهور « سلم  
الفضائل » وأنطيوخيمس الراهب الذى من دير مار سابا مؤلف كتاب

( ٢٧ ) ابو الفرج الاصفهاني : كتاب الاغانى ، القاهرة ١٩٢٨ - ١٠ - ج ١٦ ، ص ٧ .

( ٢٨ ) راجع المخطوط الفاتيكانى العربى رقم ١٢٢٣ ، صحيفة ٧ - ٦٣ .

## الحاوى (٢٩) •

وقد ظهرت عدة مقاطع من مؤلفات أبوليناريوس اللاذقي ( + ٣٩٢ ) وتلميذه فيتاليس وتيموتاوس اسقف بيروت في مجموعة لاهوتية تعرف بكتاب اعتراف الاباء • وأما يحيى النحوى ، وهو من النصف الاول من القرن السادس فقد غني النصارى بتعريب الكثير من مؤلفاته الفلسفية والدينية حتى ارتفعت منزلته كثيرا عند العرب وحيكت حوله عدة روايات حكى لنا البعض منها القفطى (٣٠) وسرد لنا شيئا من مؤلفاته مثل رده على نسطوريوس ، انما اغفل ذكر رسالة له في النسك (٣١) • ومن هذه الحقبة نذكر ايضا البطريرك الانطاكي ساويروس ( + ٥٣٨ ) ، الذى اهتم اليعاقبة والاقباط بتعريب مؤلفاته العقائدية وخطبه الدينية ورسائله وكتبه الطقسية ، فانه كان من اكبر المناصرين للكنيسة اليعقوبية (٣٢) •

تلك هي اهم المؤلفات النصرانية التى نقلها العرب من اليونانية الى لغتهم العربية • وهى ، اذا قوبلت بالمؤلفات اليونانية المعربة في الطب والفلسفة كانت أوفر منها عددا ولا تقل عنها شأنا ، انما ردحا طويلا من الزمن مطموسة في مخطوطات الديارات النصرانية • فالتعريب عن اليوناني كان ذلك التيار الذى حمل الى العرب سيلا من الكتب اليونانية ، المسيحية منها وغير المسيحية • والملكيون هم الذين اشتغلوا في هذا المضمار وكانت لهم اليد الطولى بالتعريب عن اليونانية ، فكنيستهم هي امتداد البطريركية الانطاكية

---

(٢٩) غرف : الكتاب المذكور ص ٣٨٠ - ٤١٤ •

(٣٠) القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢٣٢ - ٢٣٤ •

(٣١) راجع لائحة مخطوطات دير السريان المحفوظة في المتحف القبطي التى اعدّها

يس عبد المسيح ولم تنشر بعد رسالة يحتوى النحوي مخطوطة في : المخطوط

رقم ٦٠ من الدير المذكور •

(٣٢) غراف : الكتاب المذكور ، ص ٤١٨ - ٤٢٠ •

والاسكندرية من العالم البيزنطي الى العالم العربي • اما النساطرة واليعاقبة  
فلهم الفضل الأكبر بخلق تيار مماثل نقل الكثير من الكتب السريانية  
الى العربية (٣٣) •

أول الكتب السريان الذين عربت مؤلفاتهم هو أفرام السرياني (٣٤)  
( + ٣٧٣ ) ، فلنا منه في مخطوطات القرن التاسع الميلادي عدة كتب •  
وما ان انقضى القرن العاشر حتى كان القسم الأكبر من إنتاجه الادبي بين  
أيدي النصارى العرب تحتل المقام الاول في الصوامع والديارات ، الى  
جانب مؤلفات يوحنا سآبا المعروف عند العرب بالشيخ الروحاني وقد نُسك  
في بيت دليطا ، ومؤلفات مار اسحق السرياني وكتب يعقوب السروجي • هؤلاء  
الأربعة هم الكتب السريان الكبار الذين انتشرت كتبهم أوسع انتشار  
بين أيدي النصارى عموما والرهبان خصوصا • وتجدر الاشارة الى  
كتاب آخرين نقلت مؤلفاتهم السريانية الى العربية نظير يوحنا الرهاوي  
وأبراهيم النفري وقرياقوس النصيبي وشهدون الاسقف وزيد ابن شمعون  
طيوتنه (٣٥) وفيلوكسانس المنبجي ( + ٥٢٣ ) وبولس متروبوليت  
نصيبي ( + ٥٧١ ) ، طبيب الفرس الساسانيين ويعرف ايضا بولس البصري  
مطران نصيبي ، ويعقوب البرادعي ( + ٥٧٨ ) وماروتتا التكريتي ( + ٦٤٩ )  
ويعقوب الرهاوي ( + ٧٠٨ ) وداود ابن فولس وهو من القرن الثامن •  
اما الادب القبطي فقد نال نصيبه من التعريب اذ انتشرت في مصر مؤلفات  
انطونيوس أبي الرهبان ( + ٣٥٦ ) وباخوميوس ( + ٣٤٦ ) وشنودا

---

(٣٣) خليل الجر : قاطيغوريات ارسطوطاليس في ترجماتها السريانية العربية  
( بالفرنسية ) بيروت ١٩٤٨ ، ص ٢٩ - ٣٢ •

(٣٤) راجع العدد الخاص بهذا الكاتب الذي اصدرته مجلة « كلمة الشرق » وهو

الجزء الاول والثاني من السنة الرابعة ، سنة ١٩٧٣ •

(٣٥) ذكره ابن ابي اصبعة ( جزء اول ، ص ١٠٩ ) ودعاه طيوتنه •

( + ٤٥١ ) و تيموتاوس الاسكندري ( ٤٧٧ + ) ويزتيوس القفطي

( + حوالي ٦٣٢ ) وقسطنطين الاسيوطي ويوحنا البرلسي ، وهما من اوا

القرن السابع ، والبطريرك بنيامين الذي استقبل عمرو بن العاص في الاسكندرية وحظي منه باكرام بارخ ، وقرياقوس البهنسي وغيرهم كثيرين (٣٦) .

انا فضرب صفحا عن مؤلفات سير الاولياء والنسالك التي ظهرت في اليونانية والسريانية والقبطية ومنها انتقلت الى اللغة العربية ، فانها اكثر من ان تحصى . لما اتنا نمر مر الكرام على كل تلك الرتب الطقسية المختلفة التي يتقرب بها المصلون النصارى من الله وقد عربت كلها من اللغات القديمة التي كتبت فيها . وعلم القوانين أو الفقه نشأ عند النصارى العرب مما سببه الإقدمات في مجامعهم المسكونية أو المحلية وقرره القديسون والحكام قبل الفتح العربي ، ومما زيد عليه بعد الفتح حسبما اقتضت الحاجة الى أفراره ونشره بين المؤمنين .

تدلنا هذه اللمحة على اهم الاسماء التي انقلت الى العربية وساعدت على خلق ذهنية مسيحية عربية لها أبعادها الثقافية وأصولها الحضارية . نل هذا التراث القديم انتقل الى أيدي العرب فاعملوا فيه الفكر واستلهموه وراحوا يكتبون بهدية صفحات رائعة خلدت ذكرهم هكذا نشأت ، الى جانب المكتبة المعربة ، مكتبة نائية خلفها الكتب النصارى الغرب وهي تشل ابهى تمثيل الادب المسيحي العربي الأصيل .

ان النصارى العرب جزء لا يتجزأ من الامة العربية . فقبل ظهور الاسلام كانوا منتشرين في اصقاع مختلفة من الجزيرة العربية وبادية

(٣٦) غراف : تاريخ الادب المسيحي العربي ( بالالمانية ) ج ١ ، ص ٤٥٦ - ٤٧٨

فطاحل(٣٩) ، وبرز فيهم اساقفة كبار حضروا المجامع المسكونية منذ القرن الرابع الميلادي ( ٠ ) وكانت الحياة المسيحية زاخرة بالتقوى والصلاة بدليل قيام جماعات رهبانية كان لها اطيب الاثر عند العرب في الجاهلية الشام(٣٧) وقد دان بدين النصرانية عدة قبائل عربية جزيلة العدد ورفيعة المقام لبني كلب وتنوخ وسليح من فضاءه وقبيلة جذام وتعلب وبكر وتميم والحارث بن كعب وكنده وغيرها(٣٨) ، وقام منهم شعراء وصدر الاسلام ولم تقتصر الحياة الرهبانية على الرجال فحسب(٤٠)

73J. RYCKMANS, "Le christianisme en Arabie du Sud preislamique", dans "Accademia Nazionale dei Lincei" CCCXI (1964) Quaderno 62, pp. 413-454; S. VAILHE, "La province ecclesiastique d'Arabie", dans "Echos d'Orient" II (1899), pp. 166-177; R. BELL, "The origin of Islam in its Christian environment", London, 1926, pp. 1-63; F. NAU, "Les Arabes Chrétiens de Mesopotamie et de Syrie du VIIIe s.", Paris 1933, H. CHARLES, "Le christianisme des Arabes Nomades ....", Paris 1936; R. DEVREESE, "Le Christianisme dans la province d'Arabie", dans "Vivre et Penser", 2e serie, 1942, pp. 110-146; Tor ANDRAE, "Les Origines de l'Islam et le Christianisme", traduit de l'allemand par J. ROCHE, Paris 1955, surtout aux pp. 1-38, etc....

(٣٨) راجع ما كتبه الجاحظ في « الرد على النصارى » ( طبعة فنكل ) القاهرة ١٩٢٥ ، ص ١٥ .

(٣٩) لويس شيخو : النصرانية وآدابها قبل الاسلام بجزئين ، بيروت ١٩١٩ - ١٩٢٣ (٤٠) هنري لامنس : الديارات القديمة في حوران ( بالفرنسية ) بمجلة « الشرق المسيحي » ج ٨٠ ( ١٩٠٣ ) ، ص ٤٧٨ - ٤٨١ ، - انست هنتمان : الديارات في سوريا الشمالية قبل الاسلام ( بالالمانية ) بمجلة الدراسات السامية ، ج ١ ( ١٩٢٢ ) ص ١٥٠ - ٣٢ .

بل قامت أيضا ديارات نسائية أشهرها دير هند الصعري (٤١) أي هند بنت النعمان الأصغر ودير هند الكبرى (٤٢) أي هند بنت الحارث بن عمر بن حجر، وقد بني هذا الدير الأخير في زمان كسرى انوشروان وأفریم الاسقف .

ولما خرج العرب من جزيرتهم لفتح سوريا كان الكثير من أخوانهم النصارى يجوبون بادية الشام أو كانوا أخذوا يتحضرون في حوران وعلى مشارف دمشق . وما ان شاعت اللغة العربية في الشام والعراق ومصر . ونفصت اللغات السابقة ، حتى دخل في جو الحضارة العربية شعوب نيرة غلبت عليها النصرانية وكانت تنعم بحضارة عريقة وفكر متطور كالادب السرياني والادب اليوناني ، وكان من الطبيعي ان يبدل هذا القوم لحنه القديمة بلغة العرب في التخاطب والكتابة . على هذا النحو برز عند النصارى جبهة ضخمة من المؤلفين نكتفي بذكر الكبار منهم الذين عاشوا قبل القرن الحادي عشر .

أول الملكيين ، في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع ، تيودوروس أبو قره اسقف حران ( + ٨٢٥ ) . له كتابان في اليونانية والعربية (٤٣) والسريانية . مذهبه الفلسفي شبيه بمذهب معلمه يحيى الدمشقي . تبعه

---

(٤١) أبو الفرج الاصفهاني : كتاب الاغاني ، ج ٢ ، ص ٣٣ - ابن فضل الله العمري :

مالك الابصار في الممالك والامصار ( طبعة احمد زكي . باشا ) القاهرة ١٩٢٤ ، ص ٣٧٧ .

البكري : معجم ما استعجم ( طبعة وستفالد ) غوتنجن ١٨٧٦ ، ص ٣٦٣-٣٦٢

(٤٢) البكري : معجم ما استعجم ، ص ٦٤ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ( طبعة

وستفالد ) ج ٢ ، ص ٧٠٩ .

(٤٣) نشرها قسطنطين الباشا بعنوان : ميامر تاودرس ابي قره اسقف حران ،

بيروت ١٩٠٤ .



في أوائل القرن العاشر قسطنطين لوقا البعلبكي الذي ناظر ، مع حنين بن اسحق ،  
 ابا الحسن علي ابن يحيى المنجم ( + ٨٨٨ ) ( ٤٤ ) وفي مصر عاش سعيد ابن  
 البطريق وهو افتيخيوس الاسكندري ، كان بطريكاً على الملكيين  
 في الاسكندرية ( + ٩٤٠ ) له كتاب التاريخ دعاء « نظم الجوهر » ( ٤٥ ) . ومن  
 المعاصرين له محبوب ابن قسطنطين المنبجي صاحب كتاب « العنوان » وهو  
 كتاب تاريخ تقف حوادثه عند سنة ٩٤١ ميلادية ( ٤٦ ) . اما انطونيوس ( ٤٧ )  
 رئيس دير مار سمعان العمودي قرب انطاكية ( النصف الثاني من القرن  
 العاشر ) ، فقد اشتهر كمترجم اذ عرب عن اليونانية ميامر غوريغوريوس  
 اللاهوتي وعظات يوحنا فم الذهب والفصول الفلسفية وشرح الامانة  
 المستقيمة ليحيى الدمشقي وكتباً أخرى له مع بعض نعاليم روحانية للآباء .  
 نعرف من معاصريه ابراهيم ابن يوحنا الانطاكي ( ٤٨ ) وقد نقل عن  
 اليونانية ٥٢ كتاباً للقديس افرام السرياني كما انه غني بتعريب ثلاثين ميمرا  
 لغريغوريوس النزينزي ، والقس نطيف ابن يسن الداهن والفيلسوف والطبيب  
 البغدادي ، وقد اشتهر بتعريب كتب فلسفية من اليونانية ، وله مقالة  
 في ماهية اعتقاد النصاري ( ٤٩ ) . من انطاكية خرج يحيى بن سعيد صاحب  
 كتاب الدليل لتاريخ سعيد بن البطريق الذي كانت تربطه به قرابة على ما اخبر  
 ابن ابي اصيبعة ( ٥٠ ) . وتمتد حوادث الدليل من سنة ٩٣٨ الى سنة

( ٤٤ ) راجع محاضرتنا في مؤتمر المستشرقين الدولي المنعقد في باريس ( ١٦ - ٢١

تموز ١٩٧٣ ) وهي قيد النشر في مجله A AB.CA

( ٤٥ ) نشره لويس شيخو بجزئية في بيروت سنة ١٩٠٦ و ١٩٠٩ .

( ٤٦ ) نشره لويس شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢ واسكندر فاسيليف في باريس في  
 سلسلة الآباء الشرقيين .

( ٤٧ ) غراف : تاريخ الادب المسيحي العربي ، ج ٢ ، ص ٤١ - ٤٥ .

( ٤٨ ) ابو البركات ابن كبر : كتاب مصباح الظلمة ، ص ٢١٤ .

( ٤٩ ) راجع مخطوط ١٧٣ ، صحيفة ٩٢ - ٩٩ من المخطوطات العربية المحفوظة في  
 المكتبة الوطنية بباريس .

( ٥٠ ) عيون الانبياء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

١٠٢٨ (٥١) • وليحيى ايضا ثلاثة كتب لاهوتية (٥٢) •

وتيوفيلوس ابن توفيل الدمشقي اسقف الماتيين في القاهرة ( النصف الاول من القرن الحادى عشر ) اعاد تعريب الانجيل عن الأصل اليوناني ، كما حكى أبو الفرج هبة الله ابن العسك في مقدمة كتابه عن الانجيل • اما الشيخ أبو الفتح عبد الله ابن الفضل الانطاكي (٥٣) المتوفي بعد سنة ١٠٥٢ بقليل فكانت له اليد الطولى في اعلاء شأن الادب النصراني بما عرب والف على السواء • فمن معرباته سفر الزبور وخطب يوحنا فم الذهب وبعض مؤلفات باسيلس القيصرى وعريغوريوس نيصص ومكسيموس المعترف وأندراوس اسقف كريت ويحيى الدمشقي واسحق السرياني • اما نتاجه الخاص فنذكر منه كتاب المنفعة وهو ضخيم يجتمع بين دفتيه زبدة العلوم الكلامية والفلسفية والعلمية • • وكتاب بهجة المؤمن يقدم به المؤلف الادلة الفلسفية لمعتقدات النصرانية وكتاب الروضة وهو يضم اقوالا اقتطفها ابن الفضل من الكتب المقدسة ومن خمسة وثلاثين فيلسوفا يونانيا تقريبا ومن اكابر آباء الكنيسة حول واحد وسبعين موضوعا اخلاقيا لتهديب النفس • هذا ما عدا كتباً أخرى وصلت الينا واغفلنا عن ذكرها او ضاعت ولم تصل •

لا نعرف احدا من الموارنة في هذه الحقبة سوى المؤرخ قيس الماروني وله كتاب تاريخ العالم تنتهى حوادثه في خلافة المقتفي ( + ٩٠٤ - ٩٠٨ ) وهذا الكتاب الذى ضاع ، واستفاد منه المسعودى (٥٤) •

اما المؤلفون النساطرة فعددهم وفير ومقامهم رفيع • أولهم تلك الأسرة الراسخة في علم الطب والفلسفة آل بختيشوع من جنديسابور وقد

---

(٥١) نشر كتاب الذيل في باريس سنة ١٩٢٤ مع ترجمة فرنسية بعناية

اغناطيوس كراتنو كوفسكي وفاسيليف •

(٥٢) راجع بولس سباط : الفهرس ، رقم ٢٥٢٧ - ٢٥٢٩ •

(٥٣) غراف : الكتاب المذكور ، ج ٢ ، ص ٥٢ - ٦٤ •

(٥٤) كتاب التنبيه والاشراف ( طبعة دى غويه ) ليدن ١٨٩٤ ، ص ١٥٤ •

تناقل العلم من جيل الى جيل على مدى ثلاث قرون تقريبا في عهد العباسيين •  
 مؤسسها جوارجيس ابن جبرائيل وابنه بختيشوع وحفيده جبرائيل  
 وابن حفيده بختيشوع وحفيد حفيده يوحنا • من أبناء هذه  
 الاسرة جبرائيل بن عبيد الله • وابنه ابو سعيد عبيد الله هؤلاء  
 كلهم خدموا الطب والفلسفة والمنطق والديانة النصرانية بما عربوا  
 والقوا • نقل اليها اخبارهم ابن ابي اسبيعة (٥٥) وابو الفرج ابن العبري (٥٦)  
 والقفطي (٥٧) من القدماء • وشيخو (٥٨) وسليمان صالح (٥٩) ويوسف  
 غنيم (٦٠) من المتأخرين • ومالس ميرصوف (٦١) وبرغستراسر (٦٢)  
 وبروكلمان (٦٣) ودائرة المعارف الاسلامية •••

من المترجمين النصارى نكهي بذكر اسماء : ابي الحسن عيسى بن حكم  
 المسيحي الدمشقي (٦٤) والراهب هارون بن عزور (٦٥) وأبي زكريا يحيى ابن

- 
- (٥٥) عيون الانباء ، ج ١ ، ص ١٢٣ - ١٤٨ •  
 (٥٦) تاريخ مختصر الدول (طبعة ايطنون صالحاني) بيروت ١٨٩٠ ، ص ٢١٣ - ٢١٥  
 و ٢٢٥ - ٢٢٨ و ٢٤٩ - ٢٥٠ •  
 (٥٧) تاريخ الحكماء (طبعة جوليوس ليبرت) ليزك ١٩٠٣ ، ص ١٠٢ - ١٠٤  
 و ١٤٦ - ١٥١ •  
 (٥٨) مجاني الادب في حقائق العرب ، بيروت ١٩٠٠ ، ج ٤ ، ص ٢٩ - ٣٠٠ •  
 (٥٩) راجع مقال عن اسرة بختيشوع في مجلة « لنجم » ، ٤ ( ١٩٣٢ ) ص ٣٢٦  
 وما يتبع •  
 (٦٠) راجع مجلة المشرق ٨ ( ١٩٠٥ ) ص ١٠٩٧ - ١١٠٧ •  
 (٦١) راجع مجلة ايزيس ٨ ( ١٩٢٥ ) ص ٧١٧ وما يتبع •  
 (٦٢) حنين بن اسحق ، حول ترجمات كتب جالينوس السريانية والعربية (بالألمانية)  
 ليزك ١٩٢٥ •  
 (٦٣) تاريخ الادب العربي ( بالألمانية ) انظر الفهارس •  
 (٦٤) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، الدليل ج ١ ، ص ٤١٦ •  
 (٦٥) ابن ابي اسبيعة : عيون الانباء ، ج ١ ، ص ٧٢ •

البطريق المترجم (٦٦) ويوسف بن ابراهيم الحابس ابن دايه (٦٧) وقد بزهم جميعا في علم الطب يوحنا ابن ماسوية ( + ٨٥٧ ) • كان طبيا مقدما عند المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل واخباره مشهورة (٦٨) • وجاثليق النساطرة تيموتاوس الكبير (٦٩) ( + ٨٢٣ ) • ما عدا ترجمته لكتاب ارسطو في الشعر له محاوره معروفة مع الخليفة المهدي حول العقائد النصرانية وموقف النصاري تجاه الاسلام • حول هذا الجاثليق نرى صديقه ابا نوح ابن الصلت الانباري (٧٠) وكان ابا الفضل على ابن ربان النصراني (٧١) وحليفه على رسي انجمنه يتنوع بن بون (٧٢) وكلهم من الكتبة المبدعين • واما حبيب ابن بهريز فكان اولا اسقفا على حران ثم انتقل الى رسي ابوسل وساس في رمن • وللهذا الخليفة عرب لنبأ في المنطق والفلسفة وللأسقف حبيب ابن بهريز عدة نظريات قريه من الاسلام (٧٣) وفتيون ابن أيوب الترجستان الشامي نقل الى العربية بعض الاسفار المقدسة

- 
- (٦٦) ابن العبري : تاريخ مختصر للدول ، ص ٢٣٩ - ابن ابي اصيبه : عيون الانباء ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
- (٦٧) انظر المراجع في بركلمان : الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٢٣٢ وانذيل الاول ص ٤١٦ .
- (٦٩) رافائيل بيدويد : رسائل البطريرك النسطوري تيموتاوس الاول (بالفرنسية) الفاتيكان ١٩٥٦ - هانس بوتمان : الكنيسة النسطورية في بطريركية الجاثليق تيموتاوس الاول ( اطروحة بالفرنسية غير منشورة قدمها المؤلف في جامعة ليون سنة ١٩٧٠ ) •
- (٧٠) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٤٤ - بولس سباط : الفهرس ، الذيل ، القاهرة ١٩٤٠ ، رقم ٢٥٣٠ - ٢٥٣٢ .
- (٧١) بولس سباط : الفهرس ج ١ ، القاهرة ١٩٣٨ ، رقم ٤١٨ .
- (٧٢) ادوارد ساخاو : كتب لفقه السريانية ج ٢ ، برلين ، ص ٢١ - ٢٤ (من المقدمة) و ١٢١ - ١٧٧ .
- (٧٣) ابن ابي اصيبه : الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

وعاش في بغداد في نصف القرن التاسع الميلادي . كانت تربطه صداقة حميمة  
 بعبد الله ابن كلاب ، كما اخبر ابن النديم (٧٤) ، وكبير علماء قومه هو دون  
 شك حنين ابن اسحق (٧٥) الذي ادى الى الحصار العربية خدمات جليلة  
 بسا عرب هو وابنه اسحق (٧٦) وتلميذه حبش بن الحسن الاعمى (٧٧)  
 واصطفان ابن باسيل (٧٨) وعيسى بن يحيى بن ابراهيم (٧٩) وعيسى ابن  
 علي (٨٠) وثمة جبهة من الاطباء النصارى من القرن التاسع والعاشر  
 أخذناهم عن كتب القفطي وابن النديم وابن ابي اصيبعة نكتفي بذكر اسمائهم  
 وهم : سلموية ابن بنان ، وسابور ابن سهل من جنديسابور وتيودوروس  
 اسقف الكرخ وعيسى ابن ماسه من مرو ويحيى ابن سراييون وخالد بن يزيد  
 بن رومان النصراني والقس يوسف الساهر وأبو الحسين ابن كشكرايا ولوقا  
 ابن سراييون وعيسى ابن يوسف ابن العطاس النصراني الموصللي وغيرهم ...

واذا كان الجاثليق يوحنا بن عيسى ابن الانرج (٨١) ( ٩٠٥ + ) لم يترك  
 اثرا في كتب المؤلفين المسلمين ، رغم كونه كاتبا كنسيا مشهورا في عالم الفقه ،  
 فان ابا بشر متى بن يونس نعم بشهرة تاذرة . حكى عنه القفطي فقال :

- 
- (٧٤) الفهرست ، ج ١ ، ص ٢٤ و ١٨٠ و ٢٤٤ .  
 (٧٥) انظر المراجع عن هذا المؤلف في غراف : تاريخ الادب المسيحي العربي  
 ( بالالمانية ) ج ٢ ، ص ١٢٢ و ١٢٩ .  
 (٧٦) راجع ايضا المؤلف المذكور ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .  
 (٧٧) القفطي : اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ١٢٢ .  
 (٧٨) بركلمان : تاريخ الادب العربي ، الذيل الاول ، ص ٣٧٠ .  
 (٧٩) برغشتراسر : حنين ابن اسحق ومدرسته ( بالالمانية ) ، ليدن ، ١٩١٣ ، ص ١٤ .  
 (٨٠) ابن ابي اصيبعة : عيون الانبياء ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .  
 (٨١) راجع تاريخ ميخائيل السرتاني الكبير ( طبعة شابو ٤ ، باريس ١٩٠٥ ،  
 ج ٣ ، ص ١٢١ و ٤٦٣ وما يتبع .

« عالم بالمنطق ... وعلى كتبه وشروحه اعتماد اهل هذا الشأن في عصره » (٨٢) • وقد شهد عنه ابن النديم فقال : « اليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره » (٨٣) • هو من اكابر شراح الفلسفة الارسطية وقد تعلم في مدرسة مار ماري في دير قنى حيث كانت تدرس علوم المنطق والنحو والشعر والهندسة والفلك والطب والفلسفة وعلوم الدين باللغة العربية الى جنب اللغتين السريانية واليونانية » (٨٥) • وقد قام بين النساطرة في القرن العاشر والحادي عشر عدة اساقفة القوا او عربوا كتباً هامة خلدت اسماءهم وهم جرجس متروبوليت الموصل (٨٦) واسرائيل اسقف كسكر (٨٧) وأيليا الاول الجاثليق ( + ١٠٤٩ ) (٨٨) وخطوط ايليا مطران نصيبين ( + ١٠٤٦ ) (٨٩) صديق ابي القاسم الحسين ابن علي المغربي وله معه مجالس مشهورة • ولمطران نصيبين مؤلفات كثيرة في العقائد الدينية

(٨٢) اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢١٢ •

(٨٣) الفهرست ، ص ٣٦٨ •

(٨٤) ترى عدة مراجع حوله في كتاب غراف الاف المذكور ، ص ١٥٣ - ١٥٤ •

(٨٥) راجع الشابشتي : كتاب الديارات ، مع الدليل للناسر كوركيس عواد ، طعة ثانية ، بغداد ١٩٦٦ ، ص ٣٩٥ •

(٨٦) راجع المخطوط الفاتيكانى العربي ، رقم ١١٠ •

(٨٧) انظر كتاب المجلد لماري ابن سليمان ( طبعة جيسمندی ) رومية ١٨٩٦ ،

١٨٩٩ ، ج ١ ، ص ٨١ وما يتبع و ٩٨ - ج ٢ ص ٧٣ وما يتبع و ٩١ •

(٨٨) يولاف سمعان السمعاني : المكتبة الشرقية ( باللاتينية ) ج ٣ ، قسم ١ •

رومية ١٧٢٥ ، ص ٢٦٢ - ٢٦٥ •

(٨٩) غراف/ تاريخ الادب المسيحي العربي ، ج ٢ ، ص ١٧٧ - ١٨٩ • يراذ علي

المراجع كتاب عما نوثيل كريم دल्ली : لاهوت ايلسا برشنايا ، دراسة وترجمة

مجالسه ( بالفرنسية ) رومية ١٩٥٧ •

والتاريخ والاخلاقيات والفقه واللغة السريانية والعربية • لا نغفل عن ذكر  
الراهب قورياقوس ابن زكريا الحراني وجبرائيل ابن نوح وعيسى ابن علي  
النصراني صاحب قاموس سرياني - عربي وأبي الحكيم يوسف ابن البحيري  
من ميفارقين وبشر ابن السري الدمشقي مفسر الكتب المقدسة (٩٠) •  
اما أبو الفرج عبد الله ابن الطيب (٩١) فكان من الرجال البارزين في عصره وبين  
قومه ، فهو الفيلسوف والطبيب والنفس الذي شغل منصب كاتب الجاثليق  
أيام يوحنا بن نازوك ( + ١٠٢٢ ) وتوفي سنة ١٠٤٣ • اليك ما كتب عنه  
القفطي :

« فيلسوف فاضل مطلع على كتب الاوائل وأقاويلهم ، مجتهد في البحث  
والتفتيش ... قد احيى من هذه العلوم ( اى فلسفة ارسطوطاليس  
وطب جالينوس ) ما دثر وأبان منها ما خفي ... وشيخنا أبو الفرج عبد الله  
ابن الطيب بقي عشرين سنة في تفسير ما بعد الطبيعة ومرض من الفكر فيه  
مرضة كاد يلفظ نفسه فيها ... » (٩٢) فهذا الذي قدم شروحا قيمة  
لكتب ارسطوطاليس وفرفوريس الصوري وجالينوس وابقراط اهتم ايضا  
بتفسير الكتب المقدسة النصرانية باجمعا ، كما ان له عدة كتب عقائدية  
وأخلاقية وفقهية ، قسم منه نشره علماء أوروپيون (٩٣) وقسم ما زال في  
المخطوطات •

هؤلاء هم المؤلفون النساطرة وقد كانوا من نخبة القوم علميا

---

(٩٠) راجع ما ورد حول هؤلاء المؤلفين في كتاب غراف المذكور ، ص ١٥٤-١٥٩

(٩١) الكتاب المذكور ، ص ١٦٠ - ١٧٦ •

(٩٢) اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ١٥٠ - ١٥١ •

(٩٣) اهتم بنسرة مؤلفات ابن الطيب العالم الهولندي سندرز الفرنسي جيران تروبو ،  
خاصة في مجلة « كلمة الشرق » •

واجتماعيا (٩٤) • اما اليعاقبة فقد برز منهم مفكرون كبار يتقدمهم ابو رايطة حبيب ابن خدمة التكريتي ، المعاصر لابي قره اسقف حران وتيموتاوس الكبير الجاثليق • له عدة رسائل دينية نشرها العالم جورج عراف مع ترجمة المانية (٩٥) وقد اهتم بتربية نسييه نونوس رئيس شمامسة نصيين الذي ألف تفسير الانجيل مار يوحنا ، ما عدا كتاباته باللغة السريانية (٩٦) ، اشهر منه كان عبد المسيح ابن ناعمة الحمصي معرب المغالطات النسطائية والسماع الطبيعي لارسطو والكتاب المنحول « ايثولوجيا » (٩٧) • وبعد ان نذكر ذكرا عابرا موسى ابن الحجر صاحب التفاسير الكتابية والخطب الدينية ومعاصره يوحنا الداراني (٩٨) وله مقالة عن الشياطين وكتاب في الكهنوت ، نصل الى قمة الفكر النصراني اعني يحيى بن عدى التكريتي نزيل بغداد (٩٩) (+ ٩٧٤) • اعطى القفطي (١٠٠) لائحة كتبه الفلسفية وأهمل كتبه اللاهوتية النصرانية • وحوالي سنة ١٩٢٠ اهتم العالم الفرنسي اغوستينوس بويه ، بدراسة هذا الكاتب اذ خصه بكتاب ليل درجة الملفنة من السوربون •

- 
- (٩٤) لويس ماسينيون : الساسة الاسلامية المسيحية للكتاب النسطورية (بالفرنسية) في موفاته الصغرى ، ج ١ بيروت ١٩٦٣ ، ص ٢٥٠ - ٢٥٧ •
- (٩٥) موفات حبيب ابن خدمة ابي راقطة اليعقوبي ، لوفان ( بلجيكا ) ١٩٥١ •
- (٩٦) نشرة شراخيان بالارمنية في البندقية ( ايطاليا ) ١٩٢٠ •
- (٩٧) بركلمان : الكتاب المذكور ، ج ١ ، ص ٢٢٢ - والذيل الاول ص ٣٦٤ وما يتبع و ٩٥٦ •
- (٩٨) للسعاني : المكتبة الشرقية ( باللاتينية ) ١٧٢١ ، ٢ - ١١٨ ١٢٣ راجع ايضا مقالة يوسف فرلاني : نفسية يوحنا الداراني ( بالايضالية ) في مجلة « الدراسات الشرقية » رومية ١١ ( ١٩٢٦ ) ، ص ٢٥٥ - ٢٧٩ •
- (٩٩) ترى في عراف : تاريخ الادب المسيحي العربي ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٤٩ عدة مراجع قديمة ومتاخرة حول هذا الكاتب •
- (١٠٠) اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢٣٦ - ٢٣٨ •



وكانت مؤلفات يحيى الفلسفية مفقودة آنذاك . فما كان من الباحث الا ان درس مذهب يحيى من خلال كتبه اللاهوتية فقط . الا اننا عثرنا في هذه السنوات الاخيرة على مخطوطات في طهران وأصفهان تحتوى على كتبه الفلسفية وهي في غاية الخطورة ، ولا عجب فشهادة القفطي بحقه واضحة : « اليه انتهت رئاسة اهل المنطق في زمانه » . ومن تلاميذه الفيلسوف فرج بن جرجس ابن افريم اليعقوبي وأبو الخير الحسن ابن سوار وأشهرهم أبو على عيسى ابن اسحق ابن زرعه (١٠١) ( + ١٠٠٨ ) « احد المتقدمين في علم المنطق والفلسفة » (١٠٢) وأحد النقلة البارعين . كتبه المعربة في الفلسفة أو المؤلفات تحتل مقاما ساميا بين المؤلفات العربية . عنه كتب معاصره أبو حيان التوحيدي ما يلي : « انه كان حسن الترجمة صحيح النقل كثير الرجوع الى الكتب : محمود النقل الى العربية ، جيد الوفاء بكل ما حل من الفلسفة » (١٠٣) . وتلميذه أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي ( + حوالي ١٠٨٠ ) كان كثير الاطلاع في العلوم وذا فضل في صناعة الطب . له كتب في الطب وعلم النجوم ذكرها ابن أبي اصيبعة (١٠٤) وكتاب المرشد وهو مختصر مفيد لاهم العقائد النصرانية .

من الاقباط نكتفي بذكر ابي بشر ساويرس ابن المقفع اسقف الاشمونين ( بركز ملوى ) ( + بعد ٩٨٧ ) . هو أول كاتب قبطي الف باللغة

(١٠١) كيرلوس حداد : عيس ابن زرعه ، فيلسوف عربي ولاهوتي نصراني ، ( بالفرنسية ) بيروت ١٩٧١ . ترى في هذا الكتاب دراسة وافية عن المؤلف مع كل المراجع المعروفة .

(١٠٢) القفطي : الكتاب المذكور ، ص ١٦٣ .

(١٠٣) كتاب الامتاع والموائسة ، القاهرة ١٩٣٩ ، ج ١ ، ص ٣٣

(١٠٤) عيسون الانبياء ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

العريية ناشرا عقائد الايمان ومدافعا عن انتقادات الغرباء . ذكر له  
ابن كبر ٢٦ مؤلفا (١٠٥) .

نخلص الى الاستنتاج مما تقدم ان وجه الحضارة العريية الكامل لم  
ينجل بعد ، فاذا كان الوجه الاسلامي ناصعا ، فالملامح النصرانية تنبىء  
عن غنى حضارى لا يستهان به . فالنصارى ، وقد ترجموا اكبر قسم  
من الكتبة اليونانيين والسرمان والاقباط الذين تقدموهم ، اضافوا عليها من  
وحي أعلامهم ، حتى اوضحت مؤلفاتهم من العناصر الاساسية التي ساعدت  
على خلق الحضارة العريية . فهذه لا تبدو لعين الباحث كصورة تعلق على  
الحائط فتزيه وترمق بنظرة واحدة ، انها لعمري اشبه بتمثال رائع يجذب  
المتأمل والباحث حتى يستجلي ملامحه من كل جهاته . فوجهة النظر النصرانية  
تكمل تلك للاسلام ، وكلاهما لا ينبذان حضاريا الشعوب الأخرى التي  
ساهمت بخلق الفكر العربي ، هذا الفكر الذى يرتفع حتى ينصب في خضم  
الحضارة الانسانية الكاملة .



---

(١٠٥) مصباح الظلمة ، ص ٣٠٦ - ٣٠٧

## سيناء : كنوزها وآثارها التاريخية

### في العصور الوسطى

#### للدكتور

جوزيف نسيم يوسف

#### نظرة سريعة الى منطقة سيناء وتاريخها :

إذا أردنا أن نكون فكرة سريعة وواضحة عن تاريخ شبه جزيرة سيناء ، نجد في كتب المسالك والممالك ومؤلفات الرحالة والجغرافيين العرب معلومات قيمة ومادة من الطراز الأول . فهي تقع في صحراء التيه بين القلزم وأيلة . وهي تعرف أيضا باسم جبل حوريب ، وتتميز بقممها وجبالها المرتفعة الشاهقة . وإذا ألقينا نظرة الى خريطة سيناء ، نجد أن الطريق الذي يربط فلسطين بمصر ، يخترق الجزء الشمالي منها . أما الجزء الجنوبي فقد اشتهر بثرواته المعدنية ، وعلى وجه الخصوص الذهب والنحاس والفيروز (١) .

وسيناء اقليم مجذب جبلي ، لا سيما في الجنوب حيث توجد الجبال الشاهقة الارتفاع ، ومن أهمها جبل القديسة كاترينة وارتفاعه ٢٥٩٧ مترا ، وجبل موسى وارتفاعه ٢٢٤٢ مترا ، وقمم سربال وارتفاعها ٢٠٥٧ مترا وتعتبر هذه المنطقة الأخيرة من أشد البقاع وعورة .

وجبل القديسة كاترينة هو أكثر الجبال ارتفاعا في شبه الجزيرة . ويقال انه هو الذي حملت اليه الملائكة جثمان الشهيدة القديسة كاترينة

---

(١) انظر ابن الفقيه الهمداني : مختصر كتاب البلدان - لندن ١٣٠٢ هـ - ص ٦٦  
ياقوت : معجم البلدان - المجلد الثالث - ليبزج ١٨٦٨م - مادة « طورسينا »  
ياقوت : معجم البلدان - المجلد الثالث - ليبزج ١٨٦٨م - مادة « طورسيا »

السكندرية ، الذى نسب دير سيناء اليها ، فعرف باسم دير القديسة كاترينة . وقد دفن رفاتهما في كنيسة الدير الكبرى (٢) .

وفي المنطقة العديد من المعابد التى ترجع الى التاريخ القديم ، مثل معابد وادى مغارة وسيرايت Serapit . وجبالها عامرة بالكتابات القديمة ، ووديانها الياضنة تكاد تكون موجودة في كل مكان ، مثل وادى فيران ووادى الأربعين ووادى ليان .

### منطقة سيناء تكتسب شهرتها الحقيقية فى العصر الوسيط :

والمعروف أن شبه جزيرة سيناء التى امتازت بالعزلة والوحشة في الماضى ، قد اكتسبت شهرتها الحقيقية في الحقبة الوسيطة من التاريخ . ويرجع ذلك الى النساك والمتعبدين المسيحيين الذين لجأوا اليها هربا من اضطهاد الحكام الرومان لهم في القرون الأولى من المسيحية ، في وقت اشتد فيه الصراع بين الأباطرة الرومان والديانة الجديدة التى وجدوا فيها منافسا خطيرا لهم وتهديدا مباشرا لسلطانهم ولوحدة الامبراطورية الرومانية التى كان يرمز لها بكلمة « السلام الرومانى » Pax Romana . وقد أقام أولئك النساك والمتعبدون في جبال شبه الجزيرة الجنوبية ، حيث كانت الوديان

---

(٢) عاشت القديسة كاترينة السكندرية في فجر المسيحية ، وكانت تدين بالوثنية . ولكنها تركت عبادة لاوان واعتمدت المسيحية واخذت تدعى لها ، فاستزوج الوثنيون وضابطوها الى ان انتهى الامر باستشهادها . فلما اقيم الدير المذكور بأمر الامبراطور جستقيان في حوالى منتصف القرن السادس الميلادى ، نذاوا اليه رفاتهما ، ومن تم سمي باسمها ، وكان ذلك في القرن الثامن . اي بعد وفاة هذه القديسة بثبات من السنين . وللمزيد من التفاصيل ، انظر جوزيف نسيم يوسف : « دراسات في المخطوطات العربية » بدر القديرة كاترينة في سيناء » مقال بمجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية - العدد ٢٢ - الاسكندرية ١٩٦٩ - ص ٩٥ و ح ١ .

الخصيبة وعيون الماء ومجاريها • وسهل ذلك عليهم زراعة الحبوب والخضر وأشجار الفاكهة على وجه الخصوص •

وكان أول ناسك يلجأ الى هذه المنطقة أشارت اليه المصادر القديمة ، قديس يدعى اونوفريوس Onophrius • وقد التجأ الى مغارة في وادي ليان الى الجنوب من جبل موسى • وكان ذلك في بداية القرن الرابع الميلادي ، في وقت كان فيه التاريخ القديم يطوى صفحته بانهار الامبراطورية الرومانية بثلاثها ومفاهيمها وفلسفتها ، وفي وقت بدأ فيه عصر جديد في تاريخ البشرية بأوضاع ومفاهيم جديدة مغايرة ، ونعني بذلك العصر الوسيط الذي اقتطع من عمر التاريخ حوالي عشرة قرون من الزمان • وبعد القديس اونوفريوس تتابع النساك في شبه الجزيرة يتعبدون ويتأملون في ذات الله العلية ، وقد خلفوا آثارا في كل مكان • واستتبع ذلك تكوين مراكز في كل منها برج يلجأ اليه النساك عندما تداهم المخاطر • ومن هذه الأبراج برج مهدم في وادي الاربعين ، وبرج آخر في موضع يعرف باسم « العليقة المتوقدة » Buisson Ardent (٣) الذي

---

(٣) اصل هذه التسمية ظهور الله عز وجل لموسى وسط نبات من الشوك المتوقد والنبات لا يحترق • وتقع هذه العليقة المشتعلة على مقربة من المكان الذي فيه دير القديسة كاترينه • وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة طه ، الايات ٩ - ١٢ ، « وهل اننا حديث موسى اذ راي نارا فقال لاهله امكثوا ، اني آنست - نارا لعلني آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى • فلما آتاها نودي يا موسى اني انا ربك فخرج نعليك ، اتك بالواد المقدس طوى » • ووردت الاشارة اليها ايضا في سورة القصص ، الايتان ٢٩ - ٣٠ ، « فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب انطور نارا ، قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلني آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون • فلما آتاها نودي من شاطئ الواد

يقال ان هيلانه Helena أم امبراطور قسطنطين الكبير ( ٣٠٥ - ٣٣٧ م ) قد بنته في القرن الرابع . وهذا البرج الأخير يقع على مقربة من دير القديسة كاترينة .

### قصة دير سيناء وتاريخ بنائه ، وانتقال حوزة المنطقة الى السيادة العربية

هكذا كانت سيناء منذ بواكير العصور الوسطى ، غنية في تاريخ القديسين والشهداء . في وقت اشتهرت فيه هذه العصور باسم « عصور الايمان » . وكان اولئك المتعبدون المتسنتون على جبال طورسينا يعرضون لعارات المعيرين بين وقت وآخر . فتوسلوا الى امبراطور دولة الروم وفتحها ، وكان يدعى جستنيان الاول ( ٥٢٧ - ٥٦٥ م ) ، ان يبنى لهم ديرا يؤدون فيه فروض العبادة ويحتمون بداخله ، وكانت سيناء وقتذاك داخله في نطاق دولة الروم . فاجابهم الامبراطور الى طلبهم ، وأمر ببناء دير محصن على قمة الجبل الذي يوجد في سفحه المكان المعروف باسم « العليقة المشتعلة » . ولكن مندوب الامبراطور الذي أوفده للقيام بهذه المهمة ، أمر ببناء الدير عند سفح الجبل ، مراعيًا في ذلك رداءة الجو وضيق المساحة وانعدام الماء بعل الجبل . ويقال ان جستنيان قتل مندوبه لمخالفته أوامره . وقد تم بناء الدير في هذا المكان باعتباره من الأماكن المقدسة ، فضلا عن وجود الماء فيه (٤) . وكان ذلك في أواسط القرن السادس الميلادي . وفي نفس الوقت تذكر الرواية أن امبراطور الروم أرسل الى طورسينا

---

= الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين .  
وورد ذكرها ايضا في الاصحاح الثالث من سفر الخروج . وجاء في معجم البلدان لياقوت ( مجلد ٣ - ص ٥٥٧ ) « . . . وبالقرب من مصر عند موكع يسمى مدين جبل يسمى الطور ولا يخلو من الصالحين ، وحجارتها كيف كسرت خرج منها صوب شجرة العليق . » .

حوالى مائتين من أسر العبيد مع نسايتهم وأولادهم من منطقة البحر الأسود ومن مصر للقيام بحماية الدير ورهبانه . ولا يزال خلف أولئك القوم بسيناء حتى اليوم ، يقوم الرهبان باطعامهم من خيرات الوديان المبعثرة هنا وهناك ، بينما يتولون هم حمايتهم (٥) .

على أى حال ، ظلت سيناء وديرها في حوزة دولة الروم حتى بدايات القرن السابع الميلادى . وفي العقود الأولى من هذا القرن ظهر الاسلام في شبه الجزيرة العربية يدعو الناس بصفة عامة الى عبادة الله وحده وبذ الأصنام ، والعرب بخاصة الى الاتحاد والتآلف والمحبة وبذ الفرقة والخلاف . واستجابت القبائل العربية لهذه الدعوة الجديدة التي أصبحت ترى فيها رمز وحدتها وشعار مجدها وأمل مستقبلها . وعلى هذا الأساس قامت الدولة العربية فتية ناهضة ، وخرجت من جزعتها الصغيرة للفتح دفاعا عن كيانها ونشرا لدعوتها وتأمينا لها من مناوشات جيرانها ومضايقاتهم المستمرة على الحدود . وكان من الطبعي أن يبدأ الصراع بينها وبين دولة الروم الذي انتهى في سنوات قليلة باستيلاء العرب على الولايات الشرقية التابعة لهذه الدولة ، وهى بلاد الشام وفلسطين ومصر . ولم ينته القرن السابع حتى غدت منطقة شبه جزيرة سيناء منطقة عربية ، وأصبح ديرها

---

(٤) انظر عن ذلك المراجع التالية :

Rabino, M.H.L., Monastere de ::

Sainte Catherine du Most Sinai, Le Coire, 1938, 11ff.; Bassili, W.F., Sinai and St. Catherine, Cairo, 1957, 77; Forsyth, G.H., "Island of Faith in the Sinai Wilderness," National Geograhic Magazine, January, 2964. 84 ff.

(٥) انظر الوثيقة رقم ٦٩٢ سيناء - عربي ، مكتوبة على ورق ، مقاس ٣٢×١٩سم ، موضوعها « حجة » .

ورهبانها يستعون بحماية السلطات العربية ورعايتها لهم (٦) .

### اهتمام سلاطين مصر فى العصر الوسيط بمنطقة سيناء :

وكانت منطقته سيناء ، لاهميتها الجغرافية والاستراتيجية ، موضع عناية سلاطين مصر وخدمتها في العصر الوسيط . وبدأ هذا الاهتمام واضحا في عصر مؤسس الأسرة الايوبية بمصر في أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ( أواخر القرن السادس الهجرى ) . وكانت هناك وقتذاك حركة افافة عربية في منطقة الشرق الأدنى ، تستهدف تكتيل القوى العربية في المنطقة لتطويق الصليبيين الدخلاء في الأراضى المقدسة والعمل على اجلائهم عنها . ولهذا أقام مؤسس الأسرة الايوبية في سيناء عدة مراكز حصينة على طول المنطقة الفاصلة بين مصر والكيان الصليبي في البيت المقدس . وأهم هذه القلاع تلك التى تعرف باسم قلعة الجندى في قلب سيناء في طريق أيلة ، ولا تزال آثارها باقية حتى اليوم . وكذلك قلعة أيلة بجزيرة فرعون (٧) . واستمر اهتمام حكام مصر بسيناء مع العمل على تحصينها وتعزيزها بالقلاع والاستحكامات ، طوال العصر الأيوبي وفي عهد المماليك ، في وقت كانت فيه شعوب الشرق الأدنى العربى تجاهد ضد الصليبيين الدخلاء

---

(٦) Ostrogorski, G., History of the Byzantine State, trans. by J. Hussey, Oxford, 1956, 98 ff.; Baynes, N.H. & Moss, H. St. L.B. (eds.), Byzantium Oxford, 1953, 308 ff.; Sullivan, R.E., Heirs of the Roman Empire, New, York, 1960, 26 ff.; Diehl, Ch., Histoire de l'Empire Byzantin, Paris, 1920, 52 ff.

(٧) أيلة هي حصن من حصون الكرك الهامة ، تقع على راس خليج العقبة في اول الشام . وللمزيد من المعلومات عن قلاع سيناء ، انظر عبد الرحمن زكي : قلعة صلاح الدين وقلاع اسلامية معاصرة - القاهرة ١٩٦٠ - ص ١١٧ وما بعدها .



الذين طرّقوا أبوابهم • وكانت سيناء خلال تلك الفترة من الزمن ، وعلى وجه التحديد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، صخرة تحطمت فوقها كثير من هجمات أولئك الغزاة الوافدين من الغرب •

### رهبان دير سيناء ونظمهم وحياتهم :

وما دمنا نتحدث عن شبه جزيرة سيناء وأهميتها في الحقبة الوسيطة من التاريخ ، باعتبارها المكان الذى كان الناس يلجأون اليه للتعبد والتقشف والصلاة بعيدا عن الحياة الدنيا وملذاتها ، في وقت كانت فيه الظروف مهيأة لذلك - يحسن أن نشير الى سكان تلك المنطقة النائية من العباد والنساك ، والى نظمهم وحياتهم ومعيشتهم وأحوالهم •

لقد اختلف عدد رهبان سيناء ، سواء المقيمون منهم بالدير ، أو الموزعون على الكنائس الصغيرة المبعثرة فوق قمم الجبال ، اختلافا كبيرا باختلاف الأزمنة • ففي بداية القرن الحادى عشر الميلادى ( أوائل القرن الخامس الهجرى ) كان عددهم حوالى ثلاثمائة • وفي بدايات القرن الرابع عشر ( وأوائل القرن الثامن الهجرى ) بلغ عددهم أكثر من أربعمائة • وفي أواخر القرن الرابع عشر ( أواخر القرن الثامن الهجرى ) وصل عددهم الى مائتين من الرهبان • وظل هذا هو العدد التقريبى للرهبان بالمنطقة حتى أواخر العصر الوسيط • ولكن عددهم تضاعف في العصر الحديث بسبب تأسيس العديد من الأديرة في المراكز المسيحية المعروفة ، مثل قبرص وكريت وأثينا ، مما كان له أكبر الأثر في اجتذاب عدد من رهبان سيناء • يضاف الى ذلك أن الحماس الذى صاحب حركة الرهبة والديرة في بدايتها - كما هو معروف في التاريخ الأوروبى الوسيط - بدأ يخبو ويفتر ويتقلص مع الزمن •

وأما هيئة رجال الدين بدير سيناء فتتألف من المطران (٨) وخمسة قسوس وشماس واحد وعدد من الرهبان الجدد يتراوح بين أربعة وثمانية ، خلاف الخدم من غير المترهبين . ويقوم المطران بالدير ، وهو الذى يتولى ادارته ، يساعده فى ذلك مجمعا يتكون من نائب وأمين صندوق وأمين مخازن . وفى حالة غياب المطران ، كان تضطره الظروف الى التواجد بالقاهرة لأعمال تتعلق بطائفه ، يحل محله النائب . وللرهبان جميعا ، فيما عدا المتدربين ، حق انتخاب الرئيس . ويجرى الانتخاب بدير سيناء نفسه . ومن اختصاص المطران والمجمع نقل الرهبان من وظيفة الى أخرى ومن دير الى آخر .

ويتبع رهبان سيناء القواعد التى وضعها لهم فديس يونانى يدعى بازيل (٩) St. Basil عاش فى دولة الروم فى القرن الرابع الميلادى . وكان

---

(٨) تطلق الوثائق العربية المحفوظة بدير سيناء على رئيس الدير لقب « اسقف » . انظر الوثيقة رقم ١٠ سيناء - عربي ، مقاس ٤٨٨ × ٢١ سم ، تاريخ ربيع ثانى ٥٥١ هـ ( مايو ١١٥٦ م ) ، سطر ٢١ - ٢٢ . راجع ايضا جوزيف نسيم يوسف : « دراسة فى وثائق مقال بجملة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية - العدد ١٨ - الاسكندرية ١٩٦٥ ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٩) المعروف انه على يد القديس بازيل بدأت الحياة الديرية تأخذ شكلها النظامي فى شرق اوروبا . وكان بازيل قد ترك الحياة الدنيا وقام بزيارة الاماكن التى ظهرت وترعرعت فيها الحياة الرهبانية ، وبخاصة مصر وفلسطين وبلاد الشام . ثم عاد الى بلاده ولديه فكرة واضحة عن الرهبنة والديرية اكتسبها من رحلاته ، وقد افادته عندما قام بنشر نظامه الديرى . انظر هذا ، ويوجد بمكتبة دير سيناء Baynes & Moss, Byzantium, 141 ff.

العديد من المخطوطات عن بازيل وقوانينه باللغتين اليونانية القديمة والعربية . انظر ، مثلا ، مخطوطة رقم ٥٩٨ سيناء - عربي باسم « مختصر من القوانين ، قوانين باسيليوس ويوحنا الناسك والمجامع والرسل » ، ورقة ٤٦ ب - ١٥٣ .

الرهبان في خلوتهم • والمعروف أن حساب الزمن عند أولئك الرهبان يبدأ من غروب الشمس (١١) •

### زوار سيناء في العصر الوسيط :

هذا ، وقد توافد على منطقة سيناء وديرها طوال العصر الوسيط العديد من أنصار الزوار من الشرق والغرب على السواء ، وبصفة خاصة أثناء العدوان الصليبي الذي تعرض له المشرق العربي خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ( القرنان السادس والسابع من الهجرة ) ، ذلك العدوان الذي كان يستهدف الاستيلاء على الأراضي المقدسة لتكون نقطة ارتكاز يوسع منها على حساب البلدان العربيّة المجاورة ، تحقيقاً لأطماعه واتجاهاته التوسعية • وكان المحاربون الصليبيون يقومون عادة بزيارة هذه المنطقة المقدسة وديرها وهم في طريقهم الى الشرق تيمناً وتبركاً • ولا تزال آثارهم من رموز وشعارات منقوشة على جدران الدير يمكن للزائر مشاهدتها حتى يومنا هذا • كذلك كان الحجاج المسيحيون من كل بقاع العالم يتوافدون على دير سيناء وهم في طريقهم الى كنيسة القيامة في بيت المقدس رغبة في الحصول على الغفران • ولأنوا يقومون بحجهم الى الدير وهم أمنين مطمئنين في ظل سياسة التسامح الاسلامي التي سارت عليها السلطات الاسلاميه في المنطقة حيال الحجاج المسيحيين (١٢) •

(١١) انظر

Meistermann, B., Guide du Nil au Jourdain Par le Sinai , Paris, 1909, 137.

(١٢) انظر عن ذلك جوزيف نسيم يوسف : « دراسة في وثائق العصرين الفاطمي والايوبي » ، ص ١٨٤ وما بعدها ، حن حبشي : « التسامح الاسلامي تجاه دير سانت كاترين » - مقال بمجلة السياحة المصرية - العدد ١١٦ - القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٧ وما بعدها ، جمال الدين الشيال : مجموعة

هذا الرجل قد زار مصر وبلاد الشام وفلسطين ، واكتسب من رحلاته خبرة واسعة فيما يتعلق بالحياة الديرية . وكان الرهبان داخل دير سيناء يحيون حياة الزهد والتقشف ، ولا يأكلون اللحم الا نادرا . ومن عاداتهم أيضا ألا يتناولونه في غرفة الطعام حتى ولو كان اليوم عيدا ، فانهم يأكلون سمكا ، ثم يخرجون في المساء الى حديقة الدير ، وهناك فقط يأكلون اللحم ، وربما يكون ذلك تحايلا او امعانا في التشف والتشرب الى الله .

والمعروف أيضا ان نظام الحيات اليومية لدى اولئك الرهبان يتلخص في أنهم يستيقظون جميعا في النايه والنصف صباحا ، ويؤدون صلاة السحر في الرابع . وفي الاعياد الكبرى يصام فداء في اللادرائية الكبرى بالدير . اما في الاعياد الصغرى وايام الاحاد فيقام القداس في الكنائس الصغرى التي يشتمل عليها الدير . واما في اليوم المعروف عندهم بيوم الأموات ، وذلك في أيام السبت الخاصة بالصيام الكبير ، يقوم قسيس بداء القداس في المقبرة المنحقة بالدير والتي تعرف أيضا باسم « بيت الجماجم » . ومن الطريف أن هناك اماكن شرف في تلك المقبرة لرؤساء الدير ، حيث توجد جماجمهم وعظامهم في ارفف مستقلة مرتبة بعناية فوق قطع من القماش الفاخر ، بينما تكدست جماجم وعظام بقية الرهبان فوق بعضها في غرفة واحدة (١٠) . ومن عادة الرهبان أيضا أنهم بعد انتهاء القداس يتناولون فنجانا من القهوة التركية ، ثم يتوجهون الى أعمالهم . وفي العاشرة والنصف يدعون جميعا الى الفطور معا . وفي الثالثة بعد الظهر يؤدون صلاة المغرب ، وبعدها يحين موعد تناول العشاء الذي يتناوله

---

(١٠) انظر عزيز سوريال عطية : الفهارس التحليلية لمخطوطات طورسينا العربية - ترجمة جوزيف نسيم يوسف - ج ١ - الاسكندرية ١٩٧٠ - لوحة رقم ٥ ص ٥٢ ولوحة رقم ٩ ص ١٢٧ .

ومن بين كبار زوار الدير من رجال الفكر والتأمل والسياسة في العصر  
الوسيط شخص يدعى بيتر رودلف وفريسكو بالدي

، ونيقولا دي مارتوني

وييرو طافور ، وفيلكس فابري Felix Fabri • وقد سجل  
بعضهم مشاهداته وملاحظاته في كتب ومؤلفات لا تزال باقية الى اليوم •  
وهي تشهد بعظمة سيناء من ناحية • وسعة صدر السلطات العربية وحسن  
معاملتها لأولئك الحجاج والزوار من ناحية أخرى (١٣) •

### الاثار الاسلامية في سيناء :

رأينا فيما سبق كيف أن شبه جزيرة طورسينا كانت تتمتع بأهمية كبيرة  
في تاريخ العالم الديني منذ أقدم العصور ، وكيف أصبحت في العصر  
الوسيط ملجأ للزهاد والعباد والمتبكيين • وقد وردت كلمة طورسينا  
في القرآن الكريم باسم « طور سينين » • جاء في صورة التين « والتين  
والزيتون وطور سينين • وهذا البلد الأمين » (١٤) • كما وردت الإشارة  
اليها في قوله تعالى في سورة المؤمنون « وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت  
بالدهن وصبغ للأكلين » (١٥) • والطور في اللغة العربية ينعى الجبل  
الذى يكسوه الشجر ، ولا يقال للجبل الأجرد طور ، أما سينين فمعناها  
الشجر • وعلى هذا فطور سيناء معناها منطقة الجبال التى تكسوها الأشجار

---

الوثائق الفاطمية - ط • ثانية - الاسكندرية ١٩٦٥ ، ص ١١ وما بعدها •  
وستحدث عن هذه الناحية في شيء من التفصيل عند استعراض مجموعة الوثائق  
الخطية العربية المحفوظة بدير سيناء في آخر البحث •

- (١٣) مما يذكر انه بدير سيناء دفاتر زيارات يرجع تاريخها الى هذا العهد  
السميق ، وقد وقع كل زائر في الدفتر مع اثبات تاريخ الزيارة وملاحظاته •  
ولهذه الدفاتر أهمية كبيرة يمكن للدرس ان يستخلص منها معلومات قيمة •  
(١٤) القرآن الكريم - سورة السين - الايات ٢ و ٣ •  
(١٥) القرآن الكريم - سورة المؤمنين - الاية ٢٠ •

## والنباتات (١٦) •

في هذه المنطقة الجبلية التي تكسوها الأشجار والنباتات ، تتجلى وحدة الدلين في أبهى صورها وأروعها • فعند سفح أحد جبالها ، على مقربة من الموضع الذي يقال له « العليقة المشتعلة » ، يتعاق الهلال والصليب في وحدة متينة راسخة ، حيث يوجد دير القديسة كاترينة ، وإلى جانبه مسجد يرجع تاريخه الى بداية القرن الثاني عشر الميلادي ( أوائل القرن السادس الهجري ) •

والمعروف أن هذا المسجد أقيم حوالي سنة ٥٠٠ هـ ، وهي توافق سنة ١١٠٦ م ، في عهد الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي ( ٤٩٦ - ٥٢٤ هـ ) • وقد بنى هذا المسجد ليصلى فيه المسلمون الذين يسكنون في ضواحي الدير ويقومون بحماية رهبانه • وبنيؤه يرتفع ما يقرب من سبعة أمتار عن الجدار الشمالي الغربي من السور الدائر بالدير ، ويبعد ما يقرب من ستة أمتار عن واجهة الكنيسة الكبرى بالدير • ويبلغ طوله حوالي عشرة أمتار ، وعرضه سبعة أمتار • وأرضيته من لوحات حجرية متراصة ، وتكسو جدرانها طبقة من الجير الأبيض • ومن كنوز المسجد وآثاره التاريخية القيمة ، أعمدته ، والمحراب ، والمنبر ، والمئذنة . والكرسى وهو على شكل هرمي غير متكامل من أعلا • هذا ، بالإضافة الى زخارف المسجد من التوريقات النباتية ، والنقوش الكتابية التي يبدو فيها جمال الخط العربي من كوفي ونسخي وثلث •

(١٦) جاء في ياقوت : معجم البلدان - مجلد ٣ - ص ٥٦ « الطور في كلام العرب الجبل • وقال بعض اهل اللغة لا يسمى طورا حتى يكون ذا شجر ، ولا يقال للاجرد طور ... » وجاء في نفس المصدر - ص ٥٥٨ ، ان سينين معناها شجر ومفردها سينية •

ويمتاز منبر الجامع بلوحته الخشبية التي تسجل بالخط الكوفي تاريخ  
انثائه سنة ٥٠٠ هـ ، أيام الخليفة الأمر بأحكام الله الفاطمي • ونص النقش  
الكتابي هو :

بسم الله الرحمن الرحيم • لا اله الا الله وحده لا شريك له ،  
له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل  
شىء قدير • نصر من الله وفتح قريب • لعبد الله ووليه ابى على  
المنصور الامام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه ،  
وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه المنتظرين • أمر بإنشاء هذا المنبر  
السيد الأجل الافضل أمير الجيوش ، سيف الاسلام ، ناصر  
الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهاذي دعاة المؤمنين ، ابو القاسم  
شاهنشاه ، عضد الله به الدين ، وأمنع بطول بقائه أمير المسلمين ،  
وأدام قدرته ، وأعلا كلمته ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس  
مائة « (١٧) •

والى جانب هذا المسجد ، الذى لا يزال باقيا الى اليوم ، يوجد عدد  
من المساجد الصغيرة بمنطقة سيناء ، مثل المسجد المقام بجبل موسى ،  
وآخر بجبل وادى فيران ، وثالث عند حصن الساحل بأيلة • ويكاد يوجد  
مسجد صغير فوق قمة كل جبل من جبال سيناء ، والى جانب كل مسجد توجد  
كنيسة صغيرة ، معبرة عن وحدة الدين وروح التسامح الاسلامى •

---

(١٧) للمزيد من التفاصيل عن مجد سيناء ، انظر السيد عبد العزيز سالد :  
« الاثار الاسلامية في دير سانت كاترين بطورسينا » - مقال بمجلة  
العلوم بيروت - العدد الاول يناير ١٩٦٥ - ص ٣ وما بعدها •

## الآثار المسيحية في سيناء

وإذا كنا قد تحدثنا عن مسجد سيناء باعتباره من أهم الآثار الإسلامية في شبه الجزيرة . ان لم يكن أهمها على الإطلاق ، فلا شك أن أهم الآثار المسيحية في المنطقة هو دير القديسة كاترينة ، الذى أمر امبراطور الروم جستنيان الأول بتأسيسه في أواسط القرن السادس الميلادى ، لحماية الرهبان المنقطعين هناك من اغارات المغيرين . وقد سبق الإشارة الى تاريخ الدير وقصته والى رهبانه وحياتهم وعاداتهم ومعيشتهم . ونضيف أن هذا الدير يعتبر من روائع سيناء ، وهو يقع على ارتفاع ١٥٦٠ مترا من سطح البحر ، وتحيط به أكثر جبال المنطقة ارتفاعا وكأنها تحتضنه . وداخل هذا الدير وبين جدرانها يعيش الرهبان المسيحيون الذين يتبعون طائفة الروم الأرثوذكس ، منقطعين للصلاة والعبادة والتأمل في ذات الله العلية . يعيشون لرهبهم وهم يتمتعون بعطف وحماية السلطات العربية لهم منذ الفتح العربى وحتى اليوم ، مما يكشف عن تسامح الاسلام ورعايته الصادقة للأديان السماوية (١٨) .

ويعتبر هذا الدير من أقدم أديرة العالم ، ومن أكثرها شهرة ، حتى أصبح مكانا يؤمه الحجاج والسياح من كل مكان على مر العصور . ويتخذ سياج الدير ، أى سور ، شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع . وقد أصيب هذا السور بأضرار جسيمة بسبب الزلازل التى كانت المنطقة تتعرض لها بين وقت وآخر ، وبخاصة الزلزال الذى وقع سنة ١٣١٢ م ( بدايات القرن الثامن الهجرى ) . وكانت السلطات العربية في مصر تبث من يقوم بأعمال الترميم والإصلاح كلما تهدم قسم منه .

ويضم الدير عددا كبيرا من الأبنية والمنشآت . منها الكاتدرائية

---

(١٨) انظر جوزيف نسيم يوسف : دراسات في المخطوطات العربية ، ص ٩٥-٩٦



أو الكنيسة الكبرى التي تشغل وسط الدير ، ثم المقبرة الملحقة بها ، وعدداً من الكنائس الصغرى ، الى جانب مخازن الغلال ، والمطاحن ، والمعاصر ، والمطابخ ، وغرف النزلاء ، وغرف الرهبان ، وبعض القاعات ، والمكتبة التي تحوى كنوزاً لا تقدر بمال من الوثائق والمخطوطات بسختلف اللغات لم تر النور بعد .

ولا يزال هذا الدير شاخصاً حتى اليوم يروى قصة قرون عديدة خلّت . وهو يعتبر آية من آيات الفن والمعمار في العصر الوسيط ، من حيث ما احتواه من القباب والمباني الرائعة ، والصور الجميلة ، والفسيفاء ذات الألوان الزاهية ، التي لا زالت تحتفظ بجمالها وألوانها حتى يومنا هذا . فضلاً عما يحويه من الكئوس والأواني والآثار المقدسة من ذهبية وفضية (١٩) . ومن أروع آثاره ذلك التابوت الفضى الذى بعثت به روسيا الى الدير لحفظ رفات القديسة كاترينة بداخله ، وعليه شكل يمثل القديسة وقد طعم بالذهب والأحجار الكريمة (٢٠) . ومع ما للدير من أهمية ، فإنها لا تقاس بجانب مجموعة الصور الدينية التي توجد به ، والتي لا مثيل لها في العالم ، خاصة اذا عرفنا أن حركة محطى الصور والتماثيل في دولة الروم في القرن الثامن الميلادى ( القرن الثانى الهجرى ) ، والتي لم تسلم منها كنيسة أو دير في العالم المسيحى وقتها ، لم تمتد الى دير القديسة كاترينة ، فحفظ تراثاً يتميز بأهميته (٢١) .

ومما يستحق الذكر هنا ، أن دير سيناء يضم بعض العناصر الفنية ذات

---

(١٩) انظر جوزيف نسيم يوسف : نفس البحث السابق ، ص ٩٦ .

(٢٠) انظر عزيز سوريال عطية : الفهارس التحليلية لمخطوطات طور سيناء العربية

ر

ج ١ - لوحة رقم ٤ ص ٣٣ .

(٢١) انظر جوزيف نسيم يوسف : دراسات في المخطوطات العربية ، ص ٩٦ .

التأثيرات الاسلامية الواضحة • تتمثل بصفة خاصة في الأبواب الخشبية للكنيسة الكبرى ، وفي التكوينات الهندسية والزخارف النباتية والنقوش العربية الجميلة التي تزدان بها الكنيسة • وكل هذا يكشف عن مدى تأثير دير سيناء ومبانيه بالفن الاسلامي عقب حركة الفتح (٢٢) •

واذا كنا قد تحدثنا عن أهم الآثار الاسلامية والمسيحية في سيناء التي تتمثل في كل من المسجد والكنيسة ، نقول ان اقامة الجامع الى جانب الكنيسة يعكس وحدة أزلية رائعة يتعاقب فيها الهلال مع الصليب • فينما المسلمون يؤدون فروض الصلاة في المسجد أيام الجمع والأعياد ، يؤدون المسيحيون شعائر العبادة في كنيسة الدير في أيام الآحاد والمناسبات الدينية المقررة • وكان كل منهما يكن للآخر حبا ومودة واحتراما على مدى الأجيال والقرون • هذا ، بينما أسبغت السلطات العربية حمايتها على الدير ورعايتها لرهبانه الذين يقومون بايواء العرب المقيمين في ضواحيه ، ويتولى أولئك العرب بدورهم حماية الرهبان من الاغارات التي كانوا يتعرضون لها بين وقت وآخر (٢٣) •

---

(٢٢) حول اهم التأثيرات الاسلامية في دير سيناء ، انظر السيد عيد العزيز سالم :

الآثار الاسلامية في دير سانت كاترين ، ص ٦ - ٨ •

(٢٣) تلقى الوثائق العربية التي ترجع الى العصور الفاطمية والايوبية والملوكي ،

والمحفوظة بمكتبة دير سيناء ، اضواء ساطعة على هذا التماسك المتين

بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة ، وعلى سياسة التسامح التي عاش في ظلها

رهبان الدير • انظر جوزيف نسيم يوسف : دراسة في وثائق العصرين الفاطمي

والايوبي ، ص ١٨٤ وما بعدها و ١٨٧ وما بعدها •

## المخطوطات العربية فى سيناء واهميتها :

بعد أن أشرنا الى أهم الآثار الاسلامية والمسيحية التى توجد فى شبه جزيرة سيناء ، والتى ترجع الى الفترة الوسيطة من التاريخ ، نلقى بعض الأضواء على المجموعة الخطية العربية المحفوظة بمكتبة الدير ، والتى تمتاز بقيمتها التى يصعب تقديرها •

تحتوى المكتبة على مجموعة نادرة من المخطوطات التى دونت فيما بين القرنين الثامن والتاسع عشر للميلاد • ويبلغ عددها حوالى ٤٥٠٠ مخطوطة مكتوبة باثنتى عشرة لغة هى : العربية ، واليونانية القديمة ، والسريانية ، والقبطية ، والجورجانية ، والحبشية القديمة ، والتركية ، والفارسية ، والأرمنية ، واللاتينية ، والسلافونية ، والبولونية (٢٤) • وتحتل مجموعة المخطوطات العربية التى يبلغ عددها ٦٠٠ مخطوطة مكانة بارزة من بين هذه المخطوطات (٢٥) • اذتناول دراسات تمتاز بقيمتها البالغة فى النواحي العلمية والتاريخية والفلسفية والفكرية والثقافية • وهى تضم كتباً عديدة فريدة فى نوعها تزود الدارس المتخصص بقدر كبير من المعلومات فى شتى أفرع الحضارة الانسانية ، كما تزوده بالعديد من الموضوعات

---

(٢٤) بدل تعدد لغات المجموعة الخطية المحفوظة بمكتبة سيناء على تعدد الاجناس التى عاشت فى الدير فى مختلف العصور • انظر احمد محمد عيسى : « مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بسيناء » - مقال بالمجلة التاريخية المصرية - المجلد الخامس ( ١٩٥٦ ) - القاهرة : ١٩٥٦ ، ص ١١٩ .

(٢٥) عدد مخطوطات المجموعة العربية اصلا ٦٩٧ مخطوطة ، منها ٣٦ فاقدها و ٥٩ كتابا مطبوعا ادرج ضمن المخطوطات ، ومخطوطات قبطية اخرى فارسة ادرجت ايضا خطأ ضمن المجموعة العربية • وعلى هذا يكون مجموع المخطوطات العربية المتبقية بالدير ٦٠٠ مخطوطة فقط • انظر جوزيف نسيم يوسف : دراسات فى المخطوطات العربية ، ص ٩٩ •

في ميادين متشعبة من الدراسات الانسانية مثل التاريخ والقانون والفلسفة ، الى جاب الطب والعلوم والفلك والموسيقى وغيرها .

وقد دون غالبية هذه المخطوطات في الفترة الوسيطة من التاريخ ، وهي تشمل على كتب مدونة بأنواع عديدة من الخطوط العربية ، تمدنا بقدر كبير من المعلومات المتعلقة بالخطوط العربية ، وتزودنا بمادة قيمة عن نمو هذه الخطوط وتطورها والأشكال المختلفة التي كانت تكتب بها ، من كوفي ونسخي ورقعة ونستعليق وثلاث وتعليق . كذلك تتميز أغلفة بعض هذه المخطوطات بزخارفها ونقوشها وحلياتها التي يبدو فيها الأثر العربي واضحا . وتنتهى معظم هذه المخطوطات أيضا بخواتيم ، أى نهايات ، تلقى الضوء على قصة الدير وتنظيمه الإداري على مر العصور ، وتمدنا بسجل حى متحرك لكثير من التفاصيل الهامة المتعلقة بالحوادث العامة أو المحلية في فترات عديدة من التاريخ ، أغفلتها المصادر التاريخية أو مرت عليها من الكرام . كما أنها تعرفنا أحيانا بأسماء كتاب هذه المخطوطات أو مترجميها أو ناسخها أو ناقليها ، وما الى ذلك من بيانات ومعلومات هامة قيمة مثل مصادر المخطوطات ، وهل هى أصليه أو منسوخة . ثم أن هذه الخواتيم الواردة في كثير من المخطوطات العربية ، تعدد مختلف التقاويم أو التاريخ المعروفة حسب تسلسلها زمنيا وهى : تاريخ العالم المعروف بتاريخ آدم أو الحليقة ، وتاريخ الاسكندر اليونانى ، والتقويم الميلادى اللاتينى ، والتاريخ القبطى المعروف بتقويم الشهداء ، والتقويم الهجرى . وهذه التقاويم تشكل عناصر هامة لدراسات خصبة لموضوعات نادرة . ولا تقتصر أهمية المجموعة الخطية العربية على ما ذكرنا فحسب ، فجانبا كبيرا من مخطوطاتها ملئ بالتعليقات الاضافية الهامة المحشورة بين السطور أو المدونة بالهوامش الجانبية . وهى تمتاز بقيمتها الفائقة ، اذ تناول معلومات عامة من أخبار وحوادث ، ومواليد ووفيات ، وسير وتراجم ، ووقائع

تاريخية ، ووصفات طبية ، ونبد في الفلسفة والموسيقى والفلك والعلوم ،  
والى ذلك من نواحي المعرفة .

ويلاحظ أن معظم هذه المخطوطات مدون على ورق ، ولكن عددا  
قليلاً منها مكتوب على رق غزال . ويوجد في المجموعة العربية عدد من  
هذه المخطوطات العتيقة المكتوبة على الرق ، وقد غسّلت صحائفها من  
الحبر القديم لتكون معدة للكتابة عليها من جديد . وقد تصل طبقات  
الكتابة في عدد منها الى ست طبقات فوق بعضها يمكن التعرف على  
مضمونها . ونجد آثار المحو والازالة لا تزال باقية في عدد من هذه  
المخطوطات التي تعرف اصطلاحاً باسم « المخطوطات المفسولة » . وهذه  
الظاهرة الهامة لا تزال بحاجة الى المزيد من الدراسة والبحث (٢٦) .

ولعل أهم ما يلفت النظر في معظم المخطوطات العربية ذات الطابع  
المسيحي ، هو وجود التأثيرات العربية الاسلامية فيها . وتبدو هذه  
التأثيرات واضحة بعد أن أصبحت شبه جزيرة سيناء بديرها وآثارها تابعة  
للسيادة العربية . فكان كثير من المخطوطات العربية المسيحية العتيقة  
تستهل بالبسملة وتختتم بالحمدلة وتؤرخ بالتقويم الهجري . والأمثلة على  
ذلك كثيرة . اذ تبدأ أسفار الكتاب المقدس عند المسيحيين في كثير من هذه  
المخطوطات كالاتي : « بسم الله الرحمن الرحيم فتدبى بعون الله ونكتب  
أول سفر ... ان أول ما خلق الله السما والأرض .. الخ » (٢٧) . كما أطلق

---

(٢٦) تناولت هذه النقاط في شيء من التفصيل والتحليل في بحث لي بعنوان  
« دراسات في المخطوطات العربية بدير القديسة كاترينة في سيناء »  
ص ٩٨ - ١٣٦ . انظر ايضاً عزيز سوريال عطية : الفهارس التحليلية  
لمخطوطات طور سيناء العربية - ج ١ ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢٧) انظر مخطوط رقم ٢ سيناء - عربي ، موضوعه « سفر التكوين » ، تاريخه  
سنة ٣٢٨هـ / ٩٣٠م ، كاتبه مجهول ، ورقة ١٢ ، وكذلك مخطوط رقم  
٣١ سيناء - عربي ، موضوعه « مزامير وتسابيح » ، تاريخه ٣٦٧هـ / ٩٧٧م ،  
كاتبه مجهول ، ورقة ٣ ب .

على كثير من الرسل والقديسين المسيحيين اسم « المصطفى » بدلا من كلمة « البشير » أو « الانجيلي » (٢٨) • كذلك ازدانت كثير من تلك المخطوطات وأغفلتها بنقوش ورسوم وزخارف ملونة ، على هيئة طيور وورود وأزهار وتوريقات نباتية أو اطارات وأفاريز على النسق العربي (٢٩) • والخلاصة أن اللغة العربية بحصيلتها اللغوية الخصبة وأسلوبها الجزل وتعبيراتها السلسة المتدفقة ، ومفرداتها الغنية ، قد طعمت المخطوطات العربية ذات الطابع المسيحي ، فأكسبتها رونقا وبهاء وتعبيرا سليما قويا كانت تفتقر اليه من قبل •

هذه أضواء جديدة تسلط لأول مرة على مخطوطات طورسينا العربية ، يصح أن تكون مجالا لدراسات مستفيضة قائمة بذاتها ، تخدم ناحية من نواحي البحث العلمى ، وتضيف الكثير الى العلم والتاريخ (٣٠) •

#### وثائق سيناء العربية وقيمتها التاريخية :

واذا كنا قد تحدثنا عن المجموعة الخطية العربية بسيناء وأهميتها التى تتمتع بها ، فهناك مجموعة أخرى لا تقل عنها أهمية هى الوثائق التى تحتفظ بها مكتبة الدير ، والتى تتميز بجودتها وأصالتها ، فضلا عن أن الجانب الأكبر

(٢٨) انظر جوزيف نسيم يوسف : « بستان الرهبان : عرض وتحليل نسخته

الخطية العربية غير المنشورة المحفوظة بمكتبة دير سيناء » - مقال بمجلة

كلية لاداب بجامعة الاسكندرية - العدد ٢٣ - الاسكندرية ١٩٧١ ، ص ٥٩ ح ١ •

(٢٩) انظر ، على سبيل المثال ، المخطوطات العربية بسيناء التى تحمل رقم

٦١ و ٦٨ و ٧٦ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٤ و ٨٧ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٥ و ١٠٠ الخ •

والتي يبدو فيها الطابع العربي جليا وضحا • راجع مقالي « دراسات

في المخطوطات العربية » ، ص ١١٠ و ١١٢ وما بعدها •

(٣٠) حول الجديد في المجموعة الخطية العربية بطورسينا ، انظر مقالي « دراسات

في المخطوطات العربية » ، ص ١٠٣ وما بعدها و ١٣٦ •

منها لم ينشر بعد • ويبلغ عددها ١٧٤٢ وثيقة ، منها ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية و ٦٧٠ وثيقة باللغة التركية • وهى تشتمل على عهود ومراسيم وصكوك ومنشورات وفرمانات ومعاهدات وفتاوى وحجج ومحاضر وأوامر ادارية ومتنوعات (٣١) • وتحفظ كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بصور ميكرو فيلم لها يمكن للباحث المتخصص الرجوع اليها والافادة منها (٣٢) •

وأهم الوثائق العربية هى تلك الصادرة من ديوان الانشاء بمصر في عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين الى الدير ورئيسه ورهبانه • وهى تلقى الضوء على طبيعة العلاقات بين رهبان الدير وبعضهم البعض ، وبينهم وبين العرب المحيطين بالدير ، وبين هذه الأطراف والسلطات المسئولة في مصر • ثم أنها تكشف عن الوضع الاقتصادى لمنطقة سيناء في العصر الاسلامى الوسيط • وهى ، فوق هذا وذاك ، تكشف عن سياسة التسامح التى سارت عليها السلطات العربية حيال أهل الذمة • لقد أوضحت بجلاء أن رهبان طورسينا كانوا يعيشون في ديرهم النائى ، وهم هادئين آمنين مطمئنين ، دون أن يلحقهم أذى أو يصيبهم مكروه ، مع تأمين طريق الحجاج الذين كانوا يقومون بحجهم الى هذا المكان المقدس • لقد اشتهر المسلمون بسعة صدرهم وتسامحهم الصادق في أمور الدين وفي الحريات الشخصية • وذلك يرجع لما انطوى عليه الدين الاسلامى من روح التسامح والمحبة لا سيما مع أهل الذمة • ويبدو هذا بجلاء في جميع الوثائق العربية المشار اليها •

---

(٣١) انظر مراد كامل : فهرست دير سانت كاترين بطورسيناء - الجزء الاول -

القاهرة ١٩٥١ ، ١٢٩ - ٢٣٣ •

(٣٢) جوزيف نسيم يوسف : « دراسة في وثائق العصرين الفاطمى والايوبى » ،

ص ١٨١ ، و « دراسات في المخطوطات العربية » ، ص ٩٧ •

ففى منشور يرجع الى أواسط القرن السادس الهجرى ( أواسط القرن  
الثانى عشر الميلادى ) ، صادر من ديوان الخليفة الفاطمى الفائز بنصر الله  
( ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ ) الى اسقف طورسينا ورهبانه ، جاء ما يلى :

« ... انه لما كان من شيمنا ازالة المحرمات وتعقبه اثارها ،  
والمنع من الاستمرار عليها ، وتأكيد انكارها ، ورعاية من يحتوى  
عليه نطاق مملكتنا من اهل الدمة ، واعتمادهم بما يسبغ عليهم  
ملايس الحنو والرحمة . تساوى في عدلنا الصغير والكبير ،  
وشملهم من حسن نظرنا ما يسهل عليهم من المطالب كل مستصعب  
عير ... » ( ٣٣ ) .

وفي منشور آخر صادر بتاريخ ٥٩٢ هـ / ١١٩٥ م من ديوان الملك  
العاذل ابي بكر بن ايوب الى رهبان طورسينا ، جاء بعد البسملة والافتتاحية :  
« ... انا لم نزل ولله الحمد نذب عن الرعايا الذين فوض الله  
تعالى أمرهم الينا ، وأحالت الشريعة الطاهرة في حياتهم علينا .  
فنكف كف الأذى عنهم ، ونجازى على الاحسان من سلك طريقه  
منهم . فنقل عثرتهم ، ونكشف كربتهم وغمتهم ، ونضاعف ذلك  
لبطاركتهم ورهبانهم ومسيحيهم ، وساكى الصوامع من زهادهم ،  
والمنقطعين بالأديرة من عبادهم ... » ( ٣٤ ) .

#### **دور جامعة الاسكندرية فى الكشف عن اثار سيناء وكنوزها :**

لقد اجتذبت الكنوز والآثار الاسلامية والمسيحية فى سيناء ، أنظار  
الدارسين والباحثين من مختلف أنحاء العالم الذين يغدون الى المنطقة بقصد

---

( ٣٣ ) انظر الوثيقة رقم ١٠ سيناء - عربى ، مقاس ٤٨٨ × ٢١ سم ، تاريخ  
ربيع الثانى ٥٥١ هـ ( مايو - يونيو ١١٥٦ م ) ، الاسطر ١٢ - ٢٠ .  
( ٣٤ ) انظر الوثيقة رقم ١١ سيناء - عربى ، مقاس ٥٤٢ × ١٩٥ سم ، تاريخ ١٦  
محرم ٥٩٢ هـ ( ٢١ ديسمبر ١١٩٥ م ) ، الاسطر ١٤ - ٢٣ .



الدراسة والبحث • ولجامعة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية دور كبير في تسليط الأضواء على تلك النفاس من التواحي التاريخية والفنية • اذ أسهمت في منتصف هذا القرن بدور بارز في هذا المضمار • ففي سنة ١٩٥٠ م قامت بعثة علمية من كلية الآداب بالاسكندرية بتصوير أهم مخطوطات الدير ووثائقه • وكان على رأسها المرحوم الاستاذ عبد الحميد العبادي أول عميد لآداب الاسكندرية • وقامت البعثة بالفعل بعمل صور ميكروفيلم لأهم هذه الوثائق والمخطوطات •

وتوالى بعد ذلك الزيارات العلمية التي قامت بها جامعة الاسكندرية بالاشتراك مع بعض الهيئات العلمية بالخارج ، لاستكمال العمل الذي بدأته بعثة سنة ١٩٥٠ م • وكانت آخرها بعثة سنة ١٩٦٣ م التي قامت بها كلية الآداب ، وكان على رأسها المرحوم الدكتور احمد فكرى استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بآداب الاسكندرية سابقا • وكان من حسن حظي أن أتيت لى فرصة الاشتراك في هذه البعثة الأخيرة ، حيث قمت بزيارة منطقة سيناء وآثارها مرتين في أواخر سنة ١٩٦٣ م • وتهيأت لى فرصة مشاهدة معالم المنطقة ، والاطلاع على عدد غير قليل من الوثائق والمخطوطات التي تحتفظ بها مكتبة الدير (٣٥) •

### **بحوث ودراسات جادة قيمة عن سيناء واثارها وكنوزها**

ولقد أثرت تلك الزيارات العلمية التي قامت بها جامعة الاسكندرية الى منطقة سيناء ، اعتبارا من سنة ١٩٥٠ م وحتى أواخر سنة ١٩٦٣ م ، بظهور العديد من البحوث والدراسات الجادة القيمة ، عن سيناء واثارها ووثائقها ومخطوطاتها • ونشرت هذه البحوث في المجلات والدوريات

---

(٣٥) للزبد من المعلومات عن المعلومات عن هذه البعثات العلمية وتواريخها وما حققته من انجازات ، انظر مقالى « دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والايوبى » ، ص ١٧٩ ح ٢ و ١٨٠ ح ٢ •

العلمية ، وزودت المكتبة العربية بمادة قيمة من الطراز الأول ، عن المنطقة  
وجغرافيتها وتاريخها وآثارها . كذلك ظهرت مقالات عديدة باللغات  
الأجنبية في الخارج . بقلم علماء زاروا المنطقة وفاموا بدراسات أثرية وفنية  
وتاريخية فيها ، وهي تكشف عن عظمة تراثنا القومي العربي في هذه المنطقة  
الهامة من الوطن العربي (٣٦) .

وأخيرا ظهر في المكتبة العربية الجزء الأول من الفهارس التحليلية  
لمخطوطات طورسينا العربية . وهو يتضمن فهرس كاملا مع دراسة وصفية  
تحليلية دقيقة لثلاثمائة مخطوطة تشكل نصف عدد المجموعة الخطية  
العربية . وقد قمنا باعداده وتزويده بكشاف علمي مصنف يسهل  
للباحثين عملية البحث فيه (٣٧) . وسوف يصدر الجزء الثاني والأخير  
متضمنا فهرس باقي المجموعة في القريب باذن الله .

---

(٣٦) من الصعب عمل حصر شامل للعلماء الذين زاروا المنطقة واثروا المكتبة  
العربية بدراساتهم الجادة عن مخطوطات سيناء ووثائقها وكنوزها وآثارها  
الفنية والمعمارية . ولكن ~~نذكر من هؤلاء~~ الاستاذ كورت فايتزلمان  
' Kurt Weitzmann ' ، والاستاذ جورج فورسايت ' George Forsyth '

والاستاذ عزيز سوريال عطية . كما ظهرت بمجلة كلية الاداب بجامعة  
الاسكندرية في اعدادها المتعاقبة عدة بحوث لاساندة متخصصين في الميادين  
التاريخية والاثرية والفنية ، من بينها اكثر من دراسة لكاتب هذا البحث .  
(٣٧) انظر عزيز سوريال عطية : الفهارس التحليلية لمخطوطات طورسينا العربية :  
فهارس كاملة مع دراسة تحليلية للمخطوطات العربية بدير القديسة كاترينه  
بطورسينا - ترجمة وتقديم وتعليق د . جوزيف نسي : يوسف - الجزء الاول -  
الاسكندرية ١٩٧٠ . وقد ظهر عرض وتقرير لهذا المجلد في احدى الدوريات  
العلمية التي تصدر في المانيا واسمها « الاسلام » . انظر :

Der Islam: Zeitschrift für Geschichte und Kultur des islamischen Orients,  
Band 49, Heft 1, Berlin, Juni 1972, P. 140.

وتمثل هذه الفهارس الجامعة المانعة التي ترى النور للمرة الأولى ،  
تحتل المكانة اللائقة بها بين المجموعات الببليوجرافية المعاصرة ، تمثل أول  
دراسة تفصيلية نقدية كاملة لمحتويات المجموعة الخطية العربية بسيناء التي  
تتميز بشهرتها العالمية الفائقة • فضلا عن أنها تسجيل علمي دقيق لهذا التراث  
الانساني القيم وحفاظا له من العبث أو الضياع • وسوف تضع هذه  
الفهارس في متناول الباحثين والمستشرقين ، والمعنيين بالدراسات العربية  
والتاريخية والفلسفية واللاهوتية ، في شتى أنحاء العالم ، أتم وأدق معلومات  
تتعلق بهذا التراث الدائم العظيم • وسوف تتيح لكل منهم امكانيات خصبة  
واسعة في مختلف مجالات البحث العلمي •



ندوة

احياء ذكرى الرازى  
جامعة عين شمس - القاهرة  
١٥ - ١ نوفمبر ١٩٧٦

## الرازى في مراسلات البيروني وابن سينا

الدكتور صالح الحمارنة  
قسم التاريخ والآثار  
الجامعة الاردنية - عمان

لم تثر شخصية كبيرة في الحضارة العربية الاسلامية من خصام واختلاف مثلما أثارت شخصية الرازي ويعود ذلك الى الرازي نفسه وما يتحلى به من شجاعة في الرأي وأصالة في التفكير وابتكار في الطب وتعمق في شتى علوم عصره هذا اولا ، وثانياً يعود ذلك الى الفترة نفسها ففي بغداد عاصمة الخلفاء وتحت رعايتهم قامت حركة علمية مباركة للترجمة والتأليف والتوزيع لا نظير لها في تاريخ العصور الوسطى قاطبة ، وقد أضاءت هذه الشعلة ليس في انحاء العراق وبلدان شرقي الخلافة فحسب بل في طول وعرض الامبراطورية العربية ، من بغداد ومرو وبخارى وري و غزنه الى دمشق والقاهرة والقيروان وفاس وقرطبة .

ففي دار السلام قامت حركة الترجمة وفيها انشيء اول المستشفيات في الاسلام وفيها نشأ أو إليها تقاطر العلماء والاطباء والحكماء . وعلى رأسهم فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق الكندي العالم الكبير في شتى الفنون وكان من أساطين هذه النهضة خاصة في الترجمة وعلوم الطب حين بن اسحق العبادي ( ٨٠٩ - ٨٧٢ ) الذي أسس مدرسة كبيرة في الترجمة والنقل .

وما ان قارب القرن التاسع على نهايته واهل القرن العاشر حتى سطع في سماء ري ثم بغداد نجم الرازي ( ٨٦٥ - ٩٣٢ ) باتجاهه الكبير والاصيل في علم الطب السريري والكيمياء والطب الروحاني والمداواة النفسية والفلسفة الاجتماعية فكانت تأليف الرازي الكثيرة سببا في نضوج وأكتمال ما نقدر بحق ان ندعوه الطب العربي المتميز حينئذ بخصائصه الفنية واصطلاحاته ومناهجه التعليمية والتطبيقية وقد صهر في بوتقته علوم الاغريق الطبية مع الثقافات المحلية والتجارب الشرقية مكونا منها مادة

## جديدة (١) \*

ففي هذا الجو العلمي المزدهر وهذه النهضة الثقافية الكبيرة قامت في بغداد وفي غيرها من عواصم الامصار تيارات كثيرة متباينة ومتضاربة وأزدهرت مختلف المدارس في شتى العلوم والفنون تذهب شتى الاتجاهات وكثرت معها ايضا الخصومات والانتقادات ، وكان نصيب الرازي من هذا كله وفير وتخصب \*

فقد انتقد الرازي آراء معاصره سهيل البلخي هذا الفيلسوف المتطرف اذ نقض الرازي كتاب البلخي في اللذة وكتابه الآخر في نقض العلم الالهي والمعاد (٢) \*

ثم وقعت المناظرات الشهيرة ما بين الرازي وبين ابي حاتم الرازي المتوفي ( ٣٢٢ هـ ) الذي كان من كبار دعاة الاسماعيلية واشتهر بدعوته الى المذهب الفاطمي وقد ردّ ابو حاتم هذا على الرازي في كتابه المعروف « بأعلام النبوة » . كذلك نقض على بن اليمان أو ( ابن التمار ) كتاب الرازي « الطب الروحاني » وانتقد الكتاب نفسه حميد الدين الكرمانى (٣) \*

أما ابرز الانتقادات للرازي فكانت ضمن المراسلات التي قامت ما بين الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيروني / ٣٢٦ - ٤٣٢ هـ / ٩٧٢ - ١٠٥١ م / ومعاصره الطبيب الفيلسوف ابو على الحسين بن عبد الله بن سينا الشيخ الرئيس / ٩٧٢ - ١٠٣٨ م / . هذه المراسلات التي دارت حول أمور مختصة بالفلسفة وعلوم ما وراء الطبيعة والفلك والرياضيات والطب

- 
- (١) سامي حمارنه : تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، القاهرة ، مطبعة دار التجليد الفنية ١٩٦٧ ، ص ١٩ - ٢٠ .
- (٢) سامي حمارنه : فهرس مخطوطات دار الكتب الطاهرية ، دمشق ١٩٦٩ ، ص ٨١ .
- (٣) الرازي : رسائل فلسفية جمعها وحققها ب كراوس ، القاهرة - ص ١٥ - ١٧ و ص ٢٩٠ وما بعدها .

وغيرها (٤) . ففي هذه « الاسئلة والأجوبة » هاجم كل منهما الرازي الطبيب وانتقد آرائه ، بل نرى ان ابن سينا يحقر الرازي ويشهر به بشكل يثير الغرابة والدهشة ، فهو يستكثر على الرازي تدخله في أمور الفلسفة لأن العمل فيها مرتبة أعلى لم يصل اليها الرازي ويتساءل لم لا يبذل الرازي جهده في فحص أبوال مرضاه والنظر الى برازهم لتشخيص عللهم وتركيب الدواء النافع لهم فهو يقول عنه : - « محمد بن زكريا الرازي المتكلف الفضول في شروعه من الالهيات وتجاوز قدره في بطء الجراح والنظر في الأبوال والبرازات - لا جرم فضح نفسه وأبدى جهله فيما حاوله ورامه (٥) » .

ويرد أبو ریحان البيروني في مكان آخر « في المسألة الرابعة »  
يقول : هذا جواب محمد بن زكريا فمتى صار مأخوذا برأيه وهو  
مكلف فضولي (٦) .

ولا مجال للشك ان مثل هذا النقد القاسي والمرّ لا يقلل البتة من مكانة الرازي الكبيرة وفضله المشهور في الطب العربي والثقافة الاسلامية في القرون الوسطى في الشرق وفي الغرب . نحن نعلم من مطالعتنا لكتاب « الاسئلة والأجوبة » وغيره ان البيروني يختلف عن الشيخ الرئيس ، فالرجلان لهما اتجاهات متباينة فكريا وعلميا وحتى خلقيا . . ومع هذا اتفقا على انتقاد الرازي واتهامه بأنه متكلف فضولي ترى ما وراء ذلك ؟ .

معروف ان البيروني قد كتب رسالة « في فهرست كتب محمد زكريا

---

(٤) أبو ریحان البيروني وابن سينا ، الاسئلة والأجوبة ، تحقيق سيد حسين نصر ومهدي محقق .

(٥) أبو ریحان البيروني ، طهران ١٣٩٣ - ١٩٧٢ ن.م ص ١٣ .

(٦) أبو ریحان البيروني ، ن . م . ص ٥٣ .

الرازي « وأعتنى بنشرها وتصحيفها بـ كراوس (٧) ثم مهدى محقق من طهران وقد كتبها البيروني بناء على طلب بل والحاج من صديق له وكان ذلك سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م وعمر البيروني آنذاك ٦٥ سنة قمرية / ٦٣ سنة شمسية . ويقول البيروني مخاطباً صديقه في مطلع الرسالة « انك تشوقت الى الاحاطة بزمان محمد بن زكريا الرازي على كمية كتبه التي عملها وأسمائها لتتطرق بذلك الى طلبها ، وأن ما تحقق لديك من ذكاء قريحته وذكاء فطنته وبلوغه من الصناعة أقصى مداها ، شوقك الى معرفة أول من ابتدأ بالطب واستنبطه وهذا وان كان بحثاً خيراً فأنتك لم تأت بالنزاع نحوه شيئاً فريثاً (٨) . ويظهر ان البيروني كان متردداً كثيراً بقبول ما طلبه الصديق فأعذر في البدء وقال انه ليس بكفء لمثل هذا الأمر الجلل ولكنه بالتالي يذعن لطلب الصديق ويقول « وأثبت لك من كتب أبي بكر ما شاهدته أو عثرت على اسمه . . . ولولا احترامي لك لما فعلته لما فيه من اكتساب البغضاء من مخالفيه وظنهم أني من شيعته » ، اذن يذعن البيروني وهو يحس بالخرج ذلك « ان الرازي عمل على الارشاد الى كتب ماني واصحابه « كيادا للاديان والاسلام من بينها » ويقول البيروني « ويوجد مصداق قلبي في آخر كتابه في النبؤات (٩) وفي نهاية الرسالة نحس ان البيروني يعود متدا في حكمه على الرازي اذ يختم قوله مؤيداً اياه : « ولست اعتقد فيه مخادعة بل انخداعاً » . . . وجره الحال الى الاشتغال بالطب . . . وبلغ من الصناعة مبلغاً عالياً واحتاج اليه كبار الملوك واستحضروه مبعجلاً » . ويصف لنا البيروني طريقة الرازي في الدرس والتحصيل فيقول « كان - دائماً

(٧) البيروني : فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي ، تحقيق بـ كراوس ، باريز مطبعة القلم سنة ١٩٣٦ .

(٨) البيروني : ن . م . ص ١ - ٣ .

(٩) البيروني : ن . م . ص ٥ .



الدرس شديدا ... » يضع سراجہ في مشكاة على حائط يواجهه مسندا كتابه اليه كما اذا غلبه النعاس سقط الكتاب من يده فأيقظته ليعود الى ما هو فيه (١٠) وفي النهاية يذكر لنا كتب الرازي وهو يقسمها حسب ما جاء في تحقيق كراوس الى : كتب في الطب ، وفي الطبيعيات وفي المنطقيات وفي الرياضيات والنجوميات وفي التفاسير والتلاخيص والاختصارات ، وفلسفية وتخمينية وفي ما فوق الطبيعة والالهيات والكيمائيات ، والكفريات وفنون شتى ، حتى يصل الرقم الى ١٨٢ كتاب . في حين ان ابن أبي اصيبعة في كتابه « عيون الانباء في طبقات الاطباء » يصل عدد كتب الرازي عنده الى ٢٣٢ كتابا (١١) .

لم يقتصر نقد البيروني للرازي على النواحي الفلسفية والمذهبية بل هناك له نقدا آخر ، فحسب انه مصيب فيه وهو في الأمور الهندسية وما يتعلق بأنقسام الخط المنحني وما شاكل فنقرأ في رسالة البيروني « في استخراج الاوتار الدائرة لخواص الخط المنحني الواقع فيها ما يلي » وقفت على ما استعلمتني من السبب الداعي آياي الى الولوع بتصحيح دعوى لقدماء اليونانيين في أنقسام الخط المنحني في كل قوس بالعمود النازل عليه من منتصفها والتنفير عن خواصه حتى نسبتني لأجله الى الاشتغال بما يذكره محمد بن زكريا الرازي من فضول الهندسة من غير ان يشعر بحقيقة الفضول التي هي الزيادة على الكفاية في كل شيء ، فإنه لو شعر بها لوجد نفسه مرتبكة في فضول الوسوسة التي أفسد بها قلوبا متجافية عن الديانة أو شرهة بفضول الدنيا الى العتاد والرياسة وليس مقدار الكفاية من الهندسة ما ظنه الرازي وأشار بفلسفته اليه ، ثم عادي باقية

(١٠) ابن أبي اصيبعة : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ ص ٤١٤ - ٤٢٧ .

(١١) البيروني ابو ریحان : رسالة في استخراج اوتار الدائرة ، حيدر آباد الركن ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٨ م ص ٣ .

ولم يزل الناس اعداء ما جهلوا (١٢) •

في انتقاد البيروني للرازي يجب ان نلاحظ الأمور الجوهرية التالية ،  
منها ان كثيرا من كتب الرازي قد فقدت وبهذا سقط من يدنا الدليل المادي  
القاطع لكي نحكم فيما يذهب اليه خصوم الرازي أو مريدوه وايضا  
لا شك انه قد نسب الى الرازي كتب أو رسائل لم يكتبها وليس هو  
بمؤلفها . وهذا الأمر كان كثير الشيوع في تلك الفترة ، حتى ان البيروني

نفسه قد نسبت اليه كتب لم يؤلفها •

فهو يقول صراحة « ان ما عدته من كتبى مما عملته في حادثتي وازدادت  
المعرفة بعد ذلك لم أطرحه ولم استرذله فانها جميعاً أنبائي والأكثر بأبنة ...  
مفتون ، ومما عمله غيرى باسمى فهو بمنزلة الربائب في الحجور والقلائد  
على النحور لا أميزينها وبين الابناء » (١٣) •

اذن فان الهجوم القاسي والمركز على الرازي من البيروني وأبن سينا ومن  
سبقيهما ، كان من أسبابه على ما يبدو كتب نسبت الى الرازي وحملت اسمه  
ولم تكن من بنات أفكاره وبقلمه • فقد نسبوا اليه مثلاً كتاباً أظهر  
فيه عيوب الانبياء ألفه بعض الدسامين على الرازي ويحمل الكتاب اسم  
« مخاريق الانبياء » ويقول عن هذا الكتاب ابن أبي أصيبه : وهذا  
الكتاب ان كان قد ألف - والله اعلم - فربما ان بعض الاشرار المعادين  
للرازي قد ألفه ونسبه اليه ليسيء من يرى ذلك الكتاب أو يسمع  
به الظن بالرازي ، والا فالرازي أجل من ان يحاول هذا الأمر • وان  
بصنف في هذا المعنى وحتى ان بعض من يعدم الرازي بل ويكفره كعلي  
بن رضوان المصرى وغيره يسمون ذلك الكتاب « كتاب الرازي في مخاريق

(١٢) البيروني : فهرست كتب الرازي ص ٤٣ •

(١٣) ابن أبي أصيبه : طبقات الاطباء ص ٤٢٦ •

#### الانبياء» (١٤) •

الأمر الذى يشير الاستغراب ان الاستاذ البيروني عالم عصره الكبير والذى كان من دعاة التفتح والانطلاق يضيق بتفتح الرازى وانطلاقه خاصة اشتغاله بالفلسفة والرازى عاش في القرن التاسع ميلادى الذى معه دخلت الى علوم الطب النظريات الرياضية والطبيعية والمنطقية ايضا • وصار يوجب على الطبيب معرفة الفلسفة كما كان يجب عليه الأمام بظائع الاغذية والاطعمة والادوية وأمزجة الجسم وكان الطبيب اخا للنجم وعلى الطبيب ان يتخرج على أيدي علماء الكيمياء (١٥) •

اذن كان لابد للرازى وهو أشهر اطباء عصره ان لا يلزم بكل هذه العلوم فحسب بل ان يكون استاذًا فيها • ومن هنا فقد اشتهر الرازى كأكبر الأطباء الفلاسفة الذين اتبعوا الفلسفة الطبيعية في الاسلام • وقد اخذ العرب عناصر فلسفتهم الطبيعية — كما يقول بور — من مؤلفات أوقليدس وبطليموس وبقرات وجالينوس ومن بعض كتب ارسطو وأخذوها الى جانب هذا من كتب كثيرة ترجع الى المذهبين الفيثاغورى الجديد والافلاطونى الجديد وهذه الفلسفة الطبيعية هي فلسفة الجمهور • وقد نالت قبولا لدى الشيعة ولدى غيرهم من الفرق وأكبر من عمل على نشرها بينهم صائبة حرّان (١٦) •

فقد أشار المسعودى في كتابه التنبيه والاشراف الى ان الرازى كان يؤلف على رأى الفيثاغوريين في الفلسفة الاولى وتحت تأثير الافلاطونية

---

(١٤) ت دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، تعريب محمد عبد الهادي ابو رسده القاهرة • مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٣٨ ص ٨٨ •

(١٥) بور : ن • م ص ٨٥ — ٨٨ •

(١٦) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٠٦ ، بغداد ، مكتبة المثنى ١٩٣٨ • سامي حبارنه : فهرست مخطوطات دار الكتب الظاهرية «الطب والصيدلة» دمشق — مطبعة الترقى ١٩٦٩ ص ٩١ •

الجديدة وتعاليمها في سنة ( ٩٢٣ ) • سبق في هذه الآراء والطرق أبو زكريا بن عدي النصراني وأشهر فلاسفة بغداد في عصره (١٧) • والرازي وهو الضليع بالثقافة اليونانية يقف موقف الناقد لنواحي فيها فهو يخالف أصحاب ارسطو بقوله ان الجسم يحتوي في ذاته مبدأ الحركة - وذكر ابن أبي أصيبعة كتابا للرازي في هذا المعنى وفكرة الرازي هذه فكرة جديدة تعارض الفلسفة القديمة الموروثة وهي تشبه ما ذهب اليه لينتر في القرن السابع عشر وحسب رأى دي بور لو ان الرازي وجد من يؤمن به ويتم بناءه لكان نظرية مثمرة في العلم الطبيعي (١٨) •

كذلك فقد شك الرازي في كتابات جالينوس وآرائه في التشريع والمداواة ، مع تقديره لنبوغه ومركزه العلمي ، وقد أوضح ذلك في كتابه الشكوك والمتناقضات ، التي في كتب جالينوس ، وهذا ما حدا ببعض الاطباء الذين كانوا يجلون كلا الطبيبين ان يحاولوا التوحيد بين وجهتي نظرهما كما فعل عبد الله بن يوسف البغدادي في كتابه حل شيء من شكوك الرازي على كتب جالينوس (١٩) •

ونستطيع القول ان البيروني الذي خالف الرازي بل انتقده بشدة في الالهيات والمسائل الفلسفية نراه هو نفسه من المعجبين بالرازي والمتأثرين به فيما كتب في العلوم الأخرى مثل الكيمياء والطب ، وما اضافة البيروني لكتبه هو نفسه ضمن فهرست كتب الرازي الذي أعده الا دليلا ماديا قويا على انه يعتبر نفسه تلميذا روحيا لطبيب المسلمين غير مراصع

---

(١٧) دي بور : تاريخ للفلسفة ص ٩١ •

(١٨) سامي حمارنة : فهرست مخطوطات الظاهرية ص ٩١ •

(١٩)

Martin plessner, The legacy of islam Ed. J. schachtand c. Bos worth  
second Edition oxford Lg 74. P. 434-438.

## الرازي العظيم (٢٠) •

اما بالنسبة للشيخ الرئيس ابن سينا فالدكتور سامي حمارنه يقول « وقد اتضح لي من دراسة التأليف الطبية وغيرها لكلا الرجلين انه وان كان ابن سينا يفوق الرازي ذكاء ودراية بأصول المنطق والفلسفة والالهيات وما وراء الطبيعة فالرازي يفوقه بكثير كطبيب وكعالم كيماوى بالاضافة الى ما يملكه من حرية الرأي ولا سيما في توجيهاته الاجتماعية التقدمية الرفيعة » (٢١) •



---

(٢٠) سامي حمارنه : فهرست مخطوطات الظاهرية ، دمشق ، ص ١٢٥ •

## المراجع :

- ابن أبي أصيبعة  
ادوارد جي براون  
ت ج ، دى بور
- ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ،  
تحقيق نزار رضا بيروت ١٩٦٥ •  
الطب العربي ، تعريب داود سلمان على  
بغداد ، مطبعة العاني ١٩٦٤ •
- تاريخ الفلسفة في الاسلام ، تعريب محمد  
عبد الهادي أبو ريده ، القاهرة -  
مطبعة التأليف والترجمة والنشر  
القاهرة ١٩٣٨ •
- البیروني أبو ریحان محمد بن أحمد ، رسالة في فهرست كتب الرازي تحقيق  
وتصحيح ب كراوس ، باريز • مطبعة  
القلم ١٩٣٦ •
- الأثر الباقي عن القرون الخالية ،  
تحقيق ادوارد سخاو بغداد - مكتبة  
المثنى •
- وابن سينا ، الاسئلة والاجوبة ، تحقيق سيد  
حسين نصر ومهدى محقق ، طهران  
١٩٧٢ •
- ، رسالة في استخراج الاوتار في الدائرة  
حيدر رآباد الركن - مطبعة جمعية  
دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٨ •
- ، أبو الفرج ابن القف ، القاهرة -  
مطبعة اطلس ١٩٧٤ •
- سامي خلف حمارنه

سامي خلف حمارنه

، فهرس مخطوطات دار الكتب  
الظاهرية « الطب والصيدلة » ،  
دمشق الترقى ١٩٦٩ •

سامي خلف حمارنه

، تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ،  
القاهرة مطبعة دار التجليد الفني  
١٩٦٧ •

الرازي أبو بكر محمد بن زكريا

، رسائل فلسفية ضمنها - كتاب الطب  
الروماني - والمناظرات بين أبي حاتم  
الرازي وأبي بكر الرازي جمعها  
وحققها ب كراوس القاهرة •

فؤاد سزكن

، تاريخ التراث العربي « المجلد الاول  
تعريب فهمي أبو الفضل ، القاهرة ،  
الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ •  
، الوافي بالوفيات ، اسطنبول - وزارة  
المعارف ١٩٤٩ •

الصفدي صلاح الدين خليل

مهدى محقق

، فيلسوف الري ، محمد بن زكريا  
الرازي ، طهران •

المسعودي أبو الحسن علي بن

، التنبيه والأشراف ، بغداد - مكتبة  
المنشي « طبعة الافست » ١٩٣٨ •  
، كتاب مروج الذهب ، الطبعة الثانية ،  
طهران ١٩٧٠ •

الحسين

القفطي جمال الدين أبو الحسن

، اخبار العلماء بأخبار الحكماء ،  
القاهرة ١٣٢٦ هـ ( ١٩٠٨ ) •

ابن النديم محمد ابن اسحق      الفهرست ، تحقيق جوستاف فلوجل

• ليزج ۱۸۷۲ •

Carl Brockelmann, Geschichte der arabischen Literatur, 2 Vols.  
Weimer-Berlin 1898-1902 und supplement Leiden,  
Brill 1937.

Hamarneh Sami,

- Al Biruni's Book on pharmacy pakistan, Karaehi 1973.
- Origins of pharmacy and Therapy in Near East  
Tokyo, The Naito Foundation 1973.

George Sarton, Introduction to the History of Science 3 vols.  
Baltimore 1927-1949.

Je Schacht, and C. Bosworth The Legacy of Islam Oxford 1974

Campbell Donald, Arabian Medicine and Its influence on the  
Middle Ages (2 vols.) London 1926.



جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية  
سكرتارية مجلس الرئاسة  
ندوة الحضارة اليمنية

٢٢ - ٢٧ فبراير ١٩٧٥ م

عـدـن

## الأصول التاريخية للملاحم القحطانية

بقلم

ميخائيل بتروفسكي

« معهد الاستشراق • • لينينغراد »

ان دراسة الاخبار عن اليمن القديمة التي احتفظت بها المؤلفات العربية الاسلامية تكتسب أهمية كبيرة في مجال الأبحاث اليمنية • وكثيرا ما استخدم هذه المعلومات في عملهم ولكن طابع هذه الاخبار وتركيبها وأصولها لا تزال حتى الان غير معروفة بصورة كاملة وواضحة •

ومن الممكن تقسيم كافة الاخبار العربية والاسلامية حول اليمن القديمة الى مجموعتين الاولى بقايا الحضارة اليمنية التي لم تزل تعيش ضمن الحضارة الاسلامية في اليمن • وتحتوى هذه المجموعة على معلومات حول الخط المسند واللغة اليمنية القديمة ووصف الخرائب الآثرية ( الهمداني ) ومنها بقايا بعض التقاليد والطقوس الماضية ( انظر أبحاث ديمكاس و سارجينتر ) وبعض النماذج من الفولكلور اليمنى وبعض افساب القبائل • • ومنها التقاليد الزراعية الظاهرة في الاعراف وفي التقويم اليمنى الزراعي ( مثلا القصيدة الزراعية ) التي تشير الى الاسماء الحميرية للأشهر التي درسها ( يستون ) • وقد بدأ العمل من اجل جمع هذه المعلومات من مؤلفات الطبرى وياقوت الحموى والهمداني ويقوم بهذه العملية القسم العربى في معهد الاستشراق في لينينغراد • والى نفس الاتجاه يرمى مشروع اختيار الألفاظ اليمنية من كتب اللغويين العرب الذى اقترحتها ( بيرين ) • ولا يحتاج استخدام مثل هذه المعلومات الى الأبحاث الادبية التاريخية التمهيدية لانها بقت كرواسب الحضارة الماضية ولم تتغير كثيرا

نتيجة لانضمامها الى الحضارة الاسلامية .

ولا يمكن ان نقول نفس الشيء عن المجموعة الثانية وهي مجموعة الاخبار التي تكون التاريخ الاسطوري لليمن القديمة والتي سماها ( كريم ) « الملاحم العربية الجنوبية » . وقد أصبحت هذه الاخبار جزءا لا يتجزأ من تاريخ العرب العام وقد تعرضت للتأثيرات الثقافية والسياسية العديدة . ولذلك لا يمكن استخدامها في الابحاث التاريخية بصورة واسعة قبل ايضاح أصولها التاريخية وعلاقاتها الحقيقية من واقع اليمن القديم . ويستهدف تقريرنا هذا الى تقديم بعض هذه الملاحم والاعخبار شبه التاريخية .

ويشابه تحليل هذه الاخبار تنقيب البناية الآثارية التي يوجد فيها كثير من الاضافات والتغيرات من مختلف مراحل حياة البناية والتي استخدمت لتشييدها اجزاء المباني القائمة سابقا في نفس المكان أو مكان آخر . ويتلخص هدف الباحث في تمييز بين العناصر لتلك الطابع المختلف وفي تحديد أصولها وتاريخها والترابط بينها .

وقد حاولنا ان نحقق مثل هذه العملية بنسبة الى الملاحم العربية الجنوبية أو القحطانية . وأنها وصلت إلينا ضمن الكتب العربية العديدة مثل ( كتاب التيجان ) و ( سيرة النبي ) لابن هشام و ( تاريخ ) و ( تفسير ) للطبري و ( اخبار عبيد بن شريفة ) و ( سيرة دغفل الشيباني ) و ( وصايا الملوك من ولد قحطان ) وفي المؤلفات الكثيرة لهشام الكلبي والمهداني ونشوان الحميري .. الخ ..

وتضمن هذه الكتب مجموعة الاساطير والملاحم المركز حول المحور التاريخي الوحيد . وتبدأ سلسلة الاجداث الاسطورية من عهد يعرب وعبد شمس - سبأ وقصة لقمان الحكيم وبنى عاد . كان تقسيم السلطة بين بنى عبد شمس : حمير وكهلان نقطة الانعطاف التاريخي وبعدها جاء

التبابعة وهم الملوك من ولد حمير وكانوا بينهم الغزاة الكبار مثل الحارث  
الرائس وأبرمة ذى المنار وأفر وعمرو ذى الادعار والأخرين . وانقطع  
حكم التبابعة في وقت بلقيس ملكة سبأ . وعادت السلطة الى الأسرة التقليدية  
في عهد ياسر ينعم ومن أولاده المشهورين : شمر يرعش الذى دمر سمرقند  
وأسعد الكامل صاحب الأيمان بالله . وبعد ذلك جاءت مرحلة الصراعات  
الداخلية وخرجت سد مأرب وهاجرت قبيلة الازد الى الشمال والمرحلة  
التالية كانت وقت حكم ذى نواس والاحتلال الحبشي ووقت حملة ابرهة  
الإشرم على مكة وبطولة سيف بن ذى يزن والغزو الفارسي لليمن .

وتشير الدراسة الدقيقة لهذه المؤلفات انها أخذت اخبارها عن الكتب  
والاشخاص من الفترة ما بين القرن السابع واواسط الثامن الميلادى وهذا هو  
وقت تدوين وثبيت الملاحم القحطانية . وما هي الظروف التى جرى فيها هذا  
التدوين ؟ والى أى درجة قد تستطیع هذه الظروف الخارجية ان تؤثر  
على تغيير الاخبار الاصلية ؟

ان هذا العصر ، عصر الدولة الأموية ، كان يتميز بالصراع العنيف  
بين تجمع القبائل اليمنية ( القحطانية ) وتجمع القبائل الشمالية ( العدنانية )  
وجرى النضال من أجل حصول على المواقع القيادية في الدولة الاسلامية .  
وأن الاحداث السياسية وأهمية هذا الصراع معروفة للجميع معرفة  
جيدة . وبالنسبة الى هدفنا من الضروري ان تشير فقط الى بعض الوقائع  
المهمة .

اولا : ان القحطانية كانت تجمعا غير منسجمة وكانت تتكون من القبائل  
التي خرجت من اليمن مع الاسلام ( حمير ، كنده ) ومن القبائل العربية  
السورية ( كلب ، جزام ) وكان الاصل اليمنى القحطاني لهذه القبائل  
الثانية موضع الشك والنقاش وكان يحتاج الى الدلائل الثابتة .

ثانيا : ان مجد اليمن القديم وتقليد سيطرة الملوك اليمنيين على

جميع العرب كانت الحجة الرئيسية لتثبيت حق القحطانيين الى الدور السياسي القيادي في الدولة العربية الجديدة . وقد خلقت هذه الظروف الخاصة الطلب الاجتماعي لتدوين ونشر الاخبار التاريخية حول اليمن وانها سببت حفاظا على التراث من الجانب التاريخي وأدت الى تغييره وتكييفه للأوضاع السياسية الجديدة من الجانب الآخر .

وأن اليمنيين الذين اشتركوا في انشاء العلوم العربية الجديدة مثل علم التاريخي وعلم الانساب وعلم التفسير وعلم الحديث ( كعب الاخبار ووهب بن منبه ومعاوية بن صالح . الخ . ) والذين قاموا بتطوير الشعر السياسي والشعر العاطفي . ( اعشى همدان ويزيد بن مفرغ ) ( وعلقة بن ذى جندن ووضاح البن . الخ . ) انهم جمعوا اخيار عن ماضي بلادهم واستخدموها للأغراض السياسية عندما كانوا يمدحون الثروة والجبروت والايمان والتقوى للقحطانيين القدماء وهكذا تشير تحليل الحياة السياسية والثقافية في عهد الدولة الاموية الى ان العملية التي هاجرت في القرن السابع والثامن لم تكن تدوينا عاديا فحسب بل انها كانت تحولا ابداعيا وللأخبار عن اليمن القديمة .

ولكى بأية الطرق قد حققت هذه العملية الابداعية لازم ننظر على النصوص الشعرية والنثرية . وقد اخترنا أوسع وأشهر مجموعة من الملاحم القحطانية وفحصنا استنتاجات دراستها بمفارقتها من كافة الملاحم الأخرى . والمجموعة التي اخترناها هي الملاحم عن اسعد الكامل الذي كان مشهورا كالأغزى العظيم وفتح الجزيرة العربية كلها والعراق وسورية ومصر وايران واسيا الوسطى وكان معروف في الاساطير ايضا كالمملك المؤمن الذي حارس الوثنيين وقدم القرابين للكعبة وعبد الله وأعتنق دين التوحيد . وقد نسبت اليه قصائد عديدة وكان الناس يزعمون انه تبع الذي ذكره القرآن الكريم في سورة « الدخان » ( اية ٣٧ ) .

وتنعكس الخطوط العريضة لهذه الاساطير الظروف التاريخية  
الواقعية في عهد الملك الحميرى أبو كرب اسعد ( الفترة ما بين نهاية القرن  
الرابع وأواسط القرن الخامس الميلادى ) أن نقوش من تلك الفترة  
ثبتت أهمية المرحلة في التاريخ اليمنى . وقد توسعت الدولة اليمنية الموحدة  
الى أقصى حدودها التاريخية وأخذ الملك اللقب الجديد . ملك سبأ وذى  
زيدان وحضرموت ويمنت اعرابهم طورا وتهامه . وقامت الدولة بالسياسة  
النشيطة في المناطق الوسطى والشرقية من الجزيرة العربية وقد تعزز نفوذ  
القبائل البدوية وظهر الاعيان الجدد ( الاقطاعيون ) . وفي تلك الفترة  
بدأ في اليمن التنقل من الديانة القديمة الى التوحيد وتظهر في النقوش  
العبارات التوحيدية وانتشرت الديانات المسيحية واليهودية . ولذلك كان عصر  
حكم أبو كرب اسعد مرحلة مهمة في حياة جنوب الجزيرة العربية ولعبت  
الظواهر الجديدة التى نشأت في هذا الوقت دورا كبيرا في تطور البلاد  
اللاحق . وتأكد المعلومات التاريخية المكثفة البارزة التى احتلها أبو كرب  
اسعد الكامل في الملاحم القحطانية ويشير هذا الى وجود الأسس  
التاريخية والواقعية لهذه الملاحم والأخبار .

وتحكي الملاحم القحطانية عن المواضيع والمواد المشابهة . وكان  
موضع القدر من أهم المواضيع في اشعار اسعد الكامل والتبابعة الآخرين  
وفي وصايا الملوك والنصوص الأخرى . ويكشف التحليل الدقيق ان هذا  
الموضع في الاخبار القحطانية كان يتميز بالوظيفة الخاصة وكان الكلام  
حول القدر يرمي الى تبرير شعوب الوثنيين القدماء والى تأكيد حق  
الاخلاف على مجد الاسلاف وكانت هذه الوظيفة الفكرية تخدم  
مصالح القحطانيين السياسية . ان هذا وطريقة استخدام الكلمات القدرية  
تشير الى ان هذه الملاحم قد اتخذت شكلها النهائي والثابت في العهد  
الاسلامى في فترة القرنين السابع والثامن .

ومن مواضع الملاحم الاساسية وصف الحملات العسكرية وتحتوى هذه القصص على كثير من الاخبار الخيالية الرامية الى تعزيز ومدح الملوك اليمنيين القدماء وقد اثبتت هذه القصص من المصادر المختلفة العديدة . والمصدر الاول هو حكايات حول الفتوح الاسلامية . ومن هذه الحكايات مثلاً ولدت قصة تدمير سمرقند واحتلال الثبت في عهد شمر يرعش . والمصدر الآخر هو الرواية المشهورة عن الاسكندر الأكبر وقد دخلت اساطير من هذه الرواية الى ملاحم لاسعد الكامل ( حملة الى أرض الظلمات ) ولياسر ينعم ( حملة الى وادي الرمل ) ولعمر ذى الادعار ( لقاء مع الناس الذين كانت عيونهم في صدورهم ) وللأقرن ( سير الى منبع الحياة ) . وحتى الاسكندر نفسه كان يعتبر ملكاً يمينياً تحت لقب ذى القرنين . وأصبح اسعد الكامل بطل القصص العربية الشمالية التي كانت أصلاً مرتبطة بالأشخاص والعصور الأخرى . وان قصة حصار يثرب هي الشكل الجديد للأسطورة المحلية عن أبو كرب بن جبلة ( القرن السادس ) .

وقصة غزو العراق ليست الا الرواية الأخرى للأحداث التاريخية من القرن السادس ايضاً عندما كانت الحيرة محتلة من قبل الملك الكندي الحادث بن عمرو . والتحققت قصة غزو الفيل ( القرن السادس ) في الملحمة حول حملة اسعد الحجازي . وأصبحت الأحداث الواقعية من حكم ملك تدمر اذينه ( القرن الثالث ) جزء من الترجمة الاسطورية لحياة الملك الحميري شمر يرعش .

وقد أعلن ان اسعد الكامل مذكور في القرآن الكريم تحت اسم تبع وأن الملاحم القحطانية بصورة عامة قد اشتملت على كثير من القصص والشخصيات القرآنية وحتى على تلك التي كانت أصلاً غير مرتبطة بـ ( ارم ، لقمان ، شعيب ، ذو القرنين ) .

ولكن بعض الاخبار مثلا الاخبار عن حملة اسعد الحجازية ، وعن اعتناق دين التوحيد تناسب الوضع التاريخي ومن المحتمل انها انبثقت من التراث اليمنى الاصلى الذى تعرض فيما بعد للتوسع والتشويه والحجاز وسورية .

وتهتم جميع الملاحم بوصف الجيوش الحميرية وان قائمة القبائل التى اشتركت في الحروب غير واقعية وتنعكس في الحقيقة العلاقات القبلية التى نشأت في العهد الاسلامى فقط . ولكن المصادر والرسوم القديمة تثبت صحة وصف الاسلحة ونظام الجيش الحميرى ( مثلا تنسيق بين الخيل والمشاة او بين وحدات البدو ووحدات الحاضر . وهذا يشابه عبارة النقوش : خمس واعرب او خمس وافرسن ) .

وتثبت دراسة اسماء الاماكن واعلام المذكورة في الملاحم وجود الاصول اليمنية العميقة لهذه الاخبار . وان هذه الاسماء هى يمنية حقا وكثير منها مذكور ايضا في النقوش .

وتتميز الطبقة اليمنية الحقيقية داخل الملاحم القحطانية بالخاصية المهمة . ان جميع الاخبار التاريخية الواقعية عن اليمن القديم مرتبطة بمرحلة تعزز دور القبائل البدوية في حياة البلاد . والمحور الاساسى لتاريخ اليمن الاسطورى هو تقسيم السلطة بين حمير وكهلان الذى كان جدا لجميع القبائل اليمنية البدوية . ولا تعرف الملاحم الملوك من الفترة ما بين القرن الثالث والسادس الميلادى وتبرز بصورة خاصة الملوك الذين قاموا بالسياسة النشيطة في المناطق الشمالية من اليمن وخارجها . ( شمر يرعش وابو كرب اسعد ) . ولم تذكر الملاحم اية الاحداث في جنوب اليمن ولا الحروب الاولى مع الاحباش وانها قد نست حتى غز حضرموت ويمنت في عهد شمر يرعش . ويتركز وصف الجيش على القبائل البدوية بالدرجة وتشير هذه الخصائص الاخرى الى ان اصول الملاحم القحطانية البدائية الاولى كانت مرتبطة بالفئات الجديدة في المجتمع اليمنى . بالقبائل



البدوية وبالأعيان الاقطاعيين الجدد والى درجة باليمنيين المتهودين •  
وتتيح هذه الاستنتاجات الفرصة لنعيد تاريخ تشكيل وتكوين  
الملاحم والახبار القحطانية • وانها نشأت اولا اثناء المرحلة المتأخرة من  
حياة الحضارة اليمنية القديمة • في عهد الحميريين الاخرين عهد السياسة  
النشيط في الجزيرة العربية عهد تعزز قبائل البدو وظهور الاعيان الجدد  
في عهد التحول الفكرى نحو التوحيد •

وقد نقلت هذه الاخبار الاصلية الى الحجاز مع اليمنيين الذين اسلموا  
وهناك انضمت اليها بعض الاخبار العربية الشمالية وبعض القصص القرآنية •  
وان جزء من هذه الاخبار الجديدة كان في الحقيقة تحكى عن اليمن ولكن  
الجزء الكبير منها كان لا يملك اية علاقة مع اليمن القديمة وتاريخها •  
وجذرت هذه عملية توسيع الملاحم اليمنية في ظل الصراع بين المهاجرين  
والانصار ( القحطانية ) وانها كانت جزءا من نشاط اليمنيين في مجال  
تفسير القرآن حسب مصالحهم السياسية والاجتماعية •

وبعد تعاظم الصراع بين القحطانيين والعدانيين في سورية اتخذت  
الملاحم القحطانية التوجه السياسى والفكرى الواضح وانها ازدادت مواضع  
جديدة مقتبسة من رواية عن الاسكندر الاكبر ومن قصة الفتوحات الاسلامية •  
وفي نفس الوقت ( في نهاية القرن السابع واواسط القرن الثامن ) بدأت  
عملية جمع وتدوين هذه الملاحم من قبل الناس مثل عبيد بن ثرية ووهب بن  
منبه ويزيد بن مفرغ ... الخ •

وعندما انخفض الصراع بين التجمعات القبلية في نهاية القرن الثامن  
انتهت معه تطور ونمو الملاحم • وعادت الى اليمن في فترة يسن القرن  
العاشر والثاني عشر واغتنت هناك بالاخبار الجديدة التى بقت في عقول سكان  
البلاد • (مثل بعض قطاعات من الفولكلور في شرح القصيدة الحميرية وبعض  
الاشعار التى تذكر اسماء الملوك العديدة في ( الاكليل للهمداني ) • وقد

اتخذت الملاحم القحطانية شكلها الادبي النهائي التام في مؤلفات نشوان الحميري .

وفي نهاية هذا الموجز يمكن ان نشير الى مجال التاريخ اليمنى الذى يستطيع الباحث ان يستخرج معلومات عنه من الملاحم القحطانية . وهو المعلومات عن الاحداث والظواهر السياسية من الفترة ما بين القرن الرابع والسابع وبصورة خاصة عن عصر بين نهاية القرن السادس واواسط القرن السابع ولا توجد لدى العلماء اية نقوش من هذا الوقت . ويشير بحثنا ايضا الى ان قبل استخدام الملاحم كمراجع تاريخية من الضرورى فرز طبقاتها العليا .. يعنى المعلومات ذات التوجيه السياسى الواضح وقصة الفتوح الاسلامية والاخبار العربية الشمالية واجزاء من رواية الاسكندر الاكبر .

وتكتسب الملاحم القحطانية اهمية كبرى كمراجع للدراسات التاريخية الثقافية . وانها قد ربطت بين حضارة العرب قبل الاسلام وحضارتهم الاسلامية واصبحت هذه الملاحم اساسا لتاريخ العرب العام وكانت ايضا مصدر لكثير من القصص والاخبار الخيالية والذكريات التاريخية التى تمتلأ بها الكتب العربية في العصور الوسطى سواء الادبية او التربوية او التاريخية او الفلسفية او الجغرافية او الدينية . واصبحت هذه المجموعة من الاشخاص والحكايات التاريخية صفة من الصفات المميزة للحضارة الاسلامية .

وفي اعتقادنا تشير هذه الاستنتاجات ليس الى اهمية الملاحم القحطانية لتاريخ اليمن فحسب بل والى الافق الواسع لدراساتها المقبلة ..

## روابط الايمان بين مصر وأفريقيا

بقلم

الدكتور عبدالمنعم ماجد

استاذ التاريخ الاسلامى

ورئيس قسم التاريخ بآداب عين شمس

لقد كانت لمصر مكانة في تاريخ افريقيا الخاص ، مساوية بمكانتها في التاريخ العام . فبالاضافة الى دورها المعطاة في الحضارة الانسانية ، فإنها اختصت افريقيا من دون القارات الاخرى ، بحمل رسالة الدين اليها .

وافريقيا نفسها ، في الزمن القديم او الوسيط ، لم تكن تعرف الا مقرونة بأسم مصر . فقد كان الجغرافيون اليونان ومن بعدهم المسلمون ، يقسمون المعمور من الارض ثلاث قارات (١) اذ لم تكن الامريكتان واستراليا ونيوزيلندا قد اكتشفت بعد ، وهى : اوربا او مايسميه المسلمون اورفي ، وهى تسمية محرفة لاوربا ، وذلك لعدم وجود الباء في لغة الضاد ، مثلما يقولون عن بلاتون افلاطون ، وآسيا ووصفوها بالكبرى ، لان رقعتها واسعة ولوية التى بها مصر ، وهذه الاخيرة هى تسمية افريقيا ، التى لا تعرف الا بمصر ، على اساس انها مجتمع القارات في رأيهم .

حقا ، ان جغرافيين المسلمين اطلقوا اسم افريقية - يكسر الالف والتاء - المربوبة - لتعنى البلاد الملاصقة لمصر ، وقرقت (٢) بينها وبين بلاد المغرب ، الواقعة في الشمال من القارة فهى مطابقة للتسمية اللاتينية القديمة

(١) ياقوت معجم البلدان : ٧ ص ٣٤١

(٢) نفسه : ١ ص ٣٠٠

التي أطلقها الرومان على هذه البلاد أيضا ، كتقسيم إداري ، ثم أصبحت أفريقيا تطلق بعد ذلك ، على كل جزء كان يتم كشفه ، إلى أن عمت على القارة كلها .  
أما غير مصر وأفريقية والمغرب ، فكان يسمى السودان ، ليشمل البلاد التي تمتد من جنوب مصر إلى خط وسط الأرض — الاستواء — ومن البحر الأحمر إلى المحيط الأطلسي ، ويعيش فيها السود أو الأساود ، ويشقها نهر النيل الذي أصبح اسما لكل نهر في أفريقيا ، إذ لم يكن يتصور وجود غيره ، وأن روافده تمتد إلى كل ناحية فيها ، حتى أن الرحالة المشهور ابن بطوطة ، سمى النيجر نيل مصر ، ووصفه وكأنه ينحدر من بلاد النوبة في جنوب مصر .  
أما جنوب السودان ، فلم يكن يعرف عنه شيء ، واعتبر من الخراب ، يسكنه الهمج (٣) الذين يشبهون التتر في تدوير وجوههم (٤) ، وأن منهم قوما يأكلون لحم البشر . ومع ذلك ، فنذكر ملاحظة المؤرخ المسعودي (٥) ، الخاصة بخرائط المصريين القدماء ، ومن بعدهم أخذ اليونان والمسلمون ، بتقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم ، جنوب وشمال خط الاستواء ، مما قد يعني أن القارة الأفريقية تمتد إلى ما بعد خط الاستواء .

وفي الزمن القديم أو الوسيط كانت مصر وحدها تحرس منفذ أفريقيا الوحيدين ، وهما طريقا البحر الأحمر وسيناء ، إذ أن أفريقيا من الناحية الجغرافية تعتبر قارة مغلقة ، بسبب أن السلاسل الجبلية الضخمة تحيط بسواحلها ، والشعاب المرجانية تطوق مياهها ، فضلا عن أن أغلب أنهرها لا تنفذ إلى البحر . فما دامت مصر قوية ، كانت أفريقيا في مأمن ، ودليل ذلك ، أنه لما فقد أسطول مصر في أيام المماليك ، بهزيمته أمام البرتغاليين ،

(٣) القلفشندي ، صبح الاعشى ، ٩ ص ٢٧٣ .

(٤) نفسه ، ٥ ص ٢٣٧ .

(٥) التنبيه والإشراف : ص ٣١ .

فإن ذلك أتاح للاستعمار الأوربي تثبيت قدمه في القارة ، حيث كان الأسطول المصري ، يقف بالمرصاد لكل من يدنو منها •

ومنذ أن أشرقت حضارة مصر القديمة على القارة ، وكانت أساطيل مصر تجوب مواني البحرين الأبيض والأحمر والمحيط الاطلسي • بل ان ملوك مصر العليا ، حكموا في وقت ما مصر والنوبة والحبشة ، كما كان الأثيوبيون - وهم سكان الحبشة - يكتبون بالهيروغليفية قبل كتابتهم بلغتهم الحالية ، وأن معتقدات مصر الدينية كانت وحدها السائدة •

أما في العصر المسيحي ، فإن دور مصر في القارة ظل كبيراً أيضاً ، اذ عن طريقها انتشرت المسيحية الى أنحاء متعددة فيها ، وأضحت أفريقيا المنتصرة تدين بالولاء الديني لكرسي الاسكندرية المصري ، من دون كراسي المسيحية الأخرى ، فلم يكن تصح ولاية أى ملك في النوبة أو الحبشة الا بموافقة بطرك الاسكندرية ، بحيث كان بطاركة الاسكندرية في رأى المؤرخ المصري القلقشندي ، هم ملوك النصرانية في أفريقيا (٦) ، وكان ملوك النوبة والحبشة يدعون حفظ مجارى النيل المنحدر الى مصر •

فلما جاء الفتح العربي لمصر ، فإن ارتباط مصر الديني بالقارة ازداد عن ذى قبل ، فهي من دون أى بلد آخر ، ارتبطت بالنوبة المسيحية ، بمعاهدة عرفت بالاسم المشهور : « البقط » ، وهي كلمة من أصل فرعوني أو غيره ، تعني « الاتفاق » الذى بمقتضاه تبقى النصرانية في النوبة في أمان ، مما هيا لكنيسة مصر أن تنشر مذهبها الأرثوذكس أو اليعقوبي - كما كان يسمى في العصور الوسطى - بين السود في جنوب مصر على نطاق واسع ، شملت مناطق متعددة امتدت الى الحبشة • ومن ناحية أخرى ، فإن « البقط » كان يسمح بتنقل الناس والتجار ، مما ترتب عليه وفود كثير من السود الى مصر ، حتى أنه من كثرتهم ، أصبح الخليفة الفاطمي يعرف

---

(٦) صبح الاعشى : ٥ ص ٣٠٨ •

بصاحب السودان ، مثلما كان يعرف بخليفة المصريين •  
ولا شك أن دور مصر في نشر الاسلام في القارة ، لا يقل عن دورها  
في نشر المسيحية ، ولا سيما منذ أن فتح المماليك النوبة ، في القرن الرابع عشر  
الميلادي ، وتوغلت القبائل العربية الوافدة من مصر في نواحي متعددة من  
السودان شرقاً وغرباً ، بحيث زحف الاسلام من النوبة زحفاً سريعاً ، ولكنه  
لم يفلح في أن يشمل الحبشة كلها • فكان فقهاء مصر ، يذهبون الى أنحاء  
مختلفة من السودان ، لتعليم الدين والفقه ، كما وجدت في الأزهر أماكن  
مخصصة للسود ، يتعلمون فيها علوم الاسلام ، ومدرسة مالكية  
لهم في القسطة •

ولا مجال للمقارنة بين أثر الاسلام في أفريقيا في العصور الوسطى ،  
وأثر أى دين آخر ، انتشر فيها من قبل أو بعد ، وذلك لأن الاسلام  
بطبيعته ، عقيدة للبشر جميعاً كانت تحمل معها للسود العزة والكرامة ، وتذوق  
الحضارة • وفي الواقع ، لم يكن يوجد قبل الاسلام في أفريقيا  
السوداء ، حضارة جذيرة باسمها ، كما أن المستعمر الأوربي فيما بعد ،  
لم يجد مقاومة في هذه القارة ، الا من قبل المسلمين • فالاسلام  
بذرة ، أينعت شجرة باسقة ، زرعت لها جذور عميقة في مصر ، امتدت  
فروعها الى ما حولها •

وقد ترتب على انتشار الاسلام في أفريقيا ، ظهور ممالك  
وأباطوريات للسود ، لأول مرة فيها ، شملت السهول الفيضية في حوض  
السنغال والنيجر ، لها أنظمة حضارية ذات طابع إسلامي ، مثل ، غانة التي  
إعلاها اسم عاهل عربي مسلم ، حكم هو وسلالته شعوب السوننكية  
أو الساراقوليين ، ومالي أو التكرور ، التي حكامها من شعب المندنجو ،  
الذى هو من أوائل الشعوب التي اعتنقت الاسلام في غرب أفريقيا ، وامتدت  
سيطرته من المحيط الى نواحي دارفور في السودان الحالي ، فشملت أقاليم

غانه ومالي والتكرور وصوصو والبرنو وغانم ، وسنغى أو سنغاي ، التي تأسست من شعوب السوركو والجايبي في القرن السابع الميلادي ، وأمتدت نفوذها على الأقاليم السابقة التي كانت ضمن مملكة مالي ، حتى بلاد الحوصا أو الهوسا ، في وسط القارة ، واستمرت إلى القرن السادس عشر الميلادي في العصر الحديث .

وليس أدل على ارتباط مصر بهذه الرفعة الإسلامية الكبيرة في السودان ، من سعى ملوكها أن يقلدوا سلطتهم الشرعية من قبل خليفة مصر العباسي ، الذي انتقلت خلافته إلى مصر ، بعد سقوط بغداد في أيدي المغول ، إذ كان من المصطلح عليه عند المسلمين وقتذاك أن لا سيادة بدون تفويض من خليفة المسلمين . فكان الخلفاء العباسيون في مصر ، يصفون الشرعية على حكم ملوك السود المسلمين في السودان ، مثلما يفعلون بالنسبة للسلطين في مصر ، أو الحكام المسلمين في جميع بلاد الإسلام . فكان ملوك السودان يجدون في هذا التقليد الشرعي من خليفة مصر نوعا من التبرك ، يكسبهم الهيبة والجلال بين رعاياهم ، حتى أن أحدهم تلقب (٧) : سيف الخلافة ، ظهر الامامة ، عضد أمير المؤمنين ، مما يبين الارتباط الوثيق بخليفة مصر .

وقد ترتب على ذلك ، زيارات ملوك السود المسلمين لمصر باستمرار ، ولا سيما وهم في طريقهم إلى الحج ، حيث ينزلون في دار الضيافة في القاهرة ، المسماة : « الدار السلطانية » (٨) ليشاركوا في موكب الحج العام إلى الحجاز ، الذي كانت تحتفل به مصر ، بسبب أنها كانت ترسل الكسوة الشريفة إلى الكعبة ، التي اشتهرت باسم : المحمل الشريف ، حيث كانت

(٧) انظر . بعده .

(٨) انظر . ماجد ، نظم المسالك ورسومهم بالجزء الثاني .

تصنع من القماش المصرى ، الذى يسمى : القباطى ، لأنه نسب صنعه الى القبط . فكانوا في أثناء اقامتهم في مصر ، يستقبلون استقبالا رسمياً حافلاً ، من قبل سلطان المماليك ، الذى يجلس على تخت الملك ، الذى هو على هيئة منبر الجامع ، في القاعة الفخمة ذات الأعمدة « الايوان » في القلعة في القاهرة ، وقد اصطف الأمراء المماليك ، ورجال الدولة المدنيين من ارباب الافلام ، ومن رجال الدين من القضاة ، وعلى رأسهم الخليفة ، لما يوجد التراجمة لينرجموا عند اللزوم ، حتى عرف استقبال ضيوف مصر ، من رسوم القصر المملوكي باسم . « مولى الايوان » .

ولعل أشهر من زار مصر من ملوك السودان المسلمين ، اثنين أحدهما ملك مالي ، المسمى : لندن أو لوبجو أو مساموسى . وأن عرف للمصريين باسم : ملك التكرور ، الذى هو اقليم في امبراطوريته الواسعة في عام ٧٢٤/١٣٢٤ (٩) ، والآخر الأسقيا محمد الاول الكبير ، أو مادو « محمد » تورى ، ملك سنغى أو سنغاي ، في عام ٨٩٩/١٤٩٥ (١٠) ، حيث حصر مع الأول أكثر من ستين ألفاً ، بينهم فقط اثنتا عشرة وصيفة (١١) ، بعد رحلة دامت سبعة أشهر ، وخرج الى القاهرة عند أهرام مصر .

ولقد قابلت منساموس بالذات ، في زيارته لمصر ، مشكلة تقبيل الأرض أمام سلطان المماليك ، محمد بن قلاوون . فقد كان من رسوم البلاط الممالكي ، أن يقبل الضيف الأرض أمام السلطان من بعيد ، عند أوائل البساط ، الممتد الى تخت الملك ، وأن يعود الى تقبيل الأرض مرة ثانية وثالثة ، كلما اقترب من السلطان . وفي أول الأمر تردد منساموس ،

(٩) ابن اياس ، بدائع الزهور ، ١ ص ١٦٣ .

(١٠) انظر : نفسه عام ٨٩٩/١٤٩٥ . حضر معه اثنا عشر ألفاً .

(١١) صبح الاعشى ، ٥ ص ٢٩٦ .



في أن يقبل الأرض (١٢) ، على أساس أنه مسلم لا يسجد الا لله . ولكن تحت تحريض أحد الموجودين في الايوان ، فانه قال في نفسه : ان سجوده لله ، وليس لشخص ، ثم قبل الأرض . وما لبث السلطان المملوكي أن قدّر منزلة ضيفه السوداني الكبير ، فقام له بعض الفيام ، وأجلسه الى جانبه ، وتحدث معه طويلا ، وكان يزوره في قصر الضيافة ، طوال مدة اقامته في مصر ، قبل ذهابه الى الحج ، وحتى بعد عودته منه ، كما أوصى أمير الحجاج وأمير مكة به .

ومن الطريف أن نذكر ، أنه كان من مراسم استقبال ضيوف مصر أيضا ، أن تصرف لهم الخيل والجرايات والمربات ، وأحيانا ترسل لهم جوارى أبكاراً ، وعلى الخصوص الملابس المسماة : « تشريفة » أو « خلعة » ، لتعني ملابس رسمية ، لأنها تحمل بالضرورة اسم السلطان ، وحتى اسم خليفة مصر ، فقد أرسلت الى منسا موس المذكور خلعة (١٣) ، تتكون من رداء من القماش الحريري ، الذي عليه رسم وحوش « طردوحش » ، محلى بقصب كثير « مقصب » ، وبشعر « سنجاب » ، وفرو « مقندس » ، ليلبسه فوق ثوب آخر مشقوق « مفرح » من الحرير أيضا ، مصنوع في الاسكندرية « اسكندري » ، كما أرسلت له طقية « كلوتة » ، مطرزة « زركش » ، لها زوائد « كلاليب » من ذهب ، تلف حولها عمامه « شاش » من الحرير ، موصول طرفها بحرير أبيض مزخرف « رقم » ، عليها بارزاً اسم خليفة مصر العباسي « خليفتي » ، وكأنها تاج على رأسه من خليفة مصر ، وحول وسطه حزام « منطقة » من ذهب مرصع ، وسيف محلي .

(١٢) نفسه ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(١٢) نفسه : ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(١٣) نفسه : ص ٢٩٥ .

ولدينا وصف لاستقبال آخر ، لقصاد ملك الحبشة ، وهم من  
النصارى ، حيث كانوا يدينون بالولاء لبطرك اليعاقبة في مصر ، الذي صار  
لديهم الخليفة على دين النصرانية عندهم ، فكانوا يستقبلون أيضا استقبالاً  
رسمياً حافلاً من قبل السلطان المملوكي ، وفي القاعة الفخمة ذاتها بالقلمة .  
فقد كان عددهم ستمائة شخص ، بعضهم عرايا مكشوف الرأس ، في أذن كل  
منهم حلق من ذهب ، وفي أيديهم أساور ذهب ، ورئيسهم عيله الحرير  
الملون ، ويلبس على رأسه خوذة من المحمل الحمراء ، فيها صفائح ذهب ،  
ثبت فيها درة كبيرة مثمرة ، وكانت معهم طبول يضربونها على الجمال ،  
وأعيانهم تركب الخيل ، والبقية مشاة ، كما يحملون كراسي حديد للجلوس  
بحضرة السلطان ، الا أن المشرفين على القاعة لم يمكنوهم من ذلك .

ولقد ساعدت هذه الصلات والروابط الدينية مع ممالك السودان ،  
تثبيت الايمان في قلوب شعوبها . وليس أدل على ذلك ، من أنه قد نشأت  
في بلادهم مراكز اسلامية ، لا تقل عن مثيلتها في بلاد الشرق الاسلامي ،  
من حيث الأشعاع الاسلامي ، والثقافة العربية ، فقد أصبحت : كومبتي  
وتمبكتوا أو تمبكت وجاو ، من أهم مدن السودان الغربي الاسلامية ،  
التي اجتذبت اليها الفقهاء (١٤) ، ومفسرى القرآن ، والقراء المصريين ، كما  
ذاعت فيها كتب المالكية والشافعية ، التي وردت اليها من مصر ، مع غيرها  
من الكتب الدينية .

ومن ناحية أخرى ، فإن ذكرى هذه الصلات والروابط الأيمانية ،  
لا تزال باقية في مصر ، في وجود حي من أحياء القاهرة الحالية ، اسمه :  
بولاق الدكرور ، نسبة الى أحد الصالحين ، الذي وفد الى مصر من بلاد

(١٤) نفسه : ص ٢٩٧ .

التكرور - وهي مالى - دلالة على وفاة المصيرين للصالحين من عبادة الله ،  
دون تمييز للجنس أو اللون ، وعلى الروابط الايمانية الوثيقة بين  
مصر وأفريقيا .

وبعد : فهذا دور مصر في أفريقيا ، لم يكن على الاطلاق دور المستعمر  
وانما بالاولى دور السلام والحضارة والايمان ، وهذه هي رسالة  
مصر الخالدة أبداً في القارة ، التي لا تزال تقوم بها الى الآن ، بحيث استحققت  
أن تلقب : « بأم أفريقيا » .

دكتور عبد المنعم ماجد

أستاذ التاريخ الاسلامي

ورئيس قسم التاريخ

بآداب جامعة عين شمس

# أضواء على مؤلفات علي بن الحسن الخزرجي المؤرخ اليماني

بقلم / القاضي اسماعيل بن علي الأتوع

رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب

حينما ذهبت الى بريطانيا في ربيع سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م مليا دعوة قسم الدراسات العربية في جامعه لمبرج للامامة بها ستة اشهر متفرغا . كنت افضي معظم ايام الاسبوع في مكتبه الجامعة الشهيرة للاستفادة مما يوجد فيها من مخطوطات عربية نادرة ومطبوعات عربية ايضا . فبحثت في فهارس المخطوطات العربية عما يوجد فيها من مؤلفات يمانية . . فكان أول ما وقع عليه الاختيار هو ( العقد الفاخر الحسن في طبقات أعيان اهل اليمن ) رقم ( ٧٢ ) من مخطوطات كلية الملك ( King College ms12 ) فطلبت من القيم على المخطوطات احضاره - وسرعان ما وضعه امامي فاخذت أتامله فادا هو الجزء الثاني من ( العقد الفاخر الحسن ) لشمس الدين علي بن الحسن الخزرجي المعروف بابن وهاس المتوفي سنة ٨١٢ - ويبدأ هذا الجزء بحرف الظاء من منتصف الصفحة الاولى في الكتاب وينتهي بنهاية الباب الثلاثين وهو باب النساء ، ويحتوى على ذكر جماعة من أعيان نساء اليمن . فاعتقدت بادى ذى بدء ، انه كتاب جديد غير معروف للناس ، ولكن كيف يخفى مثل هذا الكتاب وهو في مكتبة مشهورة وفهرس مخطوطاتها متداول ؟ ، وبعد طول تأمل وجدته شبيها بكتاب ( طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ) للخزرجي نفسه في اسلوب تبويبه وترتيب تراجمه ومنهجه ، وأنه لا يختلف عنه ألا في التسمية فقط .

ثم رجعت الى ترجمة المؤلف في انباء العمر ٤٤١/٢ للحافظ ابن حجر ، وشذارات الذهب ٩٧/٧ للحنبلي . والضوء اللامع ٢١٠/٥ للسحاوي للتأكد

من معرفة مؤلفاته - فوجدت أنهم متقفون على انه اشتغل بالأدب ، ولهج بالتاريخ فنهر فيه ، وجمع لبلده تاريخا كبيرا وآخر على الحروف وآخر في الملوك ، ولم يدبر اسماء تلك الكتب الا آن السخاوي أضاف عند ذكره وآخر على الاسماء فقال : يعني المسمي ( طراز اعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ) وسماه أيضا ( العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اهل اليمن ) . . .

كما رجعت بعد عودتي الى صنعاء الى ترجمته في تاريخ البريهي من أعيان المائة التاسعة فقال في ترجمته : ولد بعد الثلاثين وسبعمائة (١) وعمل في زخرفة المدارس والدور المملوكية وأسمه مثبت في بعض المدارس كالمدرسة الأفضلية ، وربما فوض اليه مباشرة العمارة من السلطان وذكر أنه من جملة المزخرفين في دار الديباج بثعبات . . . ثم قرأ في الأدب ونظم الشعر خصوصا في التعصب للقطانية . . . ثم قال وصنف العجدة يشمل على تواريخ عدة أدخل بعضها في بعض ، وله ترتيب فقهاء اختصار الجندی (٢) أجاد فيه ورتبه على الحروف فجاء في ثلاثة ، مجلدات ، ولم يذكر اسم هذا الكتاب (٣) .

ثم رجعت الى ترجمته في « هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين » لاسماعيل باشا البغدادي ٧٢٨/٢ .

فقال : من تصانيفه تاريخ اليمن مرتب على السنين . ديوان شعره ، طراز اعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن (٤) ( العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن ) ( العقد اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ) ( مرآة الزمن في تاريخ زييد وعدن ) وغير ذلك فذكر ( العقد الفاخر ) على

(١) مولده سنة ٧٣٢ كما أخبره عن نفسه في كتابه ( العقد الفاخر الحسن ) في ترجمة

علي بن احمد بن موسي بن علي الجيلاد .

(٢) اي ( السلوك في طبقات العلماء والملوك ) .

(٣) هو طراز اعلام الزمن .

(٤) سماه البغدادي طراز اعلام اليمن نقلا عن السخاوي وهو خطأ . والصحيح في

اسمه ( طراز اعلام الزمن ) كما ذكره مؤلفه في ديباجته .

أنه كتاب آخر غير ( طراز أعلام الزمن ) . . . وكنت قد رجعت الى كتاب ( طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ) نسخة المتحف البريطاني رقم ( ٢٤٢٥ شرقي ) لأستبين منه الرشد في معرفة حقيقة التسميتين فقال في مقدمته : فصل في تقرير قواعد الكتاب ، أعلم ايها الناظر - وفقنا الله واياك - أن اول ما بدأنا به في كتابنا مقدمة في ذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ هو المقصد الأسنى ، والغاية الحسنى الى أن يقول : وبعد ما يتفق من تمام ذكره وانقضاء عمره أذكر خلفاء الاسلام فأبدأ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه . . . واختتم بالمعتصم عبد الله بن المنتصر العباسي ، واحدا بعد واحد على ترتيبهم المعروف . لكل منهم فصل أذكر فيه تاريخ وفاته وما حدث في أيام مدته ، وأختتم المقدمة المذكورة بفصول أخرى أذكر فيها من ولي الخلافة بعد المعتصم ان شاء الله تعالى وبه التوفيق . ثم أشرع بعد ذلك في مضمون الكتاب ، وأرتب الاسماء المذكورة على ترتيب حروف المعجم في اصطلاح اليمن - فأبدأ بالألف التي هي صورة الهمزة ، ثم الباء ، ثم التاء ، ثم الثاء ، ثم الجيم ، ثم الحاء ، ثم الخاء ، ثم الدال ، ثم الذال ، ثم الراء ، ثم الزاي ، ثم السين ، ثم الشين ، ثم الصاد ، ثم الضاد ، ثم الطاء ، ثم الظاء ، ثم العين ، ثم الغين ، ثم الفاء ، ثم القاف ، ثم الكاف ، ثم اللام ، ثم الميم ، ثم الواو ، ثم النون ، ثم الهاء ، ثم الياء .

ثم قال - وجعلت المسمين بالكنى كأبي بكر . وأبي الغيث ، وأبي السرور ، وأبي عمر ، وأبي زيد في باب آخر بعد أبواب الحروف المذكورة ، ثم أختتم الكتاب بباب أذكر فيه مشاهير النساء فيصير الأبواب ثلاثين باباً لحروف المعجم ، وباب للمسمين بالكنى ، وباب للنساء ، ثم قال : فصل ، وأعلم الناظر الناظر ، وفقنا الله واياك ، أن كتابنا هذا انما هو مأخوذ

في الغالب من كتاب الفقيه الامام الفاضل وحيد عصره ، وفريد دهره  
ابي عبد الله محمد بن يعقوب ابن يوسف الجندی الملقب بهاء الدين صاحب  
التاريخ المعروف ، فإنه امامنا المشهور ، وشيخنا المذكور - وأما تبعنا أثره ،  
وصدقنا خبره ، واغترفنا من فضالته ، وشربنا بدلائله • ولولاه ما خضنا  
هذا البحر العميق ، ولا وجدنا الى هذا المنزل طريق • فرحم الله مشواه ،  
وبل بوابل الرحمة ثراه ، مع ما فيه من التسامح في العبارة ، والتجوز  
في اللفظ • والذي يظهر لي أنه اخترم قبل تهذيبه ، وعوجل قبل تنقيحه  
وترتيبه ، فصار كالرمال المجتمعة في الفلاة المتسعة لا يعلم السالك فيها سبيلا •  
ولا يجد أحد من الناس دليلا ، فاستخرت الله تعالى في ترتيب مبانيه ،  
وتقريب معانيه وجمع منتشرة ، وانتقاء درره وجوهره ، مع ما اضم اليه  
من زيادات حسنة ، وروايات مستحسنة ليسهل فتشيه ، ويظهر نفعه ، وتعم  
فائدته ، ويحسن وضعه • وسميته ( طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان  
اليمن ) • وقد انتهى هذا المجلد الاول الموجود في المتحف البريطاني  
عند نهاية حرف الحاء •

وهذا الوصف الذي ذكره في مقدمة الكتاب كمنهج له هو ما سار  
عليه وما ينطبق على العقد الفاخر فتبين أن المؤلف لم يقتصر على تلك التسمية  
التي وردت في دياحة الكتاب • بل انه سماه ايضا ( العقد الفاخر الحسن  
في طبقات أعيان اهل اليمن ) • وأن التسميتين كلتيهما هما اسم لكتاب  
واحد ، وليس لكتابين مختلفين •• كما يوحي اختلاف التسميتين - الأمر  
الذي دعا اسماعيل باشا البغدادي في كتابه ( هدية العارفين ) أن يذكر  
للخزرجي في ترجمته في صدد ذكر مؤلفاته • مؤلفين أحدهما باسم  
( طراز أعلام الزمن ) والآخر باسم ( العقد الفاخر الحسن ) ، كما تقدم  
ذكر ذلك ثم تبين لي بعد عودتي الى صنعاء أن نسخة مكتبة جامعة كمبريدج  
ليست الوحيدة للجزء الثاني للعقد الفاخر •• فهناك في المكتبة الغريبة

في الجامع الكبير بصنعاء نسخة قديمة تبدأ بترجمة ( ابو العلا بن عبد الله بن محمد بن العلا ) وتقع في ٤٦٥ صفحة : كتب اكثرها الى صفحة ( ٣٣٦ ) بخط أقرب ما يكون شبيها بخط المغاربة ، وبقيّة الكتاب كتب بقلم مؤلفها . وقد فرغ المؤلف من تبييض آخر الكتاب سنة ٨٠١ أي قبل وفاته بأحدى عشر سنة .

وما دام قد انتهى اللبس في قضية ( العقد الفاخر الحسن ) فلا بد لنا من وقفة قصيرة عند مؤلفات الخزرجي الأخرى . فقد سبق ذكر ما قاله مترجموه بأنه جمع لبلده تاريخا كبيرا ، وآخر على الحروف ، وآخر في الملوك . فالتاريخ على الحروف أو الاسماء هو ( طراز أعلام الزمن ) ( والعقد الفاخر الحسن ) اذا فما اسم تاريخه الكبير ؟ وتاريخه في الملوك ؟ . أغلب الظن أن التاريخ الكبير هو ( الكفاية والأعلام من ولى اليمن وسكنها في الاسلام ) - مع أن له كتابا آخر اسمه ( العسجد المسبوك ، والجوهر المحبوك (٥) في اخبار الخلفاء والملوك ) ينسب اليه وهو مثل ( الكفاية والأعلام ) ولعل تاريخه في الملوك هو ( العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ) .

وهنا تبرز قضية خطيرة وهي ( أن العسجد المسبوك ) ( والعقود اللؤلؤية ) منسوبان الى الملك الاشرف اسماعيل بن العباس المتوفي سنة ٨٠٣ فقد روى السخاوى في كتابه الضوء اللامع ٢/٢٩٩ في ترجمة الاشرف قوله : وصنف ( العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في أخبار الخلفاء والملوك ) و ( العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ) .

في حين أن بعض النسخ من ( العسجد المسبوك ) منسوب الى الخزرجي والبعض الآخر منسوب الى الملك الاشرف . فكيف يمكن الاهتداء الى الحكم الصحيح في هذا الأمر ؟ .

لقد كان الخزرجي معاصرا للملك الاشرف ، ومن رجال دولته ، وقد طلب

---

(٥) وفي بعض النسخ والجوهر المحبوك .



أى ملك الاشرف من الخزرجي - كما يقول في مقدمه كتابه ( طراز أعلام  
الزمن ) .. أن اجمع له في كتاب أعلام اليمن وكبرائها وملوكها وأمرائها  
وعلمائها وعبادها ورؤسائها وزهادها . ثم قال الخزرجي فلما صار - أى  
الكتاب - بين يديه أدار نظره فيه وتأمل .. ثم تمثل بقول الأول :

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء .

ثم ذكر عددا كبيرا من عزب عنى ذكره ، وشذ عنى خبره ومخبره .  
ثم قال له : صنف الجميع كتابا ، ورتبه فصولا وأبوابا .. ثم ساق كلامه  
الى أن يقول الخزرجي : وشرعت في جمعه كما رسم ، ووضعه كما أمر وألزم .

ولا يبعد أن يكون الملك الاشرف قد أمر الخزرجي بتصنيف ( العسجد  
المسبوك ) ( والعقود اللؤلؤية ) فقام بذلك ، وفق خطة رسمها له الملك  
الاشرف .. فالسخاوى يذكر في كتابه ( الضوء اللامع ) في ترجمة الملك  
الاشرف بعد أن ذكر أنه صنف ( العسجد المسبوك ) ( والعقود اللؤلؤية )  
ما يلي : - وذلك أنه كان يضع وضعا ، ويحد حدا . ثم يأمر من يتمه  
على ذلك الوضع ويعرض عليه . فما ارتضاه أثبتته ، وما شذ عن مقصوده  
حذفه ، وما وجده ناقصا أتمه .

فهذا يجعلنا نميل الى أن الخزرجي قد صنف الكتابين للملك  
الاشرف وقد مهما اليه ، بعد أن فرغ منهما معا ، أو من كل واحد منهما  
على حدة ليرى رأيه فيهما .. ولعل السخاوى قد رأى الكتابين في مكتبة  
الملك الاشرف يحملان اسمه حينما قدم الى اليمن في عصر الملك الاشرف  
فنسبهما اليه واجتمع السخاوى ايضا بالخزرجي .. واعتقد ان الخزرجي  
قد احتفظ لنفسه بنسخة مماثلة من العسجد المسبوك ، وأضاف اليه ما جد  
من الأخبار بعد وفاة الملك الاشرف حتى آخر عهد للخزرجي بالتأليف ..  
ونسبه اليه بعد أن أدخل عليه بعض التعديل مثل قال على بن الحسن  
الخزرجي عامله الله بما هو اهله ، بدلا من قال الملك الاشرف .. الخ .

فما تقل عن نسخة الملك الاشرف نسبت اليه • وما تقل عن نسخة الخزرجي نسبت اليه ومن هذا جاء اللبس في انتساب ( العسجد المسبوك ) الى الملك الاشرف تارة • والى الخزرجي تارة أخرى •

وهناك كتاب آخر منسوب الى الملك الاشرف اسمه « كتاب فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب - والفن في أخبار من ملك اليمن » رأيتُه وأطلعت عليه في مكتبة ( جون ريلاندز ) في مدينة مانشستر تحت رقم ( ١٩ ) ٢٥٣ عربي • وقد صدره بالفصل الثاني في ذكر اسلام اهل اليمن وذكر عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم • وبدأه بحديث « عليكم باليمن اذا هاجت الفتن » الحديث وختمه بالفصل الثاني عشر من ذكر دولتنا وحوادث حدثت في صدر مدتنا « كما يقول الاشرف نفسه وقد انتهى بحوادثه الى سنة ٨٠٢ أى قبل وفاته بمدة يسيرة • • وقال الناسخ للكتاب نجز التاريخ المبارك بمدينة صنعاء اليمن • وذلك في يوم الجمعة المشهورة فضلة أول شهر ذى القعدة الحرام سنة ٩٨٥ •

ولم يكن في الكتاب خطبة • كما ان اسم الكتاب ونسبته الى الملك الاشرف مكتوب بخط مغاير لخط الكتاب • فاذا كانت هذه التسمية صحيحة - فأغلب الظن أن الملك الاشرف قد أمر من يستنسخ له نسخة مختصرة من نسخته من العسجد المسبوك لأنه شبيه به في منهجه وسياق كلامه وترتيب فصوله وعباراته - وسماها ( فاكهة الزمن ) مع أني أرجح أن التسمية طارئة وانها ليست من كلام الملك الاشرف • لان المترجمين له لم يذكروا له هذا الكتاب بتاتا وأما العقود اللؤلؤية - فأني أرى - اذا كان السخاوى قد اطلع عليها منسوبة الى الملك الاشرف فذكرها له في ترجمته - أنها اختفت أو فقدت ولم يبق الا ما احتفظ به الخزرجي لنفسه منها وأضاف اليها ذكر وفاة الملك الاشرف حيث ختم بها الكتاب ، ونسبها الى نفسه •

هذا ما وصل اليه اجتهدى • والله أعلم بالصواب •

## رفاعة الطهطاوي

### فكره الاجتماعي والسياسي

د . محمود اسماعيل

لا يستطيع المؤرخ المنصف الا أن يضع رفاعة الطهطاوي على رأس قائمة من المفكرين المصريين الافذاذ اللذين تصدوا لتبني دعوات اصلاحية فكرية واجتماعية تجمع بين الأصالة الشرقية وبين الحضارة الغربية .  
لقد كان بحق رائدا . .

لاندليجنسيا المصرية التي أخذت على عاتقها مهمة انتشال مصر من مرحلة التخلف والعزلة لتساير وتواكب حضارة العصر عن طريق تجديد التراث العربي الاسلامي والانفتاح على أوروبا للاستفادة من منجزات نهضتها .  
ولا مشاحة في أن الطهطاوي قد نجح في مهمته ومهد الطريق لاجيال من أعلام مصر الحديثة والمعاصرة كالأفغانى ومحمد عبده وممخطى عبد الرازق وأحمد أمين وطه حسين الذين تلقفوا المشعل ومضوا على الطريق قدما لاتمام تلك الرسالة .

ومفتاح فهم شخصية الرجل كامن في كونه أزهريا أحاط علما بالثقافة النقلية التي سادت في عصره ، فلم يقنع بها ، وازداد رفضه حين أتيح له الاطلاع على ثقافة الغرب ابان اقامته في فرنسا لخمس أعوام قضاه عاكفا على الدراسة والاستيعاب في كافة مناص المعرفة فقرأ لروسو وفولتر وموتسكيو وكيناي وبنام وجون سيتورات مل وغيرهم من أعلام عصر الاستنارة في أوروبا ، فوقف على أسرار تخلف العالم الاسلامي وأسباب النهضة الاوروبية ، وأيقن أنه لامندوحة عن النهل من علوم الغرب دون

الانسلاخ عن الأصول العربية الاسلامية . ولم يجد الطهطاوى ثمة تناقض في منهجه هذا فالفكر الاسلامى في عصور ازدهاره لم يفض الطرف عن الفكر الانسانى السابق عليه تاريخيا ، ولم يجد المسلمون الاول غضاظة في الافادة من « علوم الأوائل » هللينية كانت أو شرقية يهودية أو مسيحية أو وثنية ، ففى القرآن والسنة ما يخص على طلب العلم دون تعصب أو جمود ، والمستنيرون من الخلفاء لم يألوا جهدا في تشجيع حركة الترجمة من الفارسية واليونانية والسريانية وغيرها الى العربية ، ومن هنا كانت النهضة الفكرية الاسلامية التى وفقت بين الأصول العربية والاسلامية وبين الفكر العالمى الوافد والموروث .

على نفس النهج سار الطهطاوى لكنه أدرك أن الثقافة الاسلامية في عصره وصلت الى حال من الجمود والتخلف بحيث لا يمكن التعديل عليها في تحقيق أهدافه ، فرأى ضرورة احياء سنة السلف في عصور اليقظة والازهار وبعث الأصول الحقيقية للحضارة الاسلامية في ذات الوقت الذى دعى فيه الى الأخذ بأسباب الحضارة الغربية كما عاينها ، ومن هذه الزاوية يمكن القول أن الطهطاوى كان سلفيا ومجايدا في آن واحد .

وهذا المنهج القوم يتم عن رحابة أفق ونزعة « هيومانية » تحمد للرجل ، ولا يمكن بحال أن يؤخذ عليه « ازدواجية » الفكر ، أو « ثنائية » النظرة ، كما أنه ليس من المقبول تقييمه — كما رأى البعض — باعتباره داعية الى « التقريب » بين الحضارتين وحسب ، فاذا كان قد حرص للحضارة الأوروبية فانه لم يتنكر لاصوله الاسلامية وحسبنا أنه رغم اعجابه الشديد بحضارة الغرب لم يتقبلها بقضها وقضيضها ، بل كثيرا ما أنكر بعض جوانبها ورأى في الشرق — رغم تخلفه الشديد — بعض الميزات التى يفتقر اليها الغرب — وفي كتابه تخليص الابرز في تلخيص باريز « من الشواهد الكثيرة التى تؤكد هذا القول . بل نجد في كتابه « مناهج الأبواب » ما يرجح

أن دعوته للتغريب كانت تستند صراحة على قواعد وأسس اسلامية ، انظر قوله في هذا الصدد « ..... والفضيلة الثانية تؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم : أو علم ينتفع به أى علم علمه الانسان لغيره فصار نافعا ، والعلم النافع مرادف للحكمة المفسرة به ، فهو ما يوصل الى الصفات العلية والمناقب السنية ويثمر الثمرات الدنيوية والأخروية ويدعو الى المكرمة وينهى عن القبيح وهو المراد بقوله تعالى : ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، حيث فسر العلماء الحكمة بتفسير كثيرة ترجع الى العلم النافع والأفعال الحسنة الصائبة ، فالعلم بهذا المعنى يشمل العلوم النظرية والعلمية ، يعنى معرفة الحقائق والاقدام عليها بالعلم ، فجميع العلوم النفعية عقلية ونقلية نظرية وعملية داخلة بهذا المعنى تحت قوله صلى الله عليه وسلم : أو علم ينتفع به » .

واذا كان هذا الموقف التقدمى ينطلق من أساس اسلامى ، فلا شك أنه كان يمثل في عصر الطهطاوى ثورة فكرية على الثقافة الاسلامية آنئذ . لقد كان العلم في نظر معاصرة « ما كان مأخوذا عن نبي » وما عداه « علم لا ينفع » ، والازهر الذى كان أول جامعة عرفها التاريخ قد تدهور في عصر الطهطاوى واقتصرت الدراسة فيه على العلوم « النقلية » فحسب دينية أو لغوية ، بلى حتى هذا « المنقول » طغت عليه « الخرافة » والغيبية ، واتصرف هم العلماء الى مجرد التبرير للسلطة بالفتاوى الزائفة ، وانبرى الأدباء لتدبيج قصائد المديح الأولى الامر طمعا في الاغداقات والانعامات ، وذوى شأن الفكر الاسلامى وانحدر الى الحوض حتى ليذكر الجبرتي أن احد ولاية مصر ناقش كبار علماء الازهر في مبادئ الرياضيات فأحجموا وقالوا « لا نعرف هذه العلوم » .

وعن حالة التخلف تلك يخبرنا الرحالة فولنى الذى زار مصر في أواخر القرن الثامن عشر أن « الجهل عام في هذه البلاد ، وهو يشمل كل الطبقات

ونتجّلها في كل النواحي الأدبية والفنية والطبيعية ، وحتى الصناعات اليدوية  
فإنها انحدرت الى البساطة » .

بديهي والامر كذلك أن يضيق الطهطاوي درعا بثقافة عصره ويعجب  
بحضارة الغرب التي كانت قد أطلت برأسها منذ الحملة الفرنسية والتي  
أسفرت دون شك عن خلخله الركائز الواهية للفكر المصري ، وما كان بإمكان  
علماء الأزهر أن يستوعبوا هذا التيار الحضاري الوافد وحسبنا أن  
الجبرتي - وهو من أجلة علماء الأزهر - لم يستطع أن يتفهم ما عاين وشاهد  
من تجارب علماء الحملة في الطبيعة والكيمياء واكتفى بالدهشة والحيرة  
حيث قال « ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها ناتج لا يسعها  
عقول أمثالنا » وكان جهود الحسن بن الهيثم وجابر بن حيان قد ضاعت  
سدى ولم تجد من يتابعها ...

لقد أظهر الفكر المصري آنذاك عجزه وأشهر افلاسه ، وأدرك شيخ  
نايه كحسن العطار ضرورة النهوض من الكبوة فقال « ان بلادنا لا بد أن  
تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها » ..

اضطلع رفاة الطهطاوي - تلميذ الشيخ العطار - بهذه المهمة ، فأحدث  
النقلة ، وجهوده في هذا الصدد كانت ثورة فكرية حقيقية ، ثورة من شقين  
كما أسلفنا القول احياء التراث وتجديده من ناحية والأخذ بأسباب  
الحضارة الأوروبية من ناحية أخرى .

ودور الطهطاوي في هذا الصدد يستحق وقفة ، فما أكثر ما كتب  
عن الرجل والاشادة بدوره ، لكن الذين تصدوا لتقييمه ركبوا متن الشطط  
فصوروه عبقريا ومفكرا وفيلسوبا ومنظرا في السياسة والاجتماع  
والاقتصاد ... الخ وفاتهم أن هذا التصور لا يستقيم ومنطق الاشياء .  
ان احد لا يستطيع أن ينكر فضل الرجل أو يغمطه حقه كمثقف موسوعي  
ضرب بسهم وافر في شتى مجالات المعرفة ، وصاحب رسالة نبيلة كرس جهوده

من أجلها ..

وبديهي أن يتناسب حجم هذه الرسالة مع أهدافها وأن يكون حظها من النجاح أو الفشل مرهون بظروف العصر وطبيعة السلطة ، لم تتجاوز أهداف الدعوة نطاق المسكن . ولم تتطلب الرسالة في تنفيذها مفكرا عبقريا - ولم يكن من الممكن ان تعزز ظروف العصر هذا المفكر الفيلسوف - بقدر حاجتها الى معلم مستنير دءوب ، لقد كان الطهطاوى هذا الرجل ، وكان دوره مرسوما في هذا الاطار ، اطار الرضى للواقع والتنوير بمتطلبات التغيير . لذلك فالتقييم الموضوعى لهذا الدور - وهو خطير على كسل حال - يجب ألا يتجاوز هذين الحدين .

وفد تجلى رفض الطهطاوى للفكر السائد في دعوته لاهياء التراث ونشره وفق معايير جديدة ، وقد اسرت جهوده بالفعل في طبع كثير من المخطوطات لأعلام الاسلام كالرازى والحريرى وغيرهما . كما عول على اصلاح الازهر بادخال العلوم العصرية ضمن دراساته . وفي هذا الصدد يقول « ومدار سلوك جادة الرئاد والاصابة منوط - بعد ولى الأمر - بهذه العصاة ( يقصد شيوخ الازهر ) التى ينبغى أن تضيف الى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المنيرة ، معرفة سائر العلوم البشرية المدنية » . وقد تسنى له أن يعيد بنفسه تقييم مناهج الدراسة . فأعد كتباً لتدريس اللغة العربية على أسس جديدة . وفي رسالته « القول السديد في الاجتهاد والتقليد » ما يعبر عن موقفه من التراث ويكشف عن رؤية مستنيرة في اعادة تقييمه .

أما الشق الآخر في رسالة الطهطاوى فيما يتعلق بالترويج لعلوم الغرب ونشرها بين الشيبية فقد تمثل في حركة الترجمة ، ولاعرو فقد ترجم بنفسه كثيرا من الكتب في الانسانيات والطبيعات والرياضيات والعلوم العسكرية فضلا عما قام به تلامذته في هذا الصدد . هذه المترجمات العديدة ،

فضلاً عما ألفه بنفسه ذات أساساً لشبه جيل من الدارسين أسهموا فيما بعد في « علمنه » مصر الحديثة والخروج بها من شلمات العصور الوسطى الى آفاق جديدة .

## ب - المدخل الاجتماعي

يختلف الدارسون في تقدير الاتجاه الاجتماعي عند رفاة الطهطاوى . فمنهم من يرى فيه مفكراً اشتراكياً تبلورت نظريته من خلال استيعابه للتيارات الفكرية ذات ... المضمون الاجتماعي التي فجرتها الثورة الفرنسية وما تلاها من ثورات عامى ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ في أوروبا . وأصحاب تلك الرؤية يدلون عليها بأرائه التي تضمنها كتابه « مناهج الألباب » والتي كانت في تصورهم أول دعوة مصرية للدفاع عن « استعاب الجلايب الزرقاء » وأول سرخة تورية تنادى بضرورة تغيير العلاقات الاقتصادية في الريف المصرى . بلى لقد فاجأنا المفكر الفرنسى روجييه جارودى - الذى زار مصر منذ سنوات - بأن الطهطاوى كان أول مصرى آمن بأراء كارل ماركس وبشر بها حين عرض لنظرية « فائض القيمة » .

وعلى النقيض نجد من الدارسين من نفى عن الرجل أية ميول اشتراكية « بل لعنه لم يسمع بتلك الكلمة » وبالتالي لم تتضمن كتاباته أدنى مضمون اجتماعى يشير الى اشتراكيته من قريب او بعيد . ولم يعتمد كونه ذا نزعات انسانية اخلاقية عامة لتحقيق الخير والعدل والكرامة للانسان . والحق - أجد نفسى - مع قليل من التحفظ - ميالا للأخذ بوجهة النظر الأخيرة . فالطهطاوى - رغم دوره الكبير في زيادة الفكر المصرى الحديث - لم تتجاوز رسالته حد الدعوة لبعث مصر عن طريق تجديد التراث والأخذ بعلوم الغرب وصناعاته دون أن يرتدى مسوح اندعناء والمصلحين والمبشرين بنظريات في الفكر الاجتماعى .

حقيقة أنه اطلع على كافة النظريات والآراء التي ماج بها المجتمع الأوروبى في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وعاش ثورة عام ١٨٣٠ في فرنسا



ووقف على آثارها في أوروبا ، واستوعب كافة الاتجاهات العقلانية والوجدانية والمادية والمثالية لمفكرى البورجوازية . وكذلك تمثل كتابات المفكرين الثوريين على النظام الرأسمالى بعد فشل الفكر المثالى في تقديم حلول لقضايا الجماهير ، وبعد أن بات واضحا للعيان ، افلاس هذا الفكر رغم ما أحدثته من تعديلات محورية في العلاقات الانتاجية التى كانت في جوهرها في صالح النظام الرأسمالى ، ومع ذلك تكاد نجزم بان الطهطاوى لم يكن مفكرا ثوريا ولا مصلحا اجتماعيا ألبته .

لم يكن مفكرا لأن ما ورد من آراء في هذا الصدد بكتابه « مناهج الأبواب » ما كانت من لدنه انما عمل على عرض التيارات الفكرية الاجتماعية كما استقاها من مصادرها الأوروبية مكتفيا بإبداء علامات الرضى والاستحسان ، رابطا بينها وبين ما ألفه من اتجاهات مشابهة في الفكر الاسلامى والشريعة الاسلامية .

فكتاب « مناهج الأبواب » لم يتضمن بحوثا أصلية لرفاعة في الاجتماع أو الاقتصاد ألفها ليبشر بها مواطنيه انما قدر الرجل حجم دوره في أمانة وصدق بعد أن حدد طبيعة رسالته في بساطة ووضوح وهى « أن يعين الجمعية ( أى الشعب ) بقدر الاستطاعة ، ويبدل ما عنده من رأسمال الصناعة لمنفعة الوطن العمومية وينصح للبلاد ببث ما في الوسع من المعلومات » وذلك « بتصنيف نخبة جلية وترصيف تحف جميلة في المنافع العمومية التى بها للوطن توسيع دائرة التمدنية ، أقنظفها من ثمار الكتب العربية الياقة واجتنيثها من مؤلفات فرنساوية النافعة » .

وهذا القول يدفع الزعم الخاطيء بأن رفاعة « مصلح راديكالى » على أساس تأثره بالفكر الاجتماعى الأوروبى فحسب ، ذلك أن الفكر الاسلامى لم يغب عن ذهن رفاعة وهو يصنف كتابه وبالذات آراء ابن خلدون التى وردت بمقدمته الرائعة ، ولقد أبدى رفاعة اعجابا كبيرا بابن خلدون الذى عرفه

فيما يبدو من خلال اعجاب المفكرين الفرنسيين به ، كما عرفت أوروبا أرسطو  
عن طريق العرب من قبل •

ومن المبالغة ايضا القول بأن رفاة اتصف « بالنورية » ذلك أن الرجل كان  
يدرك أن علمه وعمله مرتين برضى الحكام ، وأن جهوده « التنويرية » ما كان  
لها أن تثمر دون مباركة السلطة ، فالمدارس تفتح والكتب تنشر بإرادة من  
أولى الأمر ، ولم يكن الوعي القومي آنذاك في حالة من النضج تتيح للرجل  
التعويل عليه • وحسبنا ان نجاح رفاة أو فشله في مهمته كان مرتبطا  
بنوعية الحكومة ، وجهوده في مدها وجذرها توقفت على استنارة الولاة  
أو استبدادهم •

لذلك نعتقد ان الطهطاوى لم ينحس لتيار فنى بداهه ولا بطرية  
يعينها مما وقف عليه في الفكر الاوروبى ، اما بعض احساسه بالمفاهيم  
الانسانية والنزعات « الهومانية » التى اصوت عليها دافه اليارات الاورويه  
من اقصى اليسين الى اقصى اليسار • واول رفاة بين تلك النزعات  
وبين القيم التى نطوى عليها الشريعة الاسلاميه والنزات الفكرى الاسلامى •  
وتمنى لو ان تلك القيم التى ترجمتها أوروبا الى نظريات ونظم ، تمنى  
لو وجدت لها سبيلا في وطنه ، وفي هذا الصدد يفور « ويمكن أن يقال  
ان الفرد ( الضرائب ) ونحوها لو كانت مرتبة في بلاد الاسلام كما هي  
في تلك البلاد لطابت النفس خصوصا اذا كانت الزكوات الغنى والغنيمة  
لا تبقى بحاجة بيت المال أو كانت ممنوعة بالكلية ، وربما كان لها أصلها  
في الشريعة على بعض أقوال مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة ... » •  
لم تتجاوز آمال الطهطاوى اذن حشد التمنى والرجاء لاعادة النظر في تراث  
السلف بفتح باب الاجتهاد الذى عن طريقه يمكن الوصول الى نظريات ونظم  
مستحدثه لا تقل بحال عما عاينه في باريس •

والذين ذهبوا الى أن الطهطاوى كان اشتراكيا تأسيسا على ابرازه

لقيمة « العمل والكسب ومزاولة الخدمة » ضاراً عن ألباءه المتعلقة  
« بإصلاح الزراعى » على أساس وفهم محصون الارص بين مالها  
وزارعها « لحسين الحار على الهية الاجتماعية » هؤلاء فابهم ان منطلق  
الرجل لم يكن اعتماداً على الآراء والنظريات الاستراكية التى وقف عليها  
في اوروبا بقدر ما راعه من النمو المدهل للراسمالية المصرية التى قامت على  
انقراض القطاع المملوكى والنزلى على اسر اجراءات مصد على وسعيد  
بخصوص المسالة الزراعية •

لا شك ان جوهر هذه التعاليم وردت عند مفكرى الاشتراكية الطوبوية  
الأوروبيين كذا في افكار من عرفوا بأصحاب الاتجاهات السوفوية التى ذاعت  
في النصف الأول من القرن التاسع عشر . لكن الطهطاوى من خلال تعليقاته  
على - هذه النظريات - لم يتحس لها برمتها وانما استحسن ما توافق منها  
مع فهمه للشريعة الاسلامية ، لم يدع الطهطاوى - مثلاً - لآراء  
سان سيمون الذى نادى بضرورة إلغاء الحكومة السياسية واقامة هيئة للحكم  
على أساس اقتصادى ، ولا تحمس لآراء فورسييه واثبت اللذين ذهبا الى  
تطبيق الشيوعية كما اختلف مع برودون الذى هاجم الدولة والدين والملكية  
الفردية ، وتذا لويس بلون الذى فند دعاوى النظام الراسمالي ... الخ  
لا نكر ان آراء هؤلاء جميعاً تركت بصماتها على نظرة الطهطاوى للمسالة  
الاجتماعية ، ولكن تأثيرات ابن خلدون مثلاً وبالذات مقالته المشهورة  
« بان الظلم مؤذن بخراب العمران » وتحليلاته المفصلة في هذا الصدد كانت  
لا شك أكثر فعالية في ادكاء مبدأ العدالة الاجتماعية لدى الطهطاوى •

وحين بسط الطهطاوى نظريه « فائض القيمة » ، وحين فضل « قيمة  
العمل » على « رأس المال » في عمليات الانتاج - عني عكس ما ذهب اليه  
ريكاردو - لا يتخذ ذريعة للقول بأعجابه بالماركسية بقدر اقراره لمبدأ  
انسانى عام وجد له الطهطاوى سنداً في الفكر الاسلامى ، والاحجى

أن يكون صد وقف عليه سلفا عند ابن خلدون الذي قال في هذا الصدد  
« .. ومن اسد الطلقات واعطىها في افساد العمران بليغ الاعمال ونسجير  
الرعايا بعير حتى دلت ان الاساس من تبيل المحولات لان الرق والسلب انما  
هو فيهم اعسان العمران .. الخ » .

بل نادر الطهطاوى بدت باليار الاوروبى القابل « بالاقتصاد الحر » ،  
اعنى بالفريوفراد وادم سميث فيساعى باعداء فيسه العسل سواء في الزراعة  
او الصناعة او التجارة وبالذات في مجاا الزراعة ، ولعل ظروف مصر  
الخاصة تسهل فيض الزراعة فيه هى المصدر الاساسى « لانتساب  
المال » جعل رفاهه يبدى اعجابا به السيد بهذا الاتجاه الذى اسهم دون  
شك في تلوين منظوره الاجتماعى .

وهذا يفسر لماذا لم يحل الطهطاوى صراحة على الاغنياء في وضعه .  
بل أقصى ما فعل دعونه الى التكافل الاجتماعى وحث الاغنياء للنظر بعين  
العطف الى الفقراء عن طريق انشاء المؤسسات الخيرية « فلابد من ابراز  
هذه المصالح الخيرية من جميعه اغنياء ترصد عليها الارصادات وترتب  
لها الرواتب اللازمة ... فهذه صفة جارية » .

كيف تتصور الطهطاوى اشتراكيا ، وهو سليل أسرة عريقة تنتمى الى  
طبقة الاشراف التى تفاخر بانتمائه اليها حيث قال « ... ومما ينبغى هنا  
بالمناسبة أن من الله سبحانه وتعالى على عائلتنا بطهطا أن اجتمع فيها مع  
منصب الاشراف التى هى لم تزل في بيتنا الى الان منصب قضاء الولاية  
في كثير من نسلنا .. » .

ومن يطالع سجل حياته يقف على حقيقة وضعه الطبقي ، فكان يتقاضى  
مرتبات عالية من الحكومة وأنعم عليه بلقب « بك » ، وحاز ألفا وستمئة  
فدان « غير ما اشتراه من العقارات العديدة في بلده وفي القاهرة » وعاش  
حياته مترفا « يقتنى الخدم والأرقاء من الاناث والذكور » وهو أمر

يستحيل معه القول بأن الطهطاوى كان مفكرا اشتراكيا أو حتى صاحب دعوة للإصلاح الاجتماعى على أساس اشتراكى .

### المكرة الديمقراطية

ليس نسبة من عبارة أبلغ من فائدة لكاراديفو نعت بها الطهطاوى تعبر عن موقفه من قضية الديمقراطية ، وهى « ..... » وبرغم تدين هذا الكاتب العبقري وعقيدته ، فهم فلسفة فرنسا في القرن الثامن عشر وتأثر بأراء العقلين تأثرا واضحا « .. ويمكن أن نضيف الى ذلك مراعاته جبروت السلطة الحاكمة في مصر آنئذ ، ذلك أن الطهطاوى ما كان بوسعها أن يتناول على الحكومة الأوتوقراطية فيعبر عن آرائه في الديمقراطية صراحة ، ومن هنا كان الخلط والتضارب في فكره السياسى سمة واضحة .

والسؤال هو ما هى المؤثرات الاسلاميه وما هى الافكار الأوروبية التى صاغ الطهطاوى في ضوءها اراءه السياسية ؟ .

لقد ذكرنا أنه أخذ بالتيار العقلانى في الفكر الاسلامى ودعى الى ضرورة بعثه وحيائه ، غير انه استشعر خطورة المزالق التى يمكن أن يتردى اليها لو تبنى نفس التيار في بعده السياسى ، فاضطر - ربما خوفا وتقية - الى الانحياز للتيار المضاد الذى يعضد الحكم المطلق على أساس أن الشريعة الاسلامية حسب قوله تجيز كافة النظم من الملكية المطلقة الى الملكية المقيدة الى الجمهورية « فشرعية الاسلام التى عليها مدار الحكومة الاسلامية مشوبة بالانوع الثلاثة المذكورة لمن نأملها وعرف مصادرها » ومن ثم اعتقد الطهطاوى أنه وجد مخرجا ومبررا لمواقفه السياسية المتناقضة ما بين تأييد للديموقراطية الى تعضيد للأوتوقراطية .

ونستدل على ذات التناقض من خلال موقفه من الفكر السياسى الأوروبى ، فتارة يتحمس لروسو وآرائه في « العقد الاجتماعى » وأخرى يشيد بمونتسكيه ونظريته في تقييد الديمقراطية كما تضمنها كتابه « روح

القوانين» ، بل ذهب الى أبعد من ذلك حين أخذ بنظرية « التقيض  
الالهى » وحق الملوك المقدس في الحكم التى هى عصب الفكر السياسى  
في العصور الوسطى •

وإذا جاز لنا أن نحدد انتماء الفكرى الاسلامى أو تنسبه الى  
أية مدرسة أوروبية في الفكر السياسى ، يمكن القول بأنه يميل الى نظرية  
الشيعة في الامامة والفلسفة « النفعية » وبالذات عند جون ستيورات مل •  
فالنظرية الشيعية تعلو من قدر الامام « المعصوم » ولا تجوز للرعية حق  
خلعه حتى اذا أخطأ ، فليس لها سوى اسداء النصيحة مع الالتزام بالطاعة •  
وربما كان لا تنمائه لأسرة من « الاشراف » العلويين دخل في ذلك •  
أما تأثيره بالفلسفة « النفعية » فأمر مؤكد وربما التقى بجون ستيورات مل  
نفسه في فرنسا ابان اقامته بها ، فقد زار هذا الفيلسوف الانجليزى  
باريس سنة ١٨٣٠ ، و « ومقاله في الحرية » يعبر عن اعجابه بالملكية الانجليزية  
في ذات الوقت الذى يتعاطف فيه مع ثورة عام ١٨٣٠ في جوهره لم بمس  
شيئا الا خلط فيه • وعند الطهطاوى نجد نفس التناقض ، فاذا كان  
مل قد طور مذهب المنفعة حين دعى الى اخضاع المنفعة الذاتية للمنفعة  
الكلية ، فان الطهطاوى بالقدر الذى برر فيه للحكم المطلق لم يتجاهل  
مصلحة الشعب ، فالقوة الحاكمة - في نظره - « هم قوام الدنيا والدين » ،  
والقوة المحكومة « هم القوة الأهلية المحرزة لكمال الحرية » •

وعلى ذلك فمن الخطأ القول بأن الطهطاوى نادى « بفصل الدين عن  
الدولة » « وأراد أن يحرر المصريين ليس بموجب السلف الصالح بل بحض  
الناس على العقلانية » أو أنه حاول « تثبيت فكرة الدولة الزمنية أو العلمانية »  
كما ذهب بعض الدارسين •

تصدي الطهطاوى لتمرير الحكم المطلق لاعجابه الشديد بمحمد  
على بقدر بعد نظره وحظته من الوقوع في المحذور ، ولقد حاول مرة

« تيسيس » جريدة الوقائع والخروج بها عن اطارها التقليدى ، فأوقف عند حده ، كما لقي عنتا شديدا على يد عباس الأول فأدرك خطورة الدعوة للديموقراطية صراحة في ظل حكومات استبدادية • لكنه من ناحية أخرى أورد في كتبه « تخايص الابريز » و « مناهج الأبواب » و « المرشد الامين » من الاشارات والاياءات التى تنهض دليلا على ميله الشديد للنظم الديموقراطية •

أما عن تبريره للاستبداد فيظهر بوضوح في جعله الحاكم — لا الشعب — مصدر السلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، ولذلك فقد تنكر لأبسط المبادئ التى طرحها إعلان حقوق الانسان الذى تمخضت عنه الثورة الفرنسية الكبرى ، فضلا عن ذلك فقد تجاهل مبدأ فصل السلطات وركزها جميعا في يد الحاكم الذى أضفى عليه طابعا قدسيا حيث يقول « .. فالملك خليفة الله في أرضه : وأن حسابه على ربه ، فليس عليه في فعله مسؤولية لاحد من رعاياه وانما يذكر للحكم والحكمة من طرف أرباب الشرعيات أو السياسيات برفق ولبن لاخطاره بما يجب أن يكون قد غفل عنه مع حسن الظن به اقوله صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة » •

وفيما يتعلق بتقديسه للحريات كان الطهطاوى يدرك في قرارة نفسه أن الاستبداد ليس من الدين في شيء ، وأن مبدأ « الشورى » الديموقراطى مبدأ اسلامى أصيل ، ولا شك أن ايمانه بالديموقراطية قد تأصل أبان بعثته بفرنسا ، فحاول التبشير بها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فأبان وجود ، بالسودان ترجم « مغامرات تليماك » ليومىء بالرمز الى رفض الاستبداد والدعوة لتقويم الحكم المطلق • وحتى في عصر محمد على نفسه نجد الفرنسى « ليس مما في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم » أن « يكون تدبيرها العجيب عبرة لمن اعتبر » على حد قوله •

ولم يجد الطهطاوى تناقضاً ألبته بين العقلانية الليبرالية كما وعها في باريس وبين الشريعة الإسلامية كما فهمها ، فعلى الرغم من أن الدستور الفرنسي ليس مما في كتاب الله ولا في سنته سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد استحسنته لانه « حكم بالعدل والانصاف » ، والعدل والانصاف من أصول الشريعة « فأرادة الله وشريعته خير ضمان للعدل واستقامة الأمور » واستبداد ملوك الشرق — في نظره — « لا وجه له في الشرع » .

كان الطهطاوى ينساق بسليفته وبثقافته للاشادة بالديموقراطية ، ثم يفتن الى خطورة التعبير عن مكنونات نفسه فيريد مدافعا عن الحكم المطلق ، فالدستور الفرنسي « فيه أمور لا ينكر ذو العقول أنها من باب العدل » ، « وأغلب ما في هذه الشرطة نفيًا » ، « والمواد الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة ناذمة لأهل البلاد والغرباء » ، « ولا يخفى عليك حكمة باقى المواد » تلك العبارات وغيرها دعوة مقنعة للحرية وتحييد مرتعش للديموقراطية سرعان ما يتحول الى تراجع ملفوف يصل الى حد الانكار ، فالشرطة ( الدستور ) الفرفسية « ليست مستنبطة من الكتب السماوية .. وهى مخالفة بالكلية للشرائع » .

هذا التناقض في موقف الطهطاوى كان له في الواقع ما يبرره ، وحسبنا أنه اشاد بالديموقراطية في غير سفور في عصر تقلد الحكم فيه اكثر من ديكتاتور ، فاستحق أن يرصف بأبى الديموقراطية المصرية .



## المراجع

- ١ - ابراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية - القاهرة ١٩٤٤ •
- ٢ - ابراهيم عبده : زعماء الاصلاح في العصر الحديث - القاهرة ١٩٤٨ •
- ٣ - ابن خلدون : المقدمة •
- ٤ - أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي  
القاهرة - ١٩٣٨ •
- ٥ - رفاعه الطهطاوى : تخلص الابرز الى تاختيخ باريز - بولاق ١٢٦٥ هـ
- ٦ - رفاعه الطهطاوى : القول السديد في الاجتهاد والتقليد القاهرة ١٢٨٧ هـ
- ٧ - رفاعه الطهطاوى : مناهج الالباب المصرية في مناهج الآداب العصرية  
القاهرة ١٩١٢ •
- ٩ - لويس عوض : تاريخ الفكر المصرى الحديث في القاهرة ١٩٦٩ •

# دور ابن زيدون السياسي والدبلوماسي

في الاندلس

في عصر ملوك الطوائف



الدكتور محمد حسين الزبيدي  
أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد بكلية الآداب بجامعة بغداد  
وعضو اتحاد المؤرخين العرب

## الفصل الاول

شهد القرن الرابع والخامس للهجرة ( القرن العاشر والحادي عشر ) للميلاد في الاندلس احداثا جساما وتطورات خطيرة فكانت بداية لغروب شمس الخلافة الاموية التي امتدت قرونا عدة في شبه الجزيرة بلغت فيه قمة المجد والحضارة وقامت على انقاضها دول صغيرة سميت ( دول ملوك الطوائف ) حيث قسمت الاندلس الى اقاليم صغيرة مستقلة متنافرة كل مدينة تحاول ان تمد نفوذها على الأخرى .

وقد غلب كثير من هذه الدويلات الاسلامية على أمرها فأنقسم المسلمون على أنفسهم وأستتصروا اعداءهم على بعضهم البعض . وسلموا البلاد والقلاع والحصون واحدا تلو الآخر الى اعدائهم وأمدوهم بالمعونة على اخوانهم ، وهكذا أودت تلك الأمور بذلك الملك العظيم .

لقد كانت بداية انحلال هذا الملك العظيم من أول يوم تولى فيه المستعين الخلافة في منتصف ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ وكانت أيام المستعين كما يقول ابن حبان (١) شداد نكرات صعبا مشئومات كريهات المبدأ والفاتحة قبيحان المبدأ والمنتهى ) وقد اقتصر حكمه على قرطبة وثلاث مدن أخرى .

ثم جاء المستكفي الى الخلافة بعد المستظهر وكان ضعيف الرأي ساقط الرؤية يقول ابن حزم ( انه لم يجلس للامارة منذ تلك الفتنة اسقط منه ولا انقص اذ لم يزل معروفا بالتخلف والبطالة اسير الشهوة عاهر الخلوة ) (٢) . وقد صور لنا ابن حزم (٣) انقسام الدولة الى ممالك تصورا دقيقا فقال ( فضيحة لم يقع الدهر مثلها اربعة رجال في مسافة ثلاثة ايام في مثلها

(١) ابن حبان : الذخيرة ق ١ ج ١ ص ٢٥ .

(٢) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤١ .

(٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٣ .

يسمى كل واحد منهم بأمير المؤمنين ويخطب له في زمن واحد ) : احدهم خلف الحصرى باشبيلية على انه هشام بن الحكم المؤيد والثاني محمد بن القاسم حمود بالجزيرة الخضراء والثالث محمد بن علي بن حمود لمدينة مالقا والرابع ادريس بن يحيى بن علي بسبته وقد اراد هؤلاء الملوك ان ينقصوا انفسهم فتسموا ألقاب الخلافة كما تناهبوا اشلاءها فكان منهم المعتضد والمأمون الحسن ابن رشيد القيرواني فقال مما يزهديني في ارض اندلس اسماء معتضد الحسن ابن رشيد القيرواني فقال مما يؤهدني في ارض اندلس اسماء معتضد فيها ومعتمد القاب مملكة في غير موضعها كالحري يحكي انتفاخا صولة الاسد .

ولم يزل هؤلاء ملوك الطوائف في قتال مستمر يستعينون بعد وهم جميعا على بعضهم الى ان تولاهم الضعف واستولى فرناند ملك قشتالة وليون على قسم من البلاد ودفعوا بعض ملوك الطوائف الجزية وتبع فرناند الفونس السادس وقد اشغل البلاد بحروبه وجيوشه فأستغاث المعتمد بن عباد زعيم ملوك الطوائف يوسف بن تاشفين ملك المرابطين في المغرب فأغاثة بجيش كبير هزم المسيحيين هزيمة منكرة في موقعة الزلاقة .

كان الى جانب هذه الفوضى السياسية في البلاد فوضى اجتماعية أخرى غدت الفوضى السياسية واشعلت نارها .

كانت العصبية القبلية مستشرية في بلاد الاندلس فكانت فروع القبائل القحطانية والعدنانية في نزاع مستمر ، وقد حمل العرب الفاتحون معهم هذه الحزازات واغرقوا الاندلس بثورات وفتن شغلت معظم تاريخ الجزيرة .  
وفضلا عن ذلك فقد كانت هناك عصبية أخرى اعنف منها وأبعد أثرا هي العصبية بين العرب والبربر . كان العرب ينظرون الى غيرهم من الامم نظرة استعلاء . فلما اعتنق البربر الاسلام وأسهموا في فتوحاتهم ساءهم استعلاء العرب عليهم واستغلالهم اياها . الامر الذي اثر في نفوسهم تأثيرا سيئا فقاموا بثورات عنيفة عديدة مدمرة لم يخل منها عصر امير أو خليفة حتى

استقلوا أخيرا بعض الاقاليم •

يضاف الى ذلك الخصومة الدينية والعنصرية التي كانت قائمة بين المسلمين والمسيحيين سواء كانوا خاضعين لحكم المسلمين ام مستقلين عنهم على تخوم البلاد الشمالية ، وقد استغل هؤلاء سماحة الاسلام والمسلمين في التآمر على الاسلام والكيد له واتهاز كل فرصة سانحة لذلك حتى تمكنوا من الاستيلاء على اطراف الاندلس فأبتلعوها أخيرا • وتاريخ الاندلس هو تاريخ صراع طويل ومرير بين المسلمين والمسيحيين سواء بأسبانها أو غيرها • وفي هذين القرنين ( الرابع والخامس الهجريين رجحت كفة المسيحيين وفرضوا سلطانهم على المسلمين وقد رأينا كيف ان بعض افراد المسلمين كانوا يدفعون لهم الجزية أو يستنصرهم على بعضهم الآخر ) •

والى جانب ذلك كانت هناك خلافات طائفية بين المسلمين أنفسهم فقد قامت دعوة شيعية قوية يناصرها الفاطميون في مصر والمغرب ضد الامويين في الاندلس وقد قامت ثورات حملت لواء هذه الدعوة ومنها ثورة شقي بن عبد الواحد (٤) وقد ظل عشر سنوات يناهض الامويين وقد سلبهم فيها الاستقرار والاطمئنان وقد ايده خلق كثير • وقامت حروب رهبة بين الناصر والفاطمين ثم بينهم وبين الحاجب المنصور وقد تمكن الشيعة من تأسيس امارة لهم في عصر الطوائف سميت دولة بني حمود حكمها بنو حمود في هذا الجو المضطرب الهائج ولد ابن زيدون وعاش فيه فجاءت حياته مضطربة هائجة مثقلة بالاحداث العظام •

## الفصل الثاني

ولد ابن زيدون (٥) في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ ( في زمن الدولة العمارية في اول عهد المظفر بن المنصور ) من اسرة كريمة تنتمي الى قبيلة بني مخزوم -

(٤) ابن الاثير ، الكامل ج ٥ ص ٣٤ ، ٣٥ •

(٥) هو احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي

ابن خلكان وفيات الاعيان ج ١ ص ٥٣ •

وهي بطن من لؤى بن غالب من بطون قريش (٦) - في بيت من بيوت اعيانها وفقهائها • المعرفة باللغة والادب وكان ابوه من فقهاء قرطبة المعدودين وكان غزير العلم واسع الادب فصيحاً جميل الاخلاق واسع الثراء • كل ذلك مكنه من ان يكون ذا شأن خطير في قرطبة • فكان اولو الامر يستشيرونه في امورهم الخطيرة ويستفتون في المشاكل من شؤونهم (٧) •

وكان جده لأمه صاحب الاحكام الورير ابو بلر محمد بن محمد ابن ابراهيم ولد له صاحب الاحكام تعنى انه اتسعل بالفقه والقضاء (٨) • اهتم هذا الفقيه العظيم بأبنة مند نومه اظفاره فاحضر له الادباء والمثقفين ووصله بالعلماء والفقهاء من اصحابه وكان هو نفسه اول اساتذته اذ كان متفتناً في ضروب العلم جم الرواية والمعرفة باللغة والاداب ، على ان تلمذته لم تطل فقد توفي وابنه في الحادية عشرة من عمره سنة ٤٠٥ هـ - ١٠١٤ (٩) •

ثم لزم صديق ابيه العباس بن ذكوان من علمه وفقهه فقد كان عالي قرطبة الاول وامتدت حياته بعد ابيه الى سنة ٤١٣ للهجرة • ومن اساتذته المشهورين ابو بكر مسلم بن احمد وكان نحوي اديباً متقدماً في علم اللغة والادب ورواية الشعر وقد اعجب ابن زيدون وعكف على محل دروبه •

ومما لا شك فيه ان عقل ابن زيدون ليس من صنع هؤلاء الثلاثة وحدهم بل هو من صنع قرطبة (ساحة العلوم والآداب) او جامعها الكبيرة وما كان يلقي فيها من الدروس وضروب العلم اذ كان يختلف كغيره من شباب عصره الى العلماء والادباء هناك فينهل من معارفهم وثقافتهم ويأخذ من آدابهم

---

(٦) النويري : نهاية الادب ص ٣٣٥ •

(٧) ابن يشكوال : الصلة ص ٢٥٤ ، ابن البار - التكملة ج ٢ ص ٤٤٥ •

(٨) شوقي ضيف - ابن زيدون ص ١٥ •

(٩) شوقي ضيف - ابن زيدون ص ١٦ •

وعلموهم ما يتخذ به فكره ويصقل به لسانه (١٠) •

وعلى هذا نرى ان ابن زيدون كان موفقا غاية التوفيق في المهمة التي كان يوكلها اليه ابن جهور ، ولما رآه ابن جهور اهلا للوزارة رقاها اليها بل جعله ذا الوزارتين فكان منه بمنزلة السмир والوزير والمشير والسفير فكم انقذه الى ملوك الطوائف لامور سياسية ولمخابرات تقتضيها المعاملات والمعاملات التي يوجهها او تدعو اليها علاقاته معهم او مع ملوك الأحيان • فأحسن ابن زيدون التصرف في ذلك وادام الصلة بينه وبين الامراء الآخرين وطور العلاقات ومنتها لذكائه ودهائه وقد ارتبط بصلات ودية مع عدد من امراء الطوائف كعبد العزيز صاحب بلنسية وباريس صاحب غرناطة والمظفر صاحب بطليوس وادريس بن حمود صاحب ملقة • وغلب على قلوب اللوك حتى كان كل ملك يخطب وده ويتمنى ان يقيم عنده ولكنه بعد انقضاء مهمته يرجع الى قرطبه • ويرجع سبب نجاحه في امور السفارة هذا النجاح الكبير الى تجاربه الكثيرة وسعه ثقافته وقوة عارضة وافتتانه ووسامة مظهره وجلال اصله •

وظل ابن زيدون في خدمة ابن جهور يخدمه بأخلاص وتفان فلم يخل عليه بجهد او رأى او مشورة او عمل يؤديه ارضاء له وظل يشرب كؤوس الود صافية مترعة حتى قلب الدهر له ظهر المجن •

لقد اغاض الحاسدين مكانة ابن زيدون من ابن جهور وقربه من قلبه واعتماده عليه فبدأت تدب عقارب السعاية والوثاية والغيرة بينه وبين حاسدى نعمته وسعادته • وبين من كانوا ينفون عليه شهرته الذائعة وفصاحته البارعة أو كانوا ينافسونه في غرامه أو فوزه بحب ولادة بنت الخليفة المستكفي بالله • وقد تقموا عليه لانه نالهم بلاذع لسانه وسخريته منهم •

وتكالب عليه الحاسدون والحاقدون وتآمروا عليه حتى نجحوا لدى  
ابن جهور فحبسه وبقي في الحبس خمسمائة يوم •

### الفصل الثالث

#### دور ابن زيدون الدبوماسي

لقد اسهم ابن زيدون في احداث عصره اسهاما فعالا في مدينة قرطبة  
وقد ادى دورا بارزا في الاحداث السياسية لمكاته المرموقة بين شباب  
قرطبة واصالة نسبه وانه ابن من ابناء سيوخها الاعلام • وان هؤلاء الشباب  
سئموا تلك الحياة القلقة المضطربة لكثرة القلق والفتن والاضطرابات  
ومما لا شك فيه ان هذه الصمود المماره احدث بعض رايها بتلك  
الملاحمه التي نزلت بمدينة قرطبة •

الاحداث وتنتقد اساليب الحكم ومسطرة السلطان وسيطرته ، ودان لها  
راى مسموع بين الناس وسلطان على الشعب وقد هيا لها هذا المركز  
الاجتماعى المرموق الذى تمتعت به ان يؤثروا بسير الاحداث تأثيرا مباشرا  
فقد استطاعوا ان يعزلوا وينحوا امراء ويولوا اخرين غيرهم وان ينقلوا الحكم  
من اسرة الى اسرة وخير شاهد على ذلك اعادتهم سقوط الخلافة الاموية  
ومناداتهم بجمهورية يحكمها الشعب وترجع الى الشعب في احكامها •

ويبدو من ذلك ان ابن زيدون اسهم بنصيب كبير في هذه الاحداث  
والثورات المتلاحقة بل نزعهم وفاد الثورة على خلافة بني امية واسقط الخليفة  
المعتمد آخر خلفاء الامويين في الاندلس واشترك بأقامة الحكم الجمهورى  
الذى جاء به ابن جهور اميرا على قرطبة • ولعل لنكبه جده لأمه على يد اتباع  
الامويين واصارهم اثرا هاما في الثورة عليهم والقضاء على حكمهم •

وقد أكد ابن بسام اسهام ابن زيدون في هذه الاحداث بصورة مباشرة  
ومقالة « كان ابو الوليد من ابناء وجوه الفقهاء في قرطبة ايام الجمعة  
والفتنة وبرع ادبه وجاد شعره وعلا شأنه وانطلق لسانه فذهب به العجب  
كل مذهب (١١) •

(١١) ابن بسام - النخيرة • ق ١ ج ١ ص ٢٩٠ - ٢٩١ •



على ضوء ذلك نستطيع أن نحدد دور ابن زيدون السياسي في تلك الأحداث اسهم بفصاحته وبلاغته النادرة وسعة علمه وثقافته في تفويض الجساهير وتاليها في الثورة على السلطان وابرار عيوب الحكم والحالمين والدعوة لابن جمهور وجمع الناس حوله واتمسك به في تسليم الحكم وكان ذلك يتم بالاتسادة بفضلله وعدله وحكمته . وكان ابن زيدون خير من يجيد هذا الامر باسلوب جميل وقيق وبلاغة ممتازة وفصاحة نادرة . وقد در ابن خاقان ما يؤيد هذا الراى بان عده ( زعيم الفئة القرطبية وثقاة الدولة الجمهورية ) (١٢) .

واننا نسل الى الانقباد بان ابن زيدون اسهم في احداث هذه الثورات وهو في الثامنة عشر من عمره وكانت اهم الثورات المعاصرة له في هذا السن المبكر هي :

١ - ثورة اهل قرطبة سنة ٤١٤ هـ على القاسم بن حمود وطرده من قرطبة . لم يوفق القاسم في سياسة تجاه اهل قرطبة لانه اصطفى البربر ومكنهم من اهل قرطبة فأشتدوا في معاملتهم ومطاردتهم وضاق اهل قرطبة في النهاية ذرعا تلك الحالة فثاروا على البربر واستعدوا لقتالهم واعلنوا خلع القاسم واستمرت المعارك حينما من الزمن حتى استطاع القرطبيون ارغام القاسم على مغادرة القصر وذلك في جمادى الثاني سنة ٤١٤ هـ ( ايلول / ١٠٢٣ م ) فأقلب البربر الى محاصرة المدينة بعد ان اغلق اهل قرطبة الابواب واستمر الحصار خمسين يوما والمعارك في كل يوم تتجدد واخيرا خرج اهل قرطبة واشتبكوا مع البربر في معركة كبيرة حاسمة وقتلواهم قتالا شديدا حتى هزموا البربر ومزقوهم وتفرقت بقايا البربر وانقضت عن القاسم فثار القاسم في نفر من اصحابه الى اشبيلية (١٣) .

(١٢) ابن خاقان - قلائد العقبان ص ٧٣ .

(١٣) البيان المغرب ج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٥ - اعمال الاعزم ص ١٣٣ .

وكان اهل قرطبة قد سئموا حكم البربر واتباعهم واجتمعوا على رد الامر الى بنى امية ف عقدوا البيعة الى عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله في السادس عشر من رمضان ١٤٤ ديسبر منه ١٠٢٣ م واتخذ لقب المستظهر بالله (١٤) .

سورة القرطبيين سنة ١٤٤ على الخليفة المستظهر بالله وقتله :

لقد تولى المستظهر الخلافة وهو فنى في الثالثة والعشرين من عمره . وقد قدم لنا ابن بسام (١٥) المؤرخ الاندلسي المعاصر صورة للظروف التى صاحبة ولايته . في الواقع ان هذا الخليفة كان يتمتع بخلال باهرة وكان ممكنا ان يكون معقد الآمال لو اتبىخ له من السلطان وحرية التصرف ما طلب ولكن الظروف عاجلته وغلبته على امره وكان قد بدأ حكمه بان ارسل الى الثغور والمدن يطلب تأييد البيعة له فلم يستطع وقبض على عدد من الوزراء وصادر اموالهم وكان يعتقد ان سلطانه سيقوى بأزالته .

ثم اعتقل عدد من ابناء المردانية . كانت هذه البوادر تذكي سخطا الخاصة والعامّة عليه ثم وقع حادث زاد الطين بله وكان نذير الثورة عليه وذلك انه استقبل عددا من الفرسان البربر فأكرم وقادتهم وانزلهم في القعر فأغضب ذلك الاعيان والاشراف وأوغروا صدور العامة قائلين لهم : اننا حاربنا البربر وقهرناهم الخليفة يسعى في ردهم الينا وتمكينهم من امرنا فهاجت العامة وثارت وزحفت جموعهم على القصر واقتحموه على غرة وقتلوا البربر حيث وجدوا وفتحوا المطبق ( السجن ) واخرجوا منه من كان من المعتقلين ووثبوا الى جناح الحرم وايقن الخليفة عبد الرحمن المستظهر بالله انه هالك لا محالة فأختبأ في اتون الحمام واعتدى الثوار على اهله وحرمه وكانت مناظر شنيعة ومروعة وحملوهن الى منازلهم علانية .

(١٤) الحميدي - محمد بن فتوح ، جذوة المقتبس ص ٢٤ .

(١٥) ابن بسام - الذخيرة - القم الاول ص ٣٨ - ٣٩ .

ولما اختفى المستظهر بالله ، نهر ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر وكان مختبئاً ، فأخذه الثوار الى القصر واجلس مجلس الملك وبويع بالخلافة في اليوم الثالث من ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ ١٧ يناير ١٥٢٤ م وتلقب بالمستكفي بالله . وقد فتش الثوار عن المستظهر فعثروا عليه في اتون الحمام في حالة مزرية فأخذ الى الخليفة فأعدمه فقتله . وكانت امارته منذ توليته الحكم حتى مقتله سبعة وأربعين يوماً .

وكان المستكفي يوم ولايته في الثانية والخمسين من عمره وكان خالياً من الصفات الحسنة مولماً بالمجون والشراب سيء الرأي عاجزه وقد شبهه ابن حزم في سوء صفاته وفي مجونه وفسقه وخضوعه لشهواته بسميه المستكفي العباسي . وقد كان كلاهما في نفس السن وحكم كل منهما نحو سنة وخمسة اشهر (١٦) .

اضطهد المستكفي معظم السياسيين القدماء والمفكرين وقد هجر قرطبة كثيرون منهم ولجأوا الى بلاط يحيى بن حمود بماله . وهدم القصور الناصرية وخربت قصور المنصور بالزاهرة فسادها الخراب .

وقد نقل هؤلاء المهاجرون ليحيى بن حمود سوء الأوضاع في قرطبة والخراب الذي حل بها والزرء الذي يحى باصها . وقد سم اهل قرطبة ولاية المستكفي فتاروا ونادوا بخضعه . فدخل عليه الوزراء والاسراف واغلظوا له في القو وطلبوا منه النازل عن الخلاه . فنازل بم غادر قرطبة متخفياً في زى امرأة ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة ٤١٦ هـ - مايو - ١٠٢٥ و صار المستكفي صوب الثغر في ثغر من صحبه ووصل الى اقليم من احواز قرطبه وهنالك اغتاله بعض مرافقيه لاعتقادهم

(١٦) ابن حزم - البيان المغرب ٣٢ ص ١٤١ .

ابن الخطيب - اعمال الاعلام ص ١٣٦ .

انه يحمل مالا (١٧) •

٢ - ثورة اهل قرطبة سنة ٤١٧ هـ ضد البربر واسقاطهم حكم العلويين  
من بني حمود وارجاع الملك الى بني امية :

مضت بضعة اشهر على خلع الخليفة المستكفي والحكومة في قرطبة فوضى  
والشعب في فتنة عارمة • الامر الذي شجع يحيى بن حمود العلوي ان يستولي  
على العاصمة قرطبة فقصدها في جيش كبير ودخل قصر الخلافة • في الخامس  
عشر من رمضان في نفس العام ( ٤١٦ هـ ) ٩ نوفمبر ١٠٢٥ م وبقي بها  
الى نهاية العام ثم تركها في أوائل محرم سنة ٤١٧ هـ قاصدا ماله واثاب  
فيها وزيريه احمد بن موسى ودوناس بن ابي روح لادارة شؤون البلاد ومعهما  
حامية من الف رجل من البربر لضبط البلاد •

ولم يمظ شهران على ترك يحيى البلاد حتى اضطرت الاحوال وساء  
الوضع في قرطبة وقد استغل بعض الاشخاص من بني عامر كرد اهل  
قرطبة للبربر فحرضوهم على قتل البربر فثار القرطبيون وفتكوا بالحامية  
البربرية وفر احمد بن موسى ودعه الى ماله وكان ذلك في العشرين من ربيع  
الاول سنة ٤١٧ هـ •

وقد اجتمعت كلمة القرطبيين بعد ذلك على رد الخلافة لبني امية وكان  
ابرز قادة هذا الرأي الوزير ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور واتفقوا  
على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر وكان قد  
هرب مع قليل من اصحابه بعد ان قتل اصفرة عبد الرحمن المرتضى  
في سنة ٤٠٩ هـ هرب من قرطبة واستجار بحماية والي البونت عبد الله بن  
قاسم الفهري وبعث اهل قرطبة بالبيعة اليه وهو بمقره بحصن البونت  
فتلقاها في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤١٨ هـ وتلقب بالمعتمد بالله وظل بمقره بمدينة  
البونت مدة سنتين وسبعة اشهر وهو يخطب له بقرطبة ثم قدم اليها

في شهر ذي الحجة سنة ٤٢٠ هـ فجددت له البيعة •

٣ - ثورة القرطبيين سنة ٤٣٢ هـ ضد الخليفة المعتمد واسقاط الخلافة الاموية ونفي الخليفة الى لا ردة آخر خلفاء بني امية واقامة حكومة ثورية بزعامه ابن جهور في ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ (١٧م) •

لقد ذكرنا سابقا ان المعتمد قدم الى قرطبة سنة ٤٢٠ هـ فجددت له البيعة وفرح اهل قرطبة بسقدمه اشد الفرح واعتبروه منقذا لهم من جور الخلفاء ولكنه ما لبث هذا الخليفة ان القى زمام وتقاليده الامور الى رجل عن الموالي الوزير حكم بن سعيد القزاز فاستبد بالسلطة واستأثر بها واطلقت يده في اموال الدولة وكان اخرق متعسفا ، فجمع حوله عصابة من الجهلاء والسفهاء والعاطلين عن كل اخلاص وحزم واطلق العنان لعوايته ورغباته فأضطربت شؤون الدولة وعمت الفوضى فامتغن وجهاء البلد وزعماء البيوتات الكبيرة وتحسبوا بما نالهم على يده من انواع الاهانة والنيل من حقوقهم •

وفضلا عن ذلك فقد احاط هذا الوزير الماكن الخليفة برجال من عصبته واعوانه وابعد عنه العلماء واهل المشورة والراى ودفعه بالرغم من شيخوخته الى الشراب والمجون والفسق والفجور حتى ساءت امور الدولة وفقدت الخلافة والحكومة كل حب واحترام وثار الناس وطالبوا بوجوب ازالة هذه الحالة والتخلص منها • وقد اتجه النافموون والثائرون الى فتى من ابناء عمومة هشام هو امية بن عبد الرحمن العراقي من احفاد الناصر • وكان هذا جاهلا متهورا طموحا وقد تربصت به ذات يوم تلك الجماعة الناقمة الثائرة بالوزير حكم بن سعيد وقتلته وطافت برأسه في المدينة معلنة الثورة على الطغاة واعوانهم • ثم سارت الجموع الثائرة الغاضبة الى قصر الخليفة والخليفة هشام بين نسائه وغلمانه يشرب الخمر فنهب الثائرون بعض اجنحة القصر ، وقد تصدى الوزير الشيخ ابن جهور لهم وصدهم

بالقول والنصح ولولاه لما بقي في القصر شيء .

ولما شعر هشام المعتمد بخطورة الامر وخشى على نفسه من غضب العامة هرب من القصر مع عائلته وحاشيته وقد اجمع الثائرون على خلعه والتخلص منه ومن بني امية وابطل رسم الخلافة وقرروا نفي بني امية واجلاءهم جميعا عن المدينة . وكان رائد هؤلاء الجماعة وناصرهم فيما اتخذوه من قرارات ابو الحزم ابن جهور . وكان هذا الوزير النابه يحظى بحبة الشعب وثقته وتأييده لما له من ارومة عريقة وما من مشرف .

وانتهى الثائرون الى خلع هشام المعتمد وابعاده واهله الى الحصون القريبة حيث التجأ الى سليما بن هود صاحب لاردة من اعمال الثغر الاعلى . وقضى هناك بقية حياته .

وابعد امية بن عبد الرحمن عن القصر واختفى وغادر قرطبة ونودي في قرطبة وجميع انحاءها بأن لا يبقى بها احد من بني امية ولا يؤويهم احد . وتولى ابن جهور تنفيذ هذا الامر بمنتهى الحزم والشدة حتى اجلاءهم عن المدينة ومحا رسومهم (١٨) ونادى الشواربائي الحزم بن جهور حاكما على قرطبة .

وبخلع الخليفة هشام المعتمد ينتهي حكم بني امية بصورة نهائية الى الابد في ربوع الاندلس والمغرب الاقصى وقد اشارت المراجع الى ان ابن زيدون كان من زعماء تلك الثورة التي زلزلت دولة بني امية وقضت عليها وقيام ملوك الطوائف في الاندلس وقد انقسمت الاندلس بعد سقوط الدولة الاموية الى تسع عشرة مملكة .

---

(١٨) البيان المغرب ج ٣ ص ١٤٥ .

## الفصل الرابع :

### دور ابن زيدون السياسى

ولما انتقل الملك الى ابن جهور ادنى ابن زيدون منه وقربه اليه وأعلى قدره اعترافا بفضلته ودوره وهو في الخامسة والعشرين من عمره \* وصار يحبوه بوجه وان كان لم ينعتة بلقب الوزير على حين كان يقوم بأعبائها لماله من المكانة المرموقة في المجتمع القرطبي لبلاغته ورجاحة عقله وفزارة علمه فكانت الكتب والرسائل تنفذ من انشائه الى شرق الاندلس فيقال كانت تأتي اتبيلية كتب هي بالنظم الخطير اشبه منها بالمنشور وصار وكيلا وموثوقا لابن جهور حاكم قرطبة ثم عينه للنظر على اهل الذمة في بعض الامور المعترضة وقصره بعد على مكانة من المخاصمة والسفارة بينه وبين الرؤساء فأحسن التصرف في ذلك وغلب على قلوب الملوك (١٩) \*

وقد ايد الصفدى ذلك فقال ( وكان اولا قد انقطع الى ابن جهور احد ملوك الطوائف المتغلبين على الاندلس فخيف عليه وتمكن منه واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته ) (٢٠)

اقرنت الوزارة في الاندلس بالادب فكان الوزير كاتباً وشاعراً وكان اشهر الكتاب والشعراء وزراء وكانت الشهرة بالكتابة والشعر وفنون الادب وفروع العلوم من وسائل الوصول الى امتلاك الوزارة فكان للوزراء اثر عظيم في سير البلاغة والادب واصبحت منزلة الادب كمنزلة الوزراء انفسهم في الدولة وظهر في الاندلس طائفة من الرجال الذين تربعوا في مناصب الملك وتقبلوا في مراكز الدولة وغلبوا على شؤونها وهم جميعا من الادباء والعلماء

---

(١٩) ابن بسام — الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ف ١ ج ١ ص ٢٩٠ \*

ابن الابار — اعقاب الكتاب ص ٧٩ \*

(٢٠) الصفدى — الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٧١ \*

والكتاب والشعراء واصحاب الثورى واعلام الحياة العقلية .  
ومن اشهر هؤلاء الوزراء والادباء والشعراء المجيدين ابو الوليد  
احمد بن زيدون المخزومي (٢١) .

وقد نسبت الى ابن زيدون تهمة خطيرة نسبها اليه الوزير ابن  
عبد ومنافسه في حب ولاءه هي التآمر على قلب الملك واعادته الى بني امية  
والدعوة للخليفة هشام بتشجيع حبيته ولادة بنت الخليفة الاموى  
المستكفي بالله . فوضعت في يده الاغلاق والقيود وقدم الى المحكمة بتهمة  
اخرى غير تهمة التآمر وهي ( الاغتصاب ) اغتصاب مال الغير وقد تولى  
القاضي ابو محمد عبد الله بن احمد المعروف بأبن المكوى محاكمته (٢٢) وقد  
ولي قضاء قرطبة في المحرم من سنة اثنين وثلاثين واربعمائة ( ٤٣٢ هـ )  
ولما عرض امره على القاضي امر بسجنه وشدد فيه وكان هذا الحاكم  
من الحاقدين عليه وأودع السجن وقد لقي ابن زيدون في سجنه صنوفا  
من الاذلال والهوان لم يخطر على بال احد .

وكتب ابن زيدون من سجنه قصائد يناشد فيها ابا الحزم بن جمهور  
ان يعفو عنه وان يرعى حرمة معه وان لا يعفي الى ما قاله الوشاة ولم يكتف  
ابن زيدون بالقصائد الاشعار يطلب العفو بها فدبجه لابي الحزم رسالة  
اشتهرت بأسم ( الرسالة الجدية ) يستعطفه فيها ويطلب العفو عنه . ولكن  
ابي الحزم لم يعف ولم يلن .

تحول الى ابي الوليد بن ابي الحزم يمدحه ويتخذ وسيلة الى ابيه لعله  
يعفو عنه او يصفح فلم يوفق وعبثا توسل ابن زيدون بصديقه ابن برد فقد  
كان الجميع يرهبون ان يجرى اسمه على لسانهم . ولما سدت جميع  
الابواب في وجهه صمم على الهرب والفرار من سجنه ففر ليلة عيد الاضحى

(٢١) احمد ضيف - بلاغة العرب في الاندلس .

(٢٢) ابن بسام - النخيرة في معاصر اهل الجزيرة ق ١ ج ١ ص ٢٩١ .



الى اشبيلية واتصل بالمعتضد بن عباد فلقى خفاوة واکراما ومکث في جواره عاما او بعض عام ولكنه كان يتطلع الى قرطبة يجذبه اليها هواه المشوب فظلا عن اهله وخلانه ومصالحه المالية فكر اليها مستهينا واخذ يبذل مساعيه حتى ظفر برضا ابي الحزم وربما كان لابنه ابي الزيد الفضل الاول في ذلك . ولم يلبث ابو الحزم ان توفي سنة ٤٣٥ هـ - ١٠٤٣ م وخلقه ابو الوليد ابنه فعينه للنظر على اهل الذمة ثم رفعه الى مرتبة الوزارة فعلا نجمه في السماء ثم اتخذه سفيرا له بينه وبين ملوك الطوائف ( وقدمه في الذين اصطنع لدولته وارفع راتبه وحلله كرامة ) (٢٣) .

ولما تولى الشاعر امور السفارة نجح فيها نجاحا كبيرا فقد كان له من تجاربه السابقة وسعة ثقافته وقوة حجته ووسامة مظهره وعراقة اصله ما يؤهله للنجاح وقد كان مقام السفير في ذلك العصر اكبر من مقام الوزير ويعطى لقب ذي الوزارتين .

لقد وجد ابن زيدون راحة كبيرة اثناء تنقله في السفارة والاتصال بالملوك الذين تتفق مشاربهم ومشربه . وكان من ابرز هؤلاء الملوك الذين اتصل بهم :

ابن عبد العزيز صاحب بلنسية وقد اعجب به بصورة خاصة .  
تم المظفر صاحب بطليوس وقد اثنى عليه وعلى آباءه وكرم ضيافته له وحسن استقباله .

ثم اتصل بـ ادريس بن يحيى بن حمود وهو ادريس الثاني الملقب بالعالى ملك ملقا . وكانت في ادريس العالى صفات تجذبه الى الشاعر يجذب الشاعر اليه فقد كان متأدبا حسن اللقاء وله شعر جيد ، فأطال ابن زيدون مكنه عند هذا الخليفة واقترب منه وخف على نفسه واحضر مجالس انسة (٢٤)

(٢٣) ابن بسام - الذخيرة في معاصر اهل الجزيرة ق ١ ج ١ ص ٢٩١ .

(٢٤) ابن بسام - الذخيرة في معاصر اهل الجزيرة ق ١ ج ١ ص ٢٩١ .

ويذكر ابن بسام ان الامير ابن جهور لم يرتح الى تصرف سفيره ولعله استدعاه فلم يتجيب وما ظل في العودة وعتب عليه ابن جهور فلم يستجب للعتاب فعزله عن منصبه قبل رجوعه الى قرطبة (٢٥) •

ولما رجع الى قرطبة وجد ابا الوليد غاضبا متجهما معرضا عنه فأخذ يتردد اليه ويمدحه بقصائد كثيرة ولكن الامير عفا عنه ثم عاد الى جميل رأيه فيه فارجه الى السفارة بينه وبين رؤساء الاندلس • فيما يجرى بينهم من المراسلة والمداخلة •

وقد خشي ابن زيدون عاقبة الامر وخاف ان ينال معه ما نال من ابيه حين زجه في السجن • فقرر مغادرة قرطبة بعد ان ضاق ذرعا بها • فأخذ ينتقل بين بلنسية وطرطوشة وبطليوس وظل ينتقل من بلد الى آخر حتى استقر ببلنسية فترة من الزمن وقد اشار ابن خاقان الى فترة التنقل والترحال هذه • بقوله :

« ولم تزل الايام تدينه وتبعده وتسؤوه وتسعده وتقذف به الى كل فإزخ وتطرف امله يعين اللاعب المازح ، حتى احاطه بلنسية وهلال ذكائه كما اقمروغصن نباهته يانع قد اثمر • وبنو عبد العزيز غرر ملكها ودرر ملكها ، فحل منهم محل الحميا من الكوس ووقع منهم وقع البشائر في النفوس • واقام بين مرة تواصله ، ومرة تغازله ، ومكارمة تعاديه ، ومجاملة كرائم القطر وتاديه ... » (٢٦) •

### في بلاد بني عباد :

لم تستقر نفسه الشائرة في بلنسية فغادرها الى اشيلية في سنة ٤٤١ هـ حيث حب به اميرها المعتضد فأعجب به اعجابا عظيما وقربه اليه وغره

(٢٥) ابن بسام - الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ق ١ ج ١ ص ٢٩١ •

(٢٦) ابن خاقان ، قلائل العقبان - ص ٧٦ •

بأفضاله وهش لمديحه فيه وتمتع معه بليالي سحر لطيفة •

وكان ملوك الطوائف يتشوقون الى ان يزینوا ملكهم بعظماء الكتاب والشعراء ويتنافسون في الحصول عليهم وضمهم اليهم وكان المعتضد في مقدمة هؤلاء الملوك عرفانا بأقدار الشعراء في عصره •

وكان المعتضد يعلم عن ابن زيدون انه يتقن فنون السياسة والدبلوماسية مما يؤهله لبذل النصح الثمين ويعرف عنه انه اتصل بملوك الجزيرة وخبر احوالهم ودرس - طبائعهم وعرف مكامن القوة والضعف فيهم ، فهو جدير بأن يبصر المعتضد بالخطأ المثلئ في معاملتهم في الحروب او السلام •

ولهذا غمره بحفاوته وبره وجعله من خواصه يجالسه في خلوانه ويركن الى اشاراته في صورة وزير (٢٧) •

ولقد تولى ابن زيدون مناصب عديدة في بلاد المعتضد وقد نجح في جميع المناصب التي تولاها بفضل دبلوماسيته الهادئة وسياسته الرزينة •  
واهم هذه المناصب هي :

اتخذ المعتضد ناصحا في مرتبة وزير • ولقد جرى المعتضد مشورته فشكرها واطمأن اليها وقد بذل ابن زيدون جهودا كبيرة في توطيد هذه الدولة واتساع رقعتها مما جعل المعتضد يثق به ثقة كبيرة ، وأشار ابن زيدون الى ذلك في شعره شاكرا فقال :

حسبي النصح والوداد وشكر  
عصر الدهر منه مسك ففض (٢٨)

ثم رفعه المعتضد الى مرتبة ذى الوزارتين ( المشورة والحكم ) وهو لقب يختص به الملك افرادا معدودين يشركونه في التدبير فضلا عن المشورة • وقد ايد ذلك ابن بناته فقال ( فتلقاه المعتضد بالقبول والاکرام وولاه وزارته

(٢٧) الصفدي - الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٧١ •

(٢٨) الديوان ص ٨٨ •

وفوض اليه امر مملكته (٢٩) • وقد سماه صاحب المعجب ذا الرئاستين (٣٠) •

عهد المعتضد الى ابن زيدون بالسفارة بينه وبين امراء الطوائف في اهم رسائله لفضل ما اوتيته من اللسن والعارضة (٣١) وبذلك استحق لقب ذي الوزارتين • وقد اظهر براعة فائقة في هذا المنصب عند بني عباد كما اظهر براعة في بلاد ابن جهور من قبل •

عهد المعتضد الى ابن زيدون منصب الكتابة وكان يتشوق الى هذا المنصب وهو منصب خطير يشبه منصب رئيس الديوان الملكي في عصرنا هذا - الى جانب انشاء الرسائل الديوانية الهامة وانفاذها وكان صاحب هذا المنصب يلم بجميع اسرار الدولة وعلاقاتها الخارجية ويكاد يمسك بيده جميع ازماتها وكان لا يتولى ذلك الا وزير خطير وقد وفق في هذا المنصب توفيقا كبيرا (٣٢) •

وبذلك اجمعت اهم امور الدولة موكولة اليه وقد نجح فيما اضطلع به من شؤون ، فما كاد يتصل بالمعتضد حتى توالى فتوحاته واتسعت رقعة مملكته وكان ابن زيدون في ذلك حكيما لبقا يتحرى مواضع اهدافه ورغباته مستفيدا بما اكسبته الايام والتجارب من خبرة طويلة في تمرسه بأعباء الحكم واتصاله بالملوك والامراء •

وقد قضى ابن زيدون في كنف المعتضد ما يناهز العشرين عاما •

لقد ظلت روح الحنين الى قرطبة تشد ابن زيدون وتذكى لواعيج الشوق والوجد فيه ( فهي موطنه وموطن حبه الاول وموطن حبيته

---

(٢٩) شرح العيون ص ٦ •

(٣٠) المعجب ص ١٠٥ •

(٣١) اعتاب الكتاب ص ٧٩ •

(٣٢) ابن بسام - الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ج ١ ص ٢٩٠ •

ولادة • فأخذ يشجع المعتضد ويزين له فتحها ويسهل عليه امر اقتحامها ويدبر له وسائل نيلها فشرع المعتضد يدبر لها الوسائل ويحيك الدسائس ولكنه مات قبل ان يصل الى مبتغاه حيث توفي سنة (٤٦١) •

وقد تسلم ابنه المعتمد مقاليد الحكم بعد ابيه ، قد استدعى اليه ابن عمار ( وقربه اشد تقرب حتى كان يشاركه فيما لا يشارك الرجل فيه اخاه ولا اباه ) (٣٣) •

فرأى حصاد ابن زيدون وخصومه ان الفرصة سانحة وان هوى الامير الجديد انصرف كله الى ابن عمار ولعل ابن عمار لم ينس ان ابن زيدون لم يلح في الشفاعة له عند المعتضد عندما حبه وهو لهذا لم يدافع عنه لدى الامير الجديد ان لم يحرض عليه • وكان كثير من هؤلاء الخصوم يحملون ابن زيدون نصيبا كبيرا من المسؤولية في فتك المعتضد بوزرائه وأوليائه ورجال بلاطه وادعوا ان المعتضد ما كان يقدم على امر الا بعد استشارة مشيره الاكبر ووزيره الاول ابن زيدون (٣٤) •

وقد ايد ابن خاقان ذلك فقال ( اظهر صولته ودبر دولته ..... واغراه بأعدائه وزين له الايقاع بعماله ووزرائه ، فغدا شحا في صدورهم ونكدا في سرورهم ) (٣٥) ولكن الامير كان وفيلا لاستاذه وارعى بشاعره فأعرض عن هذه التهمة واظهر وفاء عظيما واريحية مشكورة فأقر ابن زيدون على ما كان عليه في عهد ابيه وزاد في اكرامه (٣٦) •

وفي الحقيقة ان الامير المعتضد كان بحاجة قوية الى ابن زيدون يستفيد من خبرته وحنكته وتجاربه ويتم التدبير الذي بداه لفتح قرطبة لان فتحها كان

- 
- (٣٣) المعجب ص ١١٧ •  
(٣٤) على عبد العظيم - ابن زيدون - ٢٧٩ - ٢٨٠ •  
(٣٥) ابن خاقان - قلائد القبايا ص ١٤ •  
(٣٦) ابن البار - اعتاب الكتاب ص ٩٧ •

من اكبر امانى بني عباد العظام ظلت تراودهم اكثر من ثلاثين عاما • وما تبنا  
دعوة هشام الا للوصول الى هذا الهدف ، الكبير • وكانت قرطبة كنز  
حاضرة الاندلس ولن تتم السيادة على الاندلس الا لمن ظفر بها واستولى عليها  
وعلى هذا فقد زحف المعتضد لاحتلالها وقد تم له ما اراد ودانت قرطبة  
له بفضل تدبير ابن زيدون وسعة حيلته وانتقل المعتضد وابن زيدون اليها  
وجعلها عاصمة ملكة فوصل اليها وانس اهلها وبث المعروف فيها واحسن  
السيرة في اهلها فسروا بولايته وولي عليها ابنه الحاجب سراج الدين عباد بن  
محمد بن عباد فوصلها يوم الثلاثاء السادس من شوال سنة ٤٦٢ هـ ودخلها  
دخولا فخما تضاعف له سرور ابيه (٣٧) •

وفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ٤٦٢ هـ حدثت  
فتنة في اشيلية بين المسلمين واليهود فأرسل ابنه سراج الدولة في جيش  
كثيف من نخبة علمائه ووجوه رجاله فأنتهز خصوم ابن زيدون ابن عمار وابن  
مرتين ( قائد الجيش وانصارهما ) هذه الفرصة لابعاده واقصائه عنهم وعن  
الخليفة المعتمد حتى يسهل الكيد به وفي مقدمتهم ابن عمار الذى كان اقرب  
الناس الى قلب المعتمد وانه بلغ من المنزلة عنده ما لا يبلغه اخ او صديق •  
فشار ابن عمار على المعتمد ارسال ابن زيدون في معية سراج الدولة لما له  
من خبرة وتجارب وكياسة ولباقة وحسن تدبير ولما له معرفة سابقة بشؤون  
الذميين وشدة تعلق اهلها به واستغلال حبه في ازالة الاضطراب وتهدة  
الخواطر ولكنه حق اريد به باطل فقد ارادوا ابعاده عن الامير •

وهكذا ارسل المعتمد ابن زيدون مع ابنه على الرعم من مرضه  
واعذاره • وقد ترك ابن زيدون في قرطبة ابنه ابا بكر محمد وكان هذا  
على جانب كبير من الذكاء والمقدرة ورث عن ابيه مواهبه السياسية وتدريب

على يده احسن تدريب • وقد استطاع ابن عمار اقناع المعتمد بأبعاده أيضا  
عن قرطبة الى اشبيلية حيث كان ابوه هناك نأقذه المعتمد خلف ابيه • وقد  
بقى ابن زيدون في اشبيلية الى نهاية عمره فقد جهده المرض والهرم حتى فاضت  
روحه في مستهل شهر رجب سنة ٤٦٣ هـ - (٣٨) •  
وبذلك انطوت صفحات من ملاحم الشعر والادب والسياسة بعد ان ترك  
بصمات واضحة في تاريخ هذا القطر العزيز •



## المصادر

- ١ - ابن خاقان ( ٥٣٩ هـ ) الفتح  
قلائد العقبان ج ١ القاهرة .
- ٢ - الصفدي - صلاح الدين  
الوافي بالوفيات .
- ٣ - ابن بناته - جمال الدين ( ٧٦٨ هـ )  
شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون .
- ٤ - عبد الواحد المراكشي  
المعجب الاستقامة القاهرة ١٩٤٩ م .
- ٥ - ابن زيدون  
ديوان ابن زيدون .
- ٦ - ابن بسام ٥٤٢ هـ - ابي الحسن علي  
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ( القسم الاول ) .
- ٧ - ابن الآبار ( ٦٥٩ هـ ) محمد بن ابي بكر القضاعي  
اعتاب الكتاب - مخطوطه - رقم ٧٧٨ تاريخ تيمور  
( دار الكتب المصرية ) .
- ٨ - علي عبد العظيم  
ابن زيدون عصره وحياته وادبه ١٩٥٥ .
- ٩ - ابن الخطيب - لسان الدين  
اعمال الاعلام . الرباط ١٩٤٣ .
- ١٠ - ابن خلكان ت ( ٦٨١ هـ )
- ١١ - القلقشندي - ت ( ٨٢١ هـ ) ابو العباس احمد  
وفيات الاعيان - القاهرة .  
نهاية الارب في معرفة قبائل العرب ج ١ بغداد .



- ١٢ - ابن بشكوال ت ( ٥٧٨ هـ ) خلف بن عبد الملك  
الصلة ج ١ مدريد ١٨٨٢ •
- ١٣ - ابن الآبار - محمد ابن ابي بكر القضاعي سنة ت ( ٦٥٩ هـ )  
التكملة لكتاب الصلة ، مدريد ١٨٨٧ •
- ١٤ - شوقي ضيف  
ابن زيدون ( سلسلة نوابغ الفكر العربي )  
دار المعارف ١٩٥٣ •
- ١٥ - ابن حزم  
البيان المغرب •
- ١٦ - الحميدى - ت ( ٤٨٨ هـ ) ، محمد بن فتوح  
جذوة المقتبس ( مخطوط ) مصورة عن اكسفورد رقم  
١١٩٧٥ •
- ١٧ - الضبي - ت ( ٥٩٩ هـ ) احمد بن يحيى
- ١٨ - احمد ضيف  
بغية الملتقى • مدريد ١٨٨٤ •  
بلازمة العرب في الاندلس - القاهرة ١٩٢٤ •

# كتاب النبي

صلى الله عليه وسلم

الدكتور شاكر محمود عبد المنعم

كلية الآداب قسم التاريخ



## كتاب النبي

صلى الله عليه وسلم

الدكتور شاكر محمود عبد المنعم

كلية الاداب - قسم التاريخ

لم يهتم المؤرخون في الماضي كثيراً بموضوعات كهذه ، كما اهتموا بغيرها مما يتعلق بالنبي ( ص ) . فلم يؤلفوا فيها كتباً كثيرة . ولقد أشارت المصادر الى كتابين عن كتاب النبي ( ص ) الأول : هو « الكتاب » لعمر بن شبة النسيري ( ١ ) ( ت ٢٦٢ ) والثاني : للقضاعى ( ٢ ) ولكنها لم تصل إلينا حتى الوقت الحاضر .

وفي الربع الاخير من القرن الثامن الهجري عكف الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن علي بن احمد بن حديدة الانصاري ( ٣ ) ( ت ٧٨٣ ) على تدوين كتابه الموسوم « المصباح المضيء في كتاب ( ٤ ) النبي الامي ورسله الى ملوك الارض من عربي وعجمي » . وجعله على قسمين : الأول في كتابه ، والثاني في رسله ومكاتباته الى الملوك . وقد فرغ من تأليفه في دى القعدة سنة ٧٧٩ هـ . ويقع في ( ١٦٠ ) ورقة ومنه نسخة

---

(١) انظر : الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ .

(٢) الاصابة ، ج ١ ص ٣٣٨ .

(٣) هو جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي بن حديدة الانصاري . ولد سنة ٧٢١ هـ . وعني بالحديث وكتب الاجزاء والطباق وجميع كتابه المذكور الذي سماه ابن حجر « المصباح المضيء في معرفة كتاب النبي » . وكان خازن الكتب بالخانقاه الصلاحية بالقاهرة . انباء الفهر ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(٤) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ، مجلد ٢ ص ١٧١٠ . وبيروكلمان ( ٧٢/٢ ) واورد له الدكتور لطفي عبد البديع وصفاً في : فهرس المخطوطات المصورة / ج ٢ ص ٢٥٠ .

خطية بالمكتبة الاحمدية بحلب تحمل رقم ( ٢٨٠ ) وعنها نسخة مصورة  
في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية تحت رقم ( ف ٥٩ ، ٦٠ )  
وأشار الكتاني الى كتاب في الكتاب انه بن ابي الجعد (٥) .

اما كتب السير والكتب التاريخية العامة ، فهي ان تعرضت الى  
الكتابة أو الكتاب فهي تذكر ذلك بصورة عرضية وباقتضاب . وقد  
جمع الغساني (٦) كتاب النبي ( ص ) في فصل من كتابه الضخم ، الا أنه  
لم يستوف قائمة عددا ولم يوسع المذكورين فيها ترجمة أو تفصيلا .  
وهكذا قل عن القائمة التي أوردها الشيخ حسين الديار بكري ( ت ٩٨٢ هـ )  
وغيره من المتأخرين .

لذلك ينبغي للباحث في موضوع كهذا أن يقرأ المزيد ويجمع تف  
الاخبار من بين ملايين السطور .

لقد اختلف المؤرخون في عدد كتاب النبي ( ص ) ، وفي نوع  
المهمات الكتابية التي القيت على كل منهم . ولم يوضحوا ما اذا كانت  
الكتابة على مستويات معينة أم لا ؟

فذكر البعض منهم عددا محدودا جدا لا يكاد يعقل . وذكر  
البعض الآخر عددا معقولا ولكنه لم يسم لنا هؤلاء الكتاب ، فأوقعنا  
في حيرة وتساؤل .

والسؤال الذي يطرأ على البال في هذا المجال هو : هل أن جميع

---

(٥) التراتيب الادارية/ ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٦) هو ابو العباس اسماعيل بن العباس الغساني الرسولي ( ت ٨٠٣ ) وكناه

العسجد المسبوك في طبقات الخلفاء والملوك ، نسخة دار الكتب المصرية ذات

الرقم ٢١٨٩ تاريخ ميكروفيلم : الورقة : ٣٣ ب فيما بعد .

وجدير بالذكر اننا حققنا منه قبل سبع سنوات حوادث وتراجم من سنة

٥٥٧٥ - ٦٥٦ هـ . اما القسم الاول من ١ - ٥٥٧٥ فهو قيد التحقيق .

الكتاب كانوا يكتبون باستمرار أم انهم كانوا يتناوبون فيما بينهم ؟ وهل استبدل بعضهم وحل محله البعض الآخر . !

ذكر البلاذري (٧) أسماء أحد عشر كاتباً هم : أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح ، وعثمان بن عفان ، وشرحيل ابن حسنة ، وجهيم بن الصلت ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمي ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وحنظلة بن الربيع .

أما الطبري (٨) فلقد ذكر أسماء عشرة من كتابه ( ص ) . مضيفاً : علي ابن أبي طالب ومختزلاً شرح حيل بن حسنة وجهيم بن الصلت .

وذكر المسعودي (٩) أسماء ستة عشرة كاتباً مضيفاً الى قائمة البلاذري والطبري الاسماء التالية : المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير وعبد الله بن الارقم والعلاء بن عقبة والزبير بن العوام وحذيفة بن اليمان ومعيقب الدوسي . وقال المسعودي مبيناً وجهة نظره في عدد الكتاب الذين ذكرهم : « وانما ذكرنا من أسماء كتابه ( ص ) من ثبت على كتابته ، واتصلت أيامه فيها ، وطالت مدته ، وصحت الرواية على ذلك من أمره ، دون من كتب الكتاب أو الكتابين والثلاثة ، اذ كان لا يستحق بذلك أن يسمى كاتباً ويضاف الى جملة كتابه » (١٠) .

ولعلك تلاحظ معي بأن ذهن المسعودي انصرف - وهو يدون هذه العبارة - الى ناحية واحدة من الكتابة أو قل نوعاً واحداً منها ان شئت الا وهو كتابة الرسائل . غير أنه كان للنبي ( ص ) كتاباً ليس للرسائل فقط بل هناك من كتب الوحي أو الرسائل أو الصدقات او المعاملات

(٧) فتوح البلدان ، ص ٦٦٤ .

(٨) تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ .

(٩) التبيين والاشراف ، ص ٢٤٥ .

(١٠) ن . م السابق ص ٢٤٦ .

أو المداينات أو الخرص أو المغائم أو لاغراض احصائية وما الى ذلك  
مما سنذكره في أدناه .

وفي السيرة الحلبية وردتنا أسماء ثمانية عشر كاتباً . أما ابن  
عبد البر (١١) القرطبي ، فقد سمي لنا ثلاثة وعشرين كاتباً (١٢) . وإذا  
استبعدنا من قائمته الذين ذكرهم البلاذري والطبري والمسعودي ، نجد  
أن قائمته تزيد على قائمتي الطبري والمسعودي بالأسماء التالية : أبو بكر  
الصديق (رضى) وعمر بن الخطاب (رضى) ، وخالد بن الوليد ،  
وعبد الله بن رواح ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي  
سلول ، وعمر بن العاص .

وذكر الديار بكري أسماء أربعة وثلاثين كاتباً استوعبت القوائم  
المشار إليها مع زيادة متمثلة في : طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص  
والأرقم بن أبي الأرقم وعبد الله بن زيد بن عبد ربه وسعيد بن العاص وحويطب  
ابن عبد الغزي العامري وأبي سلمة بن عبد الأسد وحاطب بن عمرو بن حنظلة  
وقال : « وقيل أن كتابه نيفاً وأربعين وأكثرهم ملازمة له زيد بن ثابت  
ومعاوية بن أبي سفيان بعد الفتح » (١٣) . وأشار الديار بكري الى ان  
مصدره في ذلك مزيل الخطأ .

وقلد صاحب بهجة المحافل ابن عبد البر في عدد الكتاب فأوصلهم  
الى العدد المذكور في ترجمة زيد من الاستيعاب وأوصلهم القرطبي  
في تفسيره الى ( ٢٦ ) وأوصلهم الشبراملسي في كتاب القضاء من حاشية  
على المنهج في فقه الشافعية الى أربعين وأوصلهم العراقي الى اثنين

---

(١١) الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٩ - ٣٠ .

(١٢) وكذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق .

(١٣) تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢ .

وأربعين(١٤) . وقد نظم زين الدين عبد الرحيم(١٥) العراقي ( ت ٨٠٥ هـ )  
فيهم قصيدة ذكر أسماءهم في تسعة عشر بيتا من نظمه(١٦) .

وأيّا كان الامر ، فإن المصادر تشير بأن عدد الكتاب تراوح بين  
سنة وعشرين وثلاثة وأربعين كاتباً . وكانت كتابة جلهم بالمناوبة وكان  
اكثرهم مداومة على كتابة الوحي زيد بن ثابت بعد الهجرة ومعاوية  
ابن ابي سفيان بعد الفتح .

ولم يكن جميع الكتاب يكتبون الوحي ، والواقع أن هذه مسألة مهمة  
جدا في معرفتها . غير ان المصادر لا تسعفنا بهذا السبيل . فلقد ذكر  
الشبلنجي(١٧) المدعو بمؤمن عشرة من كتاب الوحي هم : عثمان بن عفان  
وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن ابي سفيان  
وخالد بن سعيد بن العاص وابان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظلة بن  
الريبع وعبد الله بن سعد بن أبي سرح . وقال الشبلنجي : « وفي حياة  
الحيوان : وكان المداوم على الكتابة زيد أو معاوية »(١٨) .

ويفهم من النص الذي أورده الفساني(١٩) أن كتاب الوحي المعتمدين  
هم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وابي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن  
غاب هؤلاء كتب له من حضر من الكتاب وهم . معاوية بن ابي سفيان  
وخالد بن سعيد وابان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظلة بن الربيع

---

(١٤) انظر التراتيب الادارية ، ج ١ ص ١١٥ - ١١٦ .

(١٥) الامام الاوحد العلامة الحجة المحـ الناقد حافظ الاسلام عبد الرحيم  
بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الكردي الرازياني ثم المصري الشافعي . . .  
له المؤلفات المفيدة المشهورة في علم الحديث والتخاريج الحسنة .

(١٦) انظرها ان شئت في التراتيب الادارية ، ج ١ ص ١١٦ - ١١٧ .

(١٧) نور الابصار ، ص ٤٨ .

(١٨) ن . م السابق ، ص ٤٨ .

(١٩) المسجد المسبوك ، الورقة : ٣٣ ب .



وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد عن الاسلام ثم راجع الاسلام يوم فتح مكة وحسن اسلامه . . . . . هؤلاء هم الذين اشارت المصادر الى أنهم كتبوا الوحي . وكان أكثرهم كتابة ومداومة زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان ، كما مر . وكان حنظلة بن الربيع خليفة كل كاتب من كتابه ( ص ) اذا غاب عن عمله ( ٢٠ ) .

ويأتي في مقدمة الكتاب الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم . وسوف لن اتحدث عنهم بمثل هذه الدراسة الموجزة ، لأن ما سأذكره عنهم لن يكون الا معروفا . وسيرتهم فيما أضمن يعرفها الحاضر والباد ، فهم أئمة الحق والهدى . ولكنني أود ان اشير هنا الى أنهم رضي الله تعالى عنهم ثبتت كتابتهم بين يدي النبي ( ص ) بتأكيد المصادر ( ٢١ ) .

ويظهر من خلال البحث أن أول من كتب للنبي ( ص ) أبي بن كعب ، وكان اذا غاب كتب له زيد بن ثابت ( ٢٢ ) . وذكر محمد بن سعد ان أول

- 
- ( ٢٠ ) انظر التراتيب الادارية ، ج ١ ص ١١٨ نقلا عن العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٤ .  
( ٢١ ) انظر على سبيل المثال وليس الحصر :  
تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ .  
التبيين والاشراف ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .  
الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٨ - ٣٠ .  
الاصابة ، ج ٢ ص ٢٦٥ .  
تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ .  
التراتب الادارية ، ج ١ ص ١١٤ - ١١٥ .  
مجموعة الوثائق الاسلامية ، ص ٥٥ ، ص ٦٠ - ٦١ ، ص ٦٧ ص ٦٩  
ص ٨٥ ص ١٢٧ ص ١٧٨ ص ٢١٣ ، ص ١٩٣ ، ص ٢٥٢ .  
( ٢٢ ) تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ .

من كتب للنبي ( ص ) عند مقدمه المدينة أبي بن كعب ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب « وكتب فلان » ( ٢٣ ) . وأول من كتب له في قریش عبد الله بن سعد بن أبي سرح . ثم ارتد ولحق بالمشرکین ، ثم رجع الى الاسلام يوم فتح مكة ( ٢٤ ) .

وذكر الكتاني في التراتيب الادارية ( ٢٥ ) : أنه ورد في كتاب « أنباء الانبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والامراء » أن عثمان بن عفان وعلى كانا يكتبان الوحي . فان غاب أحدهما كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت . وكان أبي أسبق الى الكتابة بين يدي رسول الله ( ص ) من زيد ، كما انه استمر بالكتابة مع زيد أيضا . على أن زيدا كان ألزم الصحابة لكتابة الوحي ( ٢٦ ) . واذا غاب زيد وأبي كتب من كان موجودا من الصحابة الذين سميناهم فيما قات .

ويتضح لدى الاستقراء أن ثمة تخصص كان موجودا في الكتابة والكتاب . وهذا لا يعنى ضرورة أن ينفرد كاتب كخالد بن سعيد بن العاص أو حنظلة الأسدي بالكتابة بين يديه ( ص ) في سائر ما يعرض من أموره ( ٢٧ ) .

أعلى أن أهم أنواع الكتابة وأعظمها شرفا هي كتابة الوحي . التي أملت أن زيد بن ثابت الانضاري كان ألزم الصحابة لكتابتها . ويمكن أن نضيف الكتابة في زمن النبي ( ص ) على الشكل الآتي :

- 
- ( ٢٣ ) . الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٣٠ .
  - ( ٢٤ ) . تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ، ص ٤٢١ . التبيين والاشراف ، ص ٢٤٦ .
  - الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٣٠ .
  - ( ٢٥ ) . التراتيب الادارية ، ج ١ ، ص ١١٤ - ١١٥ .
  - ( ٢٦ ) . المحبر ، ص ٣٧٧ والاستيعاب ، ج ١ ، ص ٣٠ .
  - ( ٢٧ ) . التبيين والاشراف ، ص ٢٤٥ . وغيره .

- ١ - كتابة الوحي •
- ٢ - كتابة رسائله (٢٨) وما يعرض من حوائجه (ص) •
- ٣ - كتابة المداينات بين الناس والعقود والمعاملات •
- ٤ - كتابة أموال الصدقات •
- ٥ - كتابة الخرص (ص) (٢٩) •
- ٦ - كتابة المغانم •
- ٧ - كتابة العهود والمواثيق والصلح •

وفضلا عن ذلك فقد وردنا عن حذيفة (رضي) أنه قال : قال النبي (ص) « اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له الفا وخمسمائة رجل فقلنا نخاف ونحن الف وخمسمائة ! ! فلقد رأيتنا ابتلينا حتى ان الرجل ليصلى وحده وهو خائف ! ! » (٣٠) • يستنتج من ذلك أنهم كتبوا المسلمين لاغراض احصائية • ولا مشاحة انهم كانوا يحتاجونها في السلم والحرب •

ومن نافلة القول التأكيد على أمانة الكتاب ومدى الثقة بهم • لأنهم أصحاب رسول الله (ص) • واذا صح أن وجد بينهم من لم يكن أمينا فسرعان ما يتضح أمره • فوردنا عن أنس (رضي) خادم النبي (ص) أنه كان رجل نصرانيا فاسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي (ص) ، ثم عاد الى نصرانيته • فكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له ، فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض ، ثم أعرقوا له ثلاث مرات فيصبح وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من عمل الناس فتركوه (٣١) • وتبدو هذه الرواية قليلة الاهمية تماما بجانب قوله تعالى « لا يأتيه الباطل من بين

(٢٨) وتشمل الرسائل الى الملوك والرسائل فيما بينه وبين العرب •

(٢٩) الحارص : هو المحزر والمقدر للشر وغيره •

(٣٠) راجع صحيح البخاري ، والتجريد الصريح ، ج ٢ ص ٢٦ •

(٣١) التجريد الصريح ، ج ٢ ص ٥٤ •

يديه ولا من خلفه» (٣٢) وقوله تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٣٣) .

ويروق لي وانا أتحدث عن التخصص في الكتابه - وقد لا اكون موقفا كل التوفيق - أن أقول ، أن من الكتاب من القيت عليه مهمة تعليم القراءة والكتابة التي صورت لنا المصادر ، أن الأسلام كان حفيا بها في بواكير محنته مع الشرك والضلال . وكيف أن النبي ( ص ) قبل من اسرى بدر تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة (٣٤) . كفداء لأسرهم ان هذا يعكس دون أدنى ريب الوجه الثقافي والحضارى الصاعد في شريعة الاسلام الخالدة .

فكان مصعب بن عمير قد نزل - عند مقدمه الى المدينة - على اسعد بن زراره فكان يطوف به على دور الانصار يقرئهم القرآن ويدعوهم الى الله عز وجل (٣٥) . واستعمل النبي ( ص ) عمرو بن حزم بن زيد على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن ويأخذ صدقاتهم وكتب له كتابا فيه الفرائض والصدقات والديات ... وكتاب عمرو بن حزم مشهور يحتاج به العلماء (٣٦) .

---

(٣٢) سورة فصلت / الآية (٤٢) .

(٣٣) سورة العنكبوت / الآية (٩) .

(٣٤) الطبقات ، ج ٢ ق ١ ص ١٤ ( طبعة لندن / ١٣٢٥ هـ ) الروض

الانف ، ج ٢ ص ٩٢ . التراتيب الادارية ، ج ١ ص ٤٨ .

(٣٥) الاستبصار ، ص ٥٧ .

وكان مع مصعب بن عمير عبد الله بن ام مكتوم . ونزل في رواية بدار القراء وهي دار مخزومة بن نوفل . انظر . الطبقات الكبرى ، ج ٤ ص ١٥٠ وفي سنن ابي داود عن عباد بن الصامت قال : علمت ناساً من اهل الصفة والكتابة والقرآن .

(٣٦) ن . م السابق ، ص ٧٤ .

وتجدر الإشارة هنا الى اولئك الذين كانوا يدونون احاديث

النبي (ص) أو خطبه • وفي حديث مسند الى ابي هريرة انه لما خطب النبي (ص) في فتح مكة ، قام اليه رجل من اليمن يقال له أبو شاة وطلب ان يكتبوا له الخطبة فقال (ص) « اكتبوا لابي شاة » (٣٧) • وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يكتب الاحاديث • وكان لعلي (رض) صحيفة فيها العقل وفكك الأسير والا يقتل مسلم بكافر • وتسمى الصادقة • كما ورد عنه (ص) انه قال « قيدوا العلم بالكتاب » (٣٨) ومع ذلك ، فهذا ما يمكن ان نسميه اهتماماً عاماً بالكتابة • لكنه يقع في اطار ما نسميه التخصص وقد يعتبر نوعاً من الانواع السبعة التي ثبتناها فيما فات • ولكي تتضح تلك الانواع المتخصصة بالكتابة أرى من الضروري ايراد استعراض سريع للكتاب \*

### ابان بن سعيد الاموي (٣٩)

ابو الوليد ابان بن سعيد بن أليفة بن العاص الاموي • أسلم بين الحديبية وخير وحسن اسلامه • واستعمله النبي (ص) على بعض سراياه ، منها سرية الى نجد ، ثم ولاء البحرين برها وبحرها • بعد أن عزل عنها العلاء بن الحضرمي سنة تسع للهجرة • فكان يأخذ منها - البحرين - الصدقات ، والجزية على من لم يسلموا ولم يزل عليها حتى توفي النبي (ص) •

(٣٧) جامع بيان العلم وفضله ، ج ١ ص ٨٤ •

(٣٨) ن • م ص ٨٥ وما بعدها •

في الواقع ان هذا البحث اولي تجمعت له مادة مهمة ارجو منه تعالى

ان تتاح لي الفرصة لنشره مع تحليل جديد ودقيق •

(٣٩) انظر ترجمته في : الاستيعاب ، ج ١ ص ٤٦ • معجم بني امية ، ص ٣٠ •

اعتبره البلاذري (٤٠) والطبري (٤١) من كتب النبي ، غير أنهما لم يبينا لنا نوع الكتابة التي تولاها . وقال المسعودي (٤٢) : « وربما كتب بين يديه (ص) » استشهد في يوم أجنادين بأرض الشام في خلافة الصديق (رض) أو في اليرموك والاول هو الراجح على ما يبدو .

## الارقم بن ابي الارقم

ابو عبد الله الارقم بن أبي الارقم (٤٣) بن أسد بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي ، من المهاجرين الأولين ، قديم الاسلام ، قيل انه سابع سبعة وقيل بل اسلم بعد عشرة أنفس . وفي داره كان النبي (ص) مستخفياً من قريش بمكة يدعو الناس الى كلمة الله ، طيلة المدة التي كانت الدعوة فيها سرية .

وكان ممن كتب للنبي (ص) . كما وصلت إلينا نصوص مكاتيب كتبها بين يديه (٤٤) (ص) . ويتوهم البعض ، فيحسبه والد عبد الله بن الارقم الزهري . والارقم والد عبد الله بن الارقم هو : الارقم بن يغوث الزهري . أما صاحبنا فهو مخزومي . أسلم في داره كبار الصحابة في ابتداء الاسلام . واختلف في تاريخ وفاته ، ف قيل انه توفي يوم وفاة الصديق ابي بكر (رض) . وقيل بل كانت وفاته بالمدينة سنة ٥٥ هـ وهو ابن بضع وثمانين سنة (٤٥) .

- 
- (٤٠) فتوح البلدان ، ص ٦٦٣ .  
(٤١) تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ . وانظر ان شئت تاريخ الحميس .  
ج ٢ ص ١٨١ . والتراتب الادارية ، ج ١ ص ١١٥ .  
(٤٢) التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٦ .  
(٤٣) اسم ابي الارقم هو عبد مناف .  
(٤٤) انظر : تاريخ الحميس ، ج ٢ ص ١٨١ . ومجموعة الوثائق الاسلامية ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٦ ، ص ٢٠٣ ، ص ٢٣٢ .  
(٤٥) الاستيعاب ، ج ١ ص ٩٧ فما بعدها .

## أبي بن كعب الانصاري (٤٦)

ابو المنذر أبي بن كعب بن قيس بن عبيد زيد بن معاوية الانصاري  
الحزرجي . حدث عنه الكثيرون .

ومر بنا قبلاً ، أنه أول من كتب للنبي (ص) ، وكان اذا غاب أبي لأمر ما  
كتب له زيد بن ثابت (٤٧) . فكان مؤتمناً على الوحي ، وسيد القراء ،  
وأول من كتب له من الانصار . والى جانب كتابة الوحي فانه كتب الرسائل (٤٨) .

وهو من الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد النبي (ص) وكلهم من  
الانصار : معاذ بن جبل وأبي كعب وزيد بن ثابت وأبو زيد وأبو الدرداء  
وأبو الدرداء وسعد بن عبيد (٤٩) .

وقال (ص) : « اقرأكم أبي » . وقال له مرة : ان الله أمرني ان اقرأ عليك  
« لم يكن الذين كفروا » (٥٠) قال : وسماني ؟! قال نعم . فبكى أبي سروراً

(٤٦) انظر ترجمته في : المعازف ، ص ٢٦١ ، الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٨ .

مرآة الجنان ، ج ١ ص ٧٥ ، ص ٧٧ - ٧٨ . تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ١٦ .

سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٨٠ .

(٤٧) فتوح البلدان ، ص ٦٦٢ . تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ .

الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٩ . تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ . وقيل ان سر

حبيل بن حسنة كان اول كاتب . وقيل بل ابي بالمدينة وعبد الله

ابن سعد بمكة . التراتيب الادارية ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٤٨) مجموعة الوثائق الاسلامية ، الصفحات ، ٢٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٢٢٨ ، ٢٥٣ ،

٩٧ ، ١٩٠ ، ٢٠١٠ .

(٤٩) انظر : المحبر ، ص ٢٨٦ . وقد جعلهم بعض المؤرخين اربعة فقط كما فعل

اليافعي فاستثنى منهم ابا الدرداء وسعد بن عبيد . انظر : مرآة

الجنان ، ج ١ ص ٧٥ .

(٥٠) وفي الاستبصار انه (ص) قرا عليه : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك

فليفرحوا هو خير مما تجمعون » بالتاء . يونس/ ٥٨ .

واستصغاراً لنفسه عن تأمله لهذه النعمة العظيمة والمنزلة الكريمة • وقال له  
(ص) : « ليهنك العلم أبداً المنذر » • (٥١)

هناك اختلاف في سنة وفاته فذكر سنة ١٩ هـ كما ذكر سنة ٢٢ هـ  
وقيل في خلافة عثمان (رض) • وقد كلفه مع اثني عشر رجلاً من المهاجرين  
والانصار لجمع القرآن • غير أن الذهبي ناقش هذه الرواية ، ورجح أن وفاته  
كانت سنة ٢٢ هـ (٥٢) •

### ثابت بن قيس الخزرجي (٥٣)

أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن ثابت بن قيس بن شماس بن زهير  
ابن مالك الخزرجي • كان خطيب الانصار ويقال له خطيب (٥٤) رسول الله  
(ص) • وكان من نجباء الصحابة • شهد احد وبيعة الرضوان وما تلاها من  
المشاهد • واخوته لأمه عبد الله بن رواحة وعمرة بنت رواحة وهو زوج  
جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول •

أخى النبي (ص) بينه وبين عمار بن ياسر ، وقيل بل المؤاخاة بين عمار  
وحذيفة • وكان جهير الصوت خطيباً بليغاً • قال عند مقدم النبي (ص)  
الى المدينة « نمنعك ما نمنع به أنفسنا وأولادنا » (٥٥) وقال عنه (ص) :

---

(٥١) الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٨ •

(٥٢) سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٨٧ •

(٥٣) ترجمته في : الاستيعاب ، ج ١ ص ١٩٣ • الاستبصار ، ص ١١٧-١١٨

سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ الاصابة ، ج ١ ص ١٩٧ •

(٥٤) الاستيعاب ، ج ١ ص ١٩٣ •

(٥٥) سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٢٤ •



« نعم الرجل ثابت بن فيس بن شماس » • وعندما نزلت الآية الكريمة :  
 « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (ص) » جعل يبكي • فطمأنه (ص) •  
 وكان ممن كتب (ص) للنبي (ص) • ووددت بعض نصوص المكاتب (الرسائل)  
 التي كتبها بين يديه (ص) •

## جهيم بن الصلت (٥٨)

هو جهيم بن الصلت بن المغلب ( ويقال مخزومة ) بن عبد الله  
 المطلبي • أسلم بعد الفتح • قال البلاذري : كان يعلم الخط في الجاهلية ، ف جاء  
 الاسلام وهو يكتب • فكتب للنبي (ص) (٥٩) • وعندما انتهى النبي (ص) الى تبوك  
 أتاه يحنه بن رؤية (٦٠) ، فصالحه النبي (ص) وكتب له كتاباً وفي آخره :  
 كتب جهيم بن الصلت (٦١) • وكان جهيم بن الصلت والزبير بن العوام  
 يكتبان أموال الصدقات (٦٢) ، وكيفية تقسيمها على ما جاء في القرآن  
 الكريم •

ابو عبد الله حذيفة بن حسيل أو حسيل ( واليمان لقب له ) بن جابر

- 
- (٥٦) سورة الحجرات ، الآية (٢) •  
 (٥٧) ترجمته في : الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ • الإصابة ، ج ١ ص ٢٥٧ •  
 (٥٨) ترجمته في : الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٥٧ •  
 الاستبصار ، ص ٢٣٣ •  
 (٥٩) فتوح البلدان ، ص ٦٦٣ •  
 (٦٠) سيرة ابن هشام ، ج ٤ ص ٩٥٢ •  
 (٦١) مجموعة الوثائق ، ص ٥٥ ، ص ٨١ •  
 (٦٢) التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٥ • نور الابصار ، ص ٤٨ •  
 (٦٣) • ترجمته في : المعارف ، ص ٢٦٣ • الاستيعاب ج ١ ص ٢٧٦ • الإصابة ،  
 ج ١ ص ٣١٦ • مرآة الجنان ، ج ١ ص ٧٧ ، ص ١٠٠ •  
 ص ١٠٠ •

ابن عمرو بن ربيعة • أحد الصحابة المشهود لهم • كان يكتب خزص الحجاز (٦٤) • والخارص هو المحزر والمقدر للثمر وغيره • شارك في معارك الاسلام الخالدة • ومنها تحرير العراق في معركة نهاوند سنة ٥٢١ •

استعمله الفاروق (رض) على المدائن • ولم يزل بها حتى مات بعد استشهاد عثمان (رض) وبعد بيعة على (رض) بأربعين يوماً • وقيل أيضاً ان وفاته كانت سنة ٣٥ هـ • وهو القائل : « لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها » • وكان أعلم اصحاب رسول الله (ص) بالمنافيين وبأخبار الفتن •

### الحصين بن نمير (٦٥)

هناك اشتباه وقع فيه المؤرخون في تحديد من هو هذا الصحابي لتشابه الاسماء • فهناك الحصين بن نسير الانصاري والحصين بن نمير السكوني • وقد ذكر المؤرخون من كتاب النبي (ص) الحصين بن نمير ولم يوضحوا نسه • قال المسعود كان « الحصين بن نمير والمغيرة بن شعبة يكتبان فيما يعرض حوائجه » (٦٦) • وقال الشيخ الشبلنجي كان « المغيرة بن شعبة والحصين ابن نمير يكتبان المدائيات والمعاملات » (٦٧) •

ولقد خلط ابن عساكر بين حصين بن نمير السكوني والحصين بن نمير الانصاري • وكان الاول أميراً ليزيد بن معاوية على قتال أهل مكة وحاصر عبد الله بن الزبير • وكان ابراهيم بن الاشر قد هاجم هذا الجيش الذي تحت

---

(٦٤) التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٥ • تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨٢ •

نور الابصار ، ص ٤٨ •

(٦٥) انظر : معجم بني امية ، ص ١١٩ • الاصابة ، ج ١ ص ٣٣٨ ، مرآة

الجنان ، ج ١ ص ١٤٢ •

(٦٦) انظر التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٥ • تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨٢ •

(٦٧) نور الابصار ، ص ٤٨ • كما ذكر ذلك القضاعي في كتاب الانباء وابن حزم

في كتاب جوامع السيرة • انظر التراتيب الادارية ، ج ١ ص ٢٧٥ •

امرة السكوني سنة ( ٦٦ - ٦٧ هـ ) وقتل الأمير وعدد من معاويته وبعث برؤوسهم الى المختار .

وذكر ابن حجر حصين بن نمير الانصاري الذي أغار على تمر الصدنة في غزوة تبوك سنة ٥٩ هـ . ثم ذكر حصين بن نمير آخر وقال : ما أدري الذي قبله أو غيره ذكره ابن عساكر في تاريخه وقال كان عامل عمر على الاردن . . . ثم اميراً ليزيد بن معاوية نسبة ابن الكلبى فقال : حصين بن نمير بن فاتك بن لبيد بن جعفر بن الحارث بن سلمة بن سكانه وقال أنه كان شريفاً بجمص وكذا ولده . الى ان يقول : فلا أدري أزداد هذا أو أراد الذي قبله . وكأنه أراد الذي قبله (٦٨) .

### حنظلة بن الربيع (٦٩)

حنظلة بن الربيع بن صيفي بن رباح بن مخاشن الأسدي التميمي ابن أخ اكثم بن صيفي الحكيم المشهور . وكان يلقب بحنظلة الكاتب . كتب بين يدي النبي (ص) في جميع الامور ، اذا غاب واحد من كتابه فهو ينوب عنهم (٧٠) . وهذا يشير على ما يبدو الى امكانيته الفذة من ناحية وانه لم يختص بنوع معين من الكتابة . ومن ناحية اخرى فهو موضع ثقة نظراً لما كان يتولاه من امور الكتابة وبهذا الشكل . شهد القادسية . وتوفي في خلافة الفاروق (رض) بعد ان فتح الله

---

(٦٨) الاصابة ، ج ١ ص ٣٣٨ .

(٦٩) ترجمته في : المعارف ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ . الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٧٨-٢٧٩

الاصابة ، ج ١ ص ٣٥٩ .

(٧٠) فتوح البلدان ، ص ٦٦٣ . تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ . التنبية

والاشراف ، ص ٢٤٦ . الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ . الاصابة ، ج ١ ص ١١٨

تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ .

على المسلمين البلاد • ففرقوا فيها • فصار حنظلة الكاتب الى الرها (٧١)  
فمات فيها ورثته امرأة من قومه وقيل زوجته بقصيدة منها البيت الذي نصه :

ان سواد الرأس أودى به      حزني على حنظلة الكاتب

وقد وهم الديار بكري فقال استشهد في احد (٧٢) • لان الذي  
استشهد في أحد انما هو حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة (٧٣) - كما سماه  
المسلمون آنذ •

### خالد بن سعيد بن العاص (٧٥)

أبو سعيد خالد بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الاموي أحد  
السابقين الأولين • فهو قديم الاسلام • وكان من مهاجرة الحبشة هو وأخوه  
عمرو ، وأقام بالحبشة ، اذ هاجر اليها في الهجرة الثانية وكانت معه  
امراته وابناء سعيد وخالد اللذان ولدا بأرض الحبشة •

كان خالد يكتب للنبي (ص) في سائر ما يعرض من اموره هو  
وحنظلة الكاتب (٧٥) •

---

(٧١) الرها : من مدن الجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الذي استحدثها  
وهو الرها من البلندي بن مالك بن دعر • معجم البلدان ، ج ٤ ص ٣٤٠ •

(٧٢) تاريخ الحميس ، ج ٢ ص ١٨١ •

(٧٣) انظر : سيرة ابن هشام ، ج ٣ ص ٥٩٤ •

(٧٤) انظر ترجمته في : المعارف ، ص ٢٩٦ • الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٩٨ - ٩٩  
الاصابة ، ج ١ ، ص ٤٠٦ • معجم بني أمية ، ص ٢٩ - ٣٠ • سير اعلام  
النبلاء ، ج ١ ص ١٨٨ •

(٧٥) فتوح البلدان ، ص ٦٦٣ • تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ •  
تاريخ الحميس ، ج ٢ ص ١٨٢ • التبيين والاشراف ، ص ٢٤٥ مجموعة  
الوثائق ، ص ٤١ ، ص ٤٢ ، ص ٢٠٨ ، ص ٢٣٢ ، ص ٢٣٩ ،  
ص ٢٤٤ •

قدم على النبي (ص) في يوم خير سنة ٧ هـ • وأسهم له النبي (ص)  
ثم رجع معه الى المدينة وبعثه عاملاً على صدقات اليمن • وتوفي النبي (ص)  
وهو عامله على صنعاء اليمن • وأقره الصديق (رض) أميراً على جيش  
فتح الشام لتحريرها من الروم • فحاربهم في مرج الصفر (٧٦) فقتل انه  
قتل به وقيل انه بقي حتى شهد اليرموك •

روي عن أم خالد بنت خالد أنها قالت : « كان أبي خامساً في الاسلام  
وهاجر الى أرض الحبشة ، وأقام بها بضع عشرة سنة وولدت أنا بها وكان  
ابي أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم » •

وجاء في الاستيعاب أنه استشهد يوم أجنادين اما في الاصابة فقال  
أنه استشهد في مرج الصفر •

### خالد بن الوليد (٧٧)

أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم  
القرشي المخزومي • أحد أشراف قريش في الجاهلية واليه كانت القبة  
والأعنة (٧٨) • ذكره ابن عبد البر (٨٩) • مع الذين كتبوا للنبي (ص) •

اختلف في تحديد وقت اسلامه وهجرته ، فقليل هاجر خالد بعد

---

(٧٦) مرج الصفر : مرج قبل دمشق من بلاد الشام بين الكوفة وغبغب •

معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٠٨ •

(٧٧) ترجمته في : المعارف ، ص ٢٦٧ • الاستيعاب ، ج ١ ص ٤٠٥ - ٤٠٨ •

الاصابة ، ج ١ ص ٤١٢ - ٤١٤ •

(٧٨) القبة والاعنة : كانوا يضربون قبة في الجاهلية ثم يجمعون اليها ما يجهزون  
به الجيش • واما الاعنة فهي قيادة الجيش ومن كانت له الاعنة كانت له  
الرئاسة على فرسان قريش في الحروب •

(٧٩) الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ • تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨٢ • سيرة الرسول  
للعاملي ، ص ٤١ •

الحديبية ، وقيل بل كان اسلامه بين الحديبية وخيبر . وذهب بعضهم الى القول ان اسلامه كان سنة ثمان للهجرة مع عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ، ولما رآهم النبي (ص) قال : « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » (٨٠) . حسن اسلامه وولاه (ص) أعنة الحيل وسماه سيفاً من سيوف الله . وشهد فتح مكة مسلماً . وبعثه (ص) الى بيت العزى - وكان مما تعظمه قريش وكنانة ومضر بنخلة - فهدمها وجعل يقول :

كفرائك اليوم لا سبحانه  
اني رأيت الله قد أهانتك

وقال بعضهم : لا يصح لحالد مشهد مع الرسول (ص) قبل الفتح . ومضى أميراً على الجيوش التي ذهبت للقضاء على المرتدين ولما حضرته الوفاة قال : شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في جسدي موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ثم ها أنذا أموت كما يموت البعير . فكان (رضن) يطعم بالشهادة في سبيل الله . وكانت وفاته بحمص وقتل بل توفي في المدينة سنة ٢١ أو ٢٢ في خلافة عمر الفاروق (رضن) .

### الزبير بن العوام (٨١)

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الاسدي . حوارى (٨٢) رسول الله (ص) وابن عمته صفية . وأول من سار سماً في سبيل الله .

كان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان للنبي (ص) في أموال

(٨٠) ويروى انه قال ذلك (ص) في إحدى المعارك مع قريش .

(٨١) ترجمته في : المعارب ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ . الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٦٠ .

مرآة الجنان ، ج ١ ص ٩٨ . سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٧ - ٤٥ .  
الاصابة ، ج ١ ص ٥٢٦ - ٥٢٨ .

(٨٢) الحوارى : ذكر في معانيه كثيراً من الالفاظ : كالناصر والخاصة والمنخلص والحليل . انظر مصادر تخريج ترجمته ، الحاشية (٨١) .

الصدقات (٨٣) • ويقومان بتصنيفها وتوزيعها على ما ورد في الآية الكريمة  
« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين  
وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل » (٨٤) •

أبلى الزبير بلاء عظيمًا في معارك الاسلام الخالدة ، وفي اليرموك  
على وجه التحديد • وقال عنه النبي (ص) : « لكل نبي حواري وحواري  
الزبير » • وهو من العشرة المبشرين بالجنة •

استشهد سنة ٥٣٦ هـ • في وقعة الجمل : قتل ابن جرموز بوادي  
السباع (٨٥) ، منصرفاً تاركاً للقتال طالباً للنجاة من الفتن • فأخذ ابن جرموز  
سيفه بعد أن قتل وأخبر علياً (رض) فشره بالنار • لما ورد عنه (ص)  
انه قال : « بشر قاتل ابن صفية بالنار » • فقال ابن جرموز متهكماً : يا ويلنا  
ان قاتلناكم ويا ويلنا ان قاتلنا معكم فنحن في النار (٨٦) •

وكان الامام علي (رض) يقول : « والله اني لأرجو أن اكون انا وطلحة  
والزبير من أهل هذه الآية : ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر  
متقابلين » (٨٧) •

## زيد بن ثابت الانصاري (٨٨)

وهو زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري الخزرجي • كاتب النبي المني

(٨٣) انظر : التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٥ • تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ •

(٨٤) سورة التوبة ، الآية (٦٠) •

(٨٥) وادي السباع : على سبعة فراسخ من البصرة او حوالي ٤٢ كم انظر :  
معجم البلدان •

(٨٦) امرأة الجنان ، ج ١ ص ٩٨ •

(٨٧) سورة الحجر ، الآية (٤٧) •

(٨٨) ترجمته في : المحبر ، ص ٣٧٧ ، ص ٢٨٦ • المعارف ، ص ٢٦٠ •

الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٣٢ - ٣٤ • الاستبصار ص ٧١ - ٧٢ • امرأة

الجنان ، ج ١ ص ١٢١ فما بعدها • تذكرة الحفاظ ، ج ١ ص ٣٠ •

سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٣٤٩ • الاصابة ، ج ١ ص ٥٤٣ •

(ص) • قتل ابوه في يوم بعاث (٨٩) •

وعندما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجراً الى المدينة • كان زيد صيماً ذكياً نجيباً وعمره احدى عشرة سنة ، فأسلم • وأمره (ص) أن يتعلم خط يهود فأجاد الكتابة وحفظ القرآن الكريم وأتقنه • وكان مع أبي يكتبان الى جانب الوحي ، كتب النبي (ص) وما يقطع (٩٠) • كما كتب زيد مغانم (٩١) النبي قبل أن يتولاها معيقيب بن فاطمة الدوسي • ثم كتب الكتب الى الملوك وأجاب عنها بحضرة النبي (ص) وكان يترجم من الفارسية والرومية والقبطية والحبشية • وكان قد تعلمها في المدينة من أهل هذه الألسن • وروي عن النبي (ص) أنه قال : « يا زيد تعلم كتابة يهود فاني ما آمنهم على كتابي » (٩٢) • وكانت ترد للنبي (ص) كتب بالسريانية فأمر زيداً فتعلمها •

روي عنه بسنده انه قال : كتب الى جانب النبي (ص) خمسة المسكينة فوقعت فخذها علي فخذني فما وجدت شيئاً أنقل منها • ثم سرى عنه فقال لي اكتب : فكتبت في كتف « لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون » (٩٣) فقام عمرو بن أم مكتوم فقال كيف يكون لا يستوي ، فما انقضى كلامه حتى غشيت رسول الله (ص) السكينة ثم سرى عنه فقال اكتب : غير أولى

---

(٨٩) يوم بعاث : اليوم الذي كانت فيه الحرب بين الاوس والخزرج قبل هجرة النبي (ص) الى المدينة بخمس سنين • وبعث اسم موضع من نواحي المدينة تابع لبني النضير ، تاريخ الخميس ، ج ١ ص ٢٩٧ •

(٩٠) فتوح البلدان ص ٦٦٢ •

(٩١) تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ والتنبيه والاشراف ، ص ٢٤٦ • ومصادر تخريج ترجمته •

(٩٢) فتوح البلدان ، ص ٦٦٤ : تاريخ الخميس ، ج ١ ص ٤٦٤ • =

(٩٣) النساء الآية (٩٥) •



الضرر « (٩٤) •

وكان النبي (ص) يخاطب الصحابة قائلًا : أفرضكم زيد (٩٥) • وحكى صاحب السيرة الحلبية أن معاوية وزيد بن ثابت كانا ملازمين لكتابة الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك • وقال ابن حجر في الإصابة - نقلًا عن المدائني - ان زيدا كان يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي (ص) فيما بينه وبين العرب • وقد المعت الى شيء من هذا القيل في صدر هذا المقال •

على ان ابن عبد البر أوضح (٩٦) ان زيدا كان ألزم الصحابة لكتابة الوحي مع أنه كان يكتب كثيراً من الرسائل • وسبقت الإشارة الى ان أبي بن كعب كان أول من كتب للنبي (ص) ، فاذا لم يكن حاضراً دعى زيد بن ثابت • وكانا يتناولان الكتابة في الوحي ، كما كتبنا كنه الى الناس وما يقطع (٩٧) • وعد ابن حبيب (٩٨) زيد بن ثابت من الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ص) • وناقش ابن عبد البر ذلك منسأ الطريقة التي جمع فيها زيد القرآن من العسب والرقاع وصدور الرجال • فلو كان قد جمع القرآن على عهد النبي (ص) لأملأه من صدقه (٩٩) •

على انه انتدب في زمن الصديق (رضي الله عنه) لجمع القرآن • ثم عده عثمان (رض) لكتابة المصحف وثوقاً بحفظه ودينه وأمانته وحسن كتابته وكتب بعد النبي (ص) لابي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما

(٩٤) التجريد الصريح / ج ٢ ص ١٧ •

(٩٥) الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٩ •

(٩٦) الاستيعاب ، ج ١ ص ٢٩ - ٣٠ •

(٩٧) ن • م السابق ، ج ١ ص ٣٠ وتاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٢٤١ •

(٩٨) المحبر ، ص ٢٨٦ •

(٩٩) الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٣٣ • وقد كتبت بحثاً عن تاريخ جمع القرآن

١. بزال مخطوطاً • ناقشت فيه معظم الروايات • وثبتت منها •

كما كتب لهما معيقب الدوسي معه (١٠٠) .  
 وكان زيد عالماً بالفرائض وله القراءة . فقرأ عليه القرآن جماعة منهم  
 ابن عباس وابو عبد الرحمن السلمي ، وحدث عنه ابنه خارجة وأنس بن مالك  
 وابن عمر ومروان وعبيد بن السباق وعطاء بن يسار وغيرهم . وكان  
 ابن عباس يأتي بابه وينتظر خروجه لسمع منه العلم (١٠١) . فاذا ركب  
 أخذ بركابه فيقول ما هذا يا ابن عباس ؟ ! فيقول هكذا أمرنا ان نفعل .  
 بعلمائنا . وكان عمر (رض) ، يستخلفه على المدينة اذا حج ونال شرف العلم  
 والصحة للنبي (ص) .

وقد اختلف في وفاته ف قيل سنة ٤٥ هـ وقيل سنة ٥٤ هـ وقيل سنة ٥٥ هـ .  
 كما قيل غير ذلك (١٠٢) .

### شر حبيل بن حسنة (١٠٣)

قال القاضي الرامهرمزي : هو شر حبيل بن عبد الله بن المطاع بن عمرو  
 من كنده و امه حسنة مولاة معمر بن حبيب الجمحي . واخبرنا أبو خليفة  
 عن الجهم عن الجمحي قال : هو شر حبيل بن عبد الله بن المطاع وحسنة امه  
 من بطن حمير وكان سفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح  
 تزوجها بعد عبد الله بن المطاع وتبنى ابنها في الجاهلية .

وقال ابن هشام هو شر حبيل بن عبد الله أحد بني الغوث بن من  
 أخي تميم بن مر ، وقال موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب هو شرحبيل

- (١٠٠) الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٣٣ . الاصابة ، ج ١ ص ٥٤٣ .  
 (١٠١) مرآة الجنان ، ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ .  
 (١٠٢) راجع ان شئت مضان ترجمته المذكورة في الحاشية رقم (٨٨) .  
 (١٠٣) ترجمته في : المعارف ، ص ٣٢٥ . المحدث الفاضل ، ص ٢٦٩ .  
 الاستيعاب ، ج ٢ ص ١٣٧ - ١٣٨ . مرآة الجنان ، ج ١ ص ٧٥ .  
 سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٣٨ . الاصابة ، ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٢ .

ابن عبد الله من بني جمح وامه حسنة •

على حين نرى ان ابن اسحق اكد على ان ام شر حيل وهي حسنة امرأة عدولية كان ولاؤها لمعمر بن حبيب الجمحي ، حالفه وتبناه وزوجه من حسنة وقد كان لها من غيره شرحبيل ، فولدت له جابراً وجنادة ابني سفيان ، فلما قدموا من الحبشة نزلوا على قومهم من بني زريق في ربعمهم ونزل شر حيل مع أخويه لامه ، ثم هلك سفيان وابناه في خلافة عمر بن الخطاب (رض) فتحول شر حيل بن حسنة الى بني زهرة فحالفهم (١٠٤) •

وكان ممن كتب للنبي (ص) (١٠٥) • وهناك من ذهب الى أنه أول كاتب للنبي (ص) كما في المواهب (١٠٦) • وكان شر حيل يكتب التوقيعات الى الملوك بأمر النبي (١٠٧) (ص) • ويبدو أنه كان مختصاً بكتابة الرسائل ، فلم تشر المصادر التي وقفت عليها الى مهمة كتابية غيرها • وكان من مهاجرة الحبشة مصدراً في وجوه قريش ، ثم أصبح أميراً مجاهداً في تحرير الشام • كما ولاء الفاروق (رض) ربع أرباع الشام وكانت وفاته شهيداً في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وهو ابن سبع وستين سنة (١٠٨) •

- 
- (١٠٤) انظر المراجع المذكورة اعلاه في الحاشية (١٠٣) •  
(١٠٥) انظر : فتوح البلدان ، ص ٦٦٣ • التتبيه والاشراف ، ص ٢٤٦ •  
الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ • تاريخ الحميس ، ج ٢ ص ١٨٢ •  
مجموعة الوثائق السياسية ، ص ٥٥ ص ٦٦ •  
(١٠٦) انظر : التراتيب الادارية ، ج ١ ص ١٢٨ • وقد مر معنا ان اول كاتب للنبي (ص) ابي بن كعب بالمدينة وعبد الله بن سعد بن ابي سرح بمكة •  
(١٠٧) انظر : نور الابصار ، ص ٤٨ •  
(١٠٨) تراجع مضان ترجمته المذكورة سلفاً في الحاشية (١٠٣) اعلاه •

## عامر بن فهيرة (١١٠)

هو مولى ابي بكر الصديق (رض) وأحد السابقين • وكان ممن يعذب في الله ... وأوضح ابن اسحاق أنه كان مولوداً من الأزد للطفيل بن عبد الله ابن سخبره ، فاشتراه الصديق (رض) وأعتقه فأسلم وحسن اسلامه •

وهو من الذين كتبوا للنبي (ص) قبل الهجرة (١١١) • وكان له دور مهم في هجرة النبي (ص) مع أنه كان راعياً للأغنام - وهذا شأن المجتمع الاسلامي - فكان يريحها ليحتلب منها النبي (ص) والصديق (رض) ما يشاؤون مدة لبثهم في غار ثور ، مخفين عن أعين المشركين ، ثم يسير بغنمه ليعضي على آثار عبد الله بن أبي بكر الذي كان يواصل النبي (ص) باخبار قريش ، وآثار اخته ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر التي كانت تأتي بالطعام للنبي (ص) وصاحبه •

وكانت وفاته سنة ٤٤ هـ عند بشر معونة ، وكان النبي (ص) قد بعث أربعين رجلاً في السنة المذكورة الى أهل نجد للدعوة الى الاسلام ، عندما قدم اليه ابو براء عامر بن مالك بن جعفر بن ملاعب الأسنة وهو في المدينة • فعرض عليه الاسلام ، فلم يسلم • وقال للنبي (ص) : أنا جار لهم ... فذهب عدد من خيار المسلمين وأميرهم المنذر بن عمرو ومنهم عامر بن فهيرة ، فساروا حتى نزلوا ببشر معونة وهي أرض بين بني عامر وحرّة بني سليم فغدروا بهم (١١٢) رحمهم الله • وكان مما كتبه عامر عهداً من النبي (ص) لمالك

---

(١١٠) ترجمته في : سيرة ابن هشام ، ج ٣ ص ٦٧٨ - ٧٩ • الاستيعاب ،

ج ٣ ص ٧ • الاصابة ، ج ٢ ص ٢٤٧ •

(١١١) انظر : تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ • سيرة الرسول : ص ٤١ •

مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٢ •

(١١٢) ما اورده ملخصاً راجعه ان شئت في سيرة ابن هشام ، ج ٣

ص ٦٧٨ فما بعدها •

ابن سرانة بن جشعم في رقعة من أديم (١١٣) • وفي بعض الروايات ان النبي كتب ذلك العهد هو أبو بكر الصديق (١١٤) •

### عبد الله بن الأرقم (١١٥)

هو عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث الزهري • أسلم عام الفتح وكتب للنبي (ص) ثم لابي بكر الصديق (رض) واستكتبه عمر الفاروق (رض) • وكان يجيب الملوك عن النبي (١١٦) (ص) • وبلغ من أمانته عنده أن يكتب الى بعض الملوك ، فيكتب ويأمره أن يطينه ويختمه وما يقرأه ثقة به • وقال ابن اسحاق : كان اذا غاب زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم واحتاج النبي (ص) أن يكتب الى بعض أمراء الاجناد أو الملوك او الى انسان بقطعة أمر من حضر ان يكتب له (١١٧) • على ان المسعودي اشار الى ان عبد الله بن الأرقم ... والعلاء بن عقبة كانا يكتبان بين الناس المدائيات وسائر العقود والمعاملات (١١٨) • ويلوح لي ان عبد الله بن الأرقم كان من الموظفين على كتابه الرسائل فقد « ورد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ، فقال من يجيب عني ، فقال عبد الله بن الأرقم : يا رسول الله ، فأجاب عنه واتى به الله فأعجبه وأنفذه وكان عمر (رض) حاضراً فأعجبه ذلك من عبد الله بن الأرقم فلم ير له ذلك له في نفسه ، يقول أصاب ما أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١١٩) •

(١١٣) التجريد الصريح ، ج ٢ ص ٦٩ • التراتيب الادارية ، ج ١ ص ١٢٣ •

(١١٤) نور الاضار ، ص ٤٨ •

(١١٥) ترجمته في : الاستيعاب ، ج ٢ ص ٢٥١ • الاصابة ، ج ٢ ص ٢٦٥ •

تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨٢ •

(١١٦) الاستيعاب ، ج ٢ ص ٢٥١ فما بعد و ج ١ ص ٣٠ • سيرة الرسول ، ص ٤١ •

(١١٧) الاستيعاب ، ج ٢ ص ٢٥٢ • الاصابة ، ص ٢٦٥ •

(١١٨) التنبية والاشراف ، ص ٢٤٥ •

(١١٩) الاستيعاب ، ج ٢ ص ٢٥٢ •

فلما ولي عمر (رض) استعمله على بيت المال في خلافته • واستمر في خلافة  
عثمان (رض) سنتين حتى استعفاه من ذلك فأعفاه • وكانت وفاته في خلافة  
عثمان (رض) •

## عبد الله بن رواحة (١٢٠)

أبو عمرو وأبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس  
الانصاري الحزرجي البصري • كان نقيماً في بيعة العقبة الثانية • وكان  
شاعراً • • • وهو أخو أبي الدرداء لأمه • شهد بدرًا والعقبة •

ويعتبر من كتاب الانصار المشهورين كتب للنبي (ص) واستعمله على  
المدينة في غزوة بدر الموعدة • وبعثه على سرية • كما بعثه خارصاً على حير •  
وقال ابن سعد كان يكتب للنبي (ص) (١٢١) •

واستشهد في غزوة مؤتة سنة ٨ هـ • بعد صاحبيه زيد بن حارثة وجعفر  
ابن ابي طالب صاحب الهجرتين وذو الجناحين • وكان ابن رواحة قوياً  
الايمان راسخه • وهو القائل : (١٢٢)

والله لولا الله ما اهتديت سبلهم ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا وثبت الاقدام ان لا قينا  
ان العدى قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

وكان احد شعراء النبي (ص) الذين كانوا ينافحون عنه وفيه وفي صاحبه  
حسان بن ثابت وكعب بن مالك نزلت « الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »

(١٢٠) ترجمته في : سيرة ابن هشام ، ج ٣ ص ٣٨٠ فما بعد • الاستبصار  
ص ١٠٨ امرأة الجنان ، ج ١ ص ١٣ - ١٥ • سير اعلام النبلاء  
ج ١ ص ١٦٠ فما بعد : الاصابة ، ج ٢ ص ٢٩٨ •

(١٢١) انظر : الاصابة ، ج ٢ ص ٢٩٨ • تاريخ الحميس ، ج ٢ ص ١٨٢  
سيرة الرسول ، ص ٤١ •

(١٢٢) امرأة الجنان ، ج ١ ص ١٤ •

ذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا» (١٢٣) • ومن شعر عبد الله بن رواحة قوله :

لكني أسأل الرحمن مغفرة      وضربة ذات فرغ (١٢٤) تنذف الزبدا  
أو طعنة بيدي حران مجهزة      بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا  
حتى يقال اذا مروا على جدثي      أرشده الله من غاز وقد رشدا (١٢٥)

فتأمل صلابه ورسوخ الايمان في أصحاب النبي الكرام صلى الله عليه وسلم  
ورضي عن أصحابه نجوماً في سماوات التضحية والاخلاص لله وحده •  
**عبد الله بن سعد (١٢٦)**

عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري من بني عامر بن لؤي بن غالب •  
أسلم وكتب للنبي (ص) • قال الطبري : هو أول من كتب للنبي (ص)  
من قريش في مكة • ثم ارتد ولحق بالمشركين • وكان يقول كنت أصرف  
محمداً حيث أريد • كان يملئ عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول  
نعم (١٢٧) • ونزل فيه قوله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً  
أو قال أوحى الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل

---

(١٢٣) الشعراء ، الآية (٢٢٧) •

(١٢٤) ذات فراغ : واسعة •

الزبدا : هنا الدم •

(١٢٥) سيرة ابن هشام ، ج ٣ ص ٨٣٠ •

(١٢٦) ترجمته في : المعارف ، ٣٠٠ - ٣٠١ • الاستيعاب ، ج ٢ ص ٣٨١ •

مرآة الجنان ، ج ١ ص ١٠٠ • سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٢٣ •

الاصابة ، ج ٢ ص ٣٠٩ •

(١٢٧) فتوح البلدان ، ص ٦٦٢ • تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ •

التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٦ • تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨٢ •

سيرة الرسول ، ص ٤١ •

الله « (١٢٨) • أمر النبي (ص) بقتله يوم الفتح ... فاستأ من له عمان (رض) من النبي (ص) وكان اخوه من الرضاة •

ثم حسن اسلامه وله رواية وحديث • ولاء الفاروق (رض) الصعيد ، كما ولي مصر لعثمان (رض) وقيل شهد صفين • والذي يبدو أنه اعتزل الفتنة ، وانزوى الى الرملة ، لم يبايع علياً ولا معاوية وهو الذي فتح افريقيا وقتل جر جبر صاحبها • وغزا ذات الصواري ثم قاد غزوة الأساود • وكانت وفاته سنة ٥٩ هـ • والارجح في خلافة علي (رض) •

### عبد الله بن سعد الاموي (١٢٩)

هو عبد الله بن سعيد بن أحيحة بن العاص بن امية الاموي • له صحبة • وكان اسمه الحكم فسماه النبي (ص) عبد الله واستعمله على سوق المدينة • ولما اسلم أمره النبي (ص) ان يعلم الكتابة بالمدينة (١٣٠) ، وكان كاتباً قبل اسلامه • روى عنه ابن أخيه سعيد بن عمرو بن سعيد • وذكر ابن سعد أنه استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة • وذكر أبو مخنف أنه خرج مع اخوته خالد وعمرو وابان الي الشام مجاهداً • وقال غيره انه استشهد في بدر وقيل انه استشهد في اليمامة • غير انه نسب اليه أنه قال يوم مرج الصفر (١٣١) :

من فارس كره الكماة يعيرني رمحاً اذا نزلوا بمرج الصفر

فان صح هذا فيكون قد استشهد في مؤتة بأرض الشام •

---

(١٢٨) سورة الانعام / الاية (٩٣) •

(١٢٩) انظر ترجمته في : معجم بني امية ، ص ٨١ ( نقلا عن تاريخ دمشق

لابن عساكر • المخطوط : الورقة ( ١١٩ - ١٨٠ ب ) •

(١٣٠) التراتيب الادارية ، ج ١ ص ٤٨ • واحال الي الاصابة والاستيعاب

ونسب قريش •

(١٣١) عن مرج الصفر انظر الحاشية ( ٧٦ ) اعلاه •



## العلاء بن الحضرمي (١٣٢)

العلاء بن عبد الله بن عباد بن اكبر بن ربيعة • كان من حلفاء بني أمية  
ومن سادة المهاجرين • ولاء النبي (ص) البحرين ثم وليها لابي بكر وعمر (رض) •  
وتروي المصادر أن الفاروق (رض) بعثه اميراً على البصرة فساق قبل أن  
يصل اليها •

ونقل الذهبي (١٣٣) عن محمد بن سيرين أن العلاء كتب للمبي (ص)  
وقال المسعودي (١٣٤) « ربما كتب بين يديه » • وعنه البلاذري والطبري •  
كتاب النبي (ص) (١٣٥) •

ومن فضائله ما رواه أبو هريرة قال : رأيت ثلاثة أشياء في العلاء  
لا أزال أحبه أبداً • قطع البحر على فرسه بواديين ، وقدم يريد البحرين  
فدعا الله بالدهناء فنبع لهم ماء فارتووا ، ونسي رجل منهم بعض متاعه  
فرد فلقه ولم يجد الماء • ومات ونحن على غير ماء فأبدى الله سبحانه فمطرنا  
ففسلناه وحفرنا له بسوفنا ودفنا ولم نلحد له • وكانت وفاته سنة  
٢١ هـ (٣٦) •

## محمد بن مسلمة (١٣٧)

أبو عبد الرحمن محمد بن مسلمة بن سلمة من بني حارثة بن الحارث  
ابن الحزرج حليف لبني عبد الأشهل •

- 
- (١٣٢) ترجمته في : المعارف ، ص ٢٨٣ - ٨٤ • مرآة الجنان ، ج ١ ص ٧٧  
(١٣٣) سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ١٩٠ • وتاريخ الحميس ، ج ٢ ص ١٨٢ •  
(١٣٤) التبيين والاشراف ، ص ٢٤٦ •  
(١٣٥) فتوح البلدان ، ص ٦٦٣ • تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ •  
وتاريخ الحميس : ج ٢ ص ١٨٢ •  
(١٣٦) سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ١٩٠ •  
(١٣٧) ترجمته في : المعارف ، ص ٢٦٩ • الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ •  
الاستبصار ، ص ٢٤١ - ٤٢ • مرآة الجنان ، ج ١ ص ١٢٠ •

وكان يقال له فارس رسول الله (ص) . وكان من كتاب النبي أيضاً (١٣٨) .  
 واستخلفه في غزوة ( قرقرة الكدر ) على المدينة وشهد مع النبي (ص) بهزيمة  
 والمشاهد كلها . ولم يشهد الجمل ولا صفين . ولا حارب بل اغتزل الفقة  
 واتخذ سيفاً من خشب وجعله في جفن : وذكر أن النبي (ص) أمره بذلك  
 وأقام بالربذة .

ومن مآثره أنه عندما شرب كعب بن الأشرف اليهودي بنسبته المسلمين  
 آذاهم ذلك . فقال النبي (ص) من لي بابن الأشرف قال محمد بن مسلمة :  
 أنا لك به يا رسول الله . أقتله ؟ قال افعل إن قدرت على ذلك . فمكث  
 ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه ، إلى أن استدعاه النبي (ص)  
 وسأله فقال له : لا أدري أفي لك يا رسول الله أم لا !! فقال له إنما عليك  
 الجهد (١٣٩) . فتأمل وفاء وإخلاص أصحاب رسول الله (ص) . وكانت  
 وفاته في سنة ٤٣ أو ٤٦ هـ في المدينة .

### معاوية بن أبي سفيان (١٤٠)

معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية الخليفة الأموي أسلم  
 قبل أبيه في عمرة القضاء . ولم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح سنة ٨ هـ وهو  
 أخو أم حبيبة (رض) وابن عم النبي (ص) .

روى عن النبي (ص) وعن أبي بكر وعمر وأم حبيبة رضي الله تعالى  
 عنهم ، وروى الحديث عن غيرهم . كما روى عنه خلق من الصحابة والتابعين

(١٣٨) الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ : تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ .

سيرة الرسول ، ص ١٤١ .

(١٣٩) الاستيعاب ، ص ٢٤٢ .

(١٤٠) ترجمته في : الاستيعاب ، ج ٣ ص ٣٧٥ - ٧٨ . مرآة الجنان ، ج ١

ص ١٣٠ . سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٧٩ فما بعده . الاصابة ،

ج ٤ ص ٩٢ . مهجم بني أمية ، ص ١٦٧ - ٦٩ .

منهم ابن عباس وأبو سعيد الخدري وأبو ذر الغفاري وجريير بن عبد الله البجلي وغيرهم .

تولى كتابة الرسائل فيما بين النبي (ص) وعرب البادية . وعن ابن عباس انه كان كاتباً للوحي (١١٤) . قال البلاذري : كتب له بعد اسلامه عام الفتح . وقال المسعودي : كتب له معاوية قبل وفاته بأشهر (١٤٢) . وقال أبو نعيم الحافظ : كان معاوية من الكتبة الحسبة الفصححة . وقال الخطيب البغدادي : واستكتبه رسول الله (ص) (١٤٣) .

وتجمع الروايات على ان معاوية كتب الرسائل والوحي . وكان هو وزيد بن ثابت ملازمين للكتابة بين يدي النبي (ص) في الوحي وغيره . وذهب بعضهم الى القول بانه لم يكن لهما عمل غير ذلك (١٤٤) .

وقد ولاء الفاروق (رض) الشام بعد أخيه يزيد ، وكان اذا رآه يقول كسرى العرب . وقال (رض) : تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية ! (١٤٥) . غير أنني أتحفظ كثيراً في قبول رواية كهذه منسوبة الى الفاروق . على ان دهاء معاوية لا يخفى على متصفح لتاريخه والياً وأميراً وخليفة .

---

(١٤١) فتوح البلدان ، ص ٦٦٣ . تاريخ الامم والملوك ، ج ٢ ص ٤٢١ . الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ وج ٣ ص ٣٧٥ فما بعد . معجم بني امية ، ص ١٦٧ - ٦٨ - سير اعلام النبلاء ، ج ٣ ص ٨١ . مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٦٩ ص ١٩١ ، ص ٢٣٣ . سيرة الرسول للعالمى ، ص ٤٢ .

(١٤٢) التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٦ .

(١٤٣) تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨٢ .

(١٤٤) سيرة الرسول ، ص ٤٢ ومجموعة الوثائق ، ص ٨٩ ، ص ١٢٨ .

ونور الابصار ص ٤٨ .

(١٤٥) معجم بني امية ، ص ١٦٨ - ٦٩ .

وكانت وفاته بالشام سنة ٦٠ هـ • ودامت خلافته تسع عشرة سنة وأربعة أشهر •

### معيقب بن أبي فاطمة (١٤٦)

هو معيقب بن أبي فاطمة الدوسي بن عدشان بن عبد الله الأزدي كان حليفاً لبني أسد • هاجر إلى الحبشة وشهد بدرآ •

كتب للنبي (ص) ويبدو أنه كان مختصاً بكتابة مغانم النبي (ص) ، وكان عليها قبله زيد بن ثابت (١٤٧) • وهو صاحب خاتم النبي (ص) • كما كتب بعد النبي (ص) للصدوق والفاروق رضي الله تعالى عنهما • وكانت وفاته سنة ٤٠ هـ •

### المغيرة بن شعبة الثقفي (١٤٨)

أبو عبد الله المغيرة بن شعبة الثقفي • شهد بيعة الرضوان واليمامة وفتوح الشام واليرموك •

وكان حازماً ذا رأي ودهاء كبير • ذكره المؤرخون كواحد من كتاب النبي (ص) (١٤٩) • فذهب بعضهم إلى القول أنه كان يكتب مع الحصين بن نمير فيما يعرض من حوائجه (ص) • والذي يظهر أنه كان يكتب الرسائل في

---

(١٤٦) ترجمته في : المعارف ، ص ٣١٦ • سيرة ابن هشام ، ج ٣ ص ٨١٩

الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٣٣ • مرآة الجنان ، ج ١ ص ١٠٧ •

(١٤٧) التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٥ - ٤٦ : تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨٠

الاستيعاب ، ج ١ ص ٥٣٣ ، ج ١ ، ص ٣٠ •

(١٤٨) ترجمته في : المعارف ، ص ٢٩٤ - ٩٥ • مرآة الجنان ، ج ١ ص ١٢٤

(١٤٩) التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٥ ، الاستيعاب ، ج ١ ص ٣٠ • الأصابة ،

ج ٢ ص ٢٦٥ • تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ • سيرة الرسول ، ص ٤١ •

الغالب (١٥٠) • وقال الشبلنجي (١٥١) انه مع الحصين كانا يكتبان المداينات  
والمعاملات •

وكانت وفاته بالكوفة وهو أمير عليها سنة (٥٥٠) بالطاعون •

### يزيد بن ابي سفيان (١٥٢)

يقال له يزيد الخير بن ابي سفيان بن حرب بن امية الاموي • هو  
أخو معاوية من أبيه وأخو ام المؤمنين ام حبة (رض) •

كان من الفقلاء الألباء والشجعان المذكورين • اسلم يوم الفتح وحسن  
اسلامه • وشهد حينا وأسهم له النبي (ص) من غنائمها • كتب للنبي (ص)  
في مراسلاته ، واستعمله على صدقات بني فراس (١٥٣) •

توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ • وكان قد استعمل أخاه معاوية • الذي  
أقره الفاروق (رض) احتراماً ليزيد وتنفيذاً لتوليته ، لمكانته عنده • وقيل  
ان وفاته كانت سنة ١٩ هـ •

ومن الذين ورد ذكرهم من الكتاب : العلاء بن عقبة ، وكان يكتب في  
المداينات بين الناس وسائر العقود والمعاملات (١٥٤) • وعمرو بن العاص (١٥٥)

---

(١٥٠) انظر : مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٥  
• ١٢٩ ، ١٨٢ ، ٢٢١ •

(١٥١) نور الابصار ، ص ٤٨ •

(١٥٢) ترجمته في : الاستيعاب ، ج ٣ ص ٣٧٩ • ص ٦١٢ • مرآة الجنان ،  
ج ١ ص ٧٤ ، سير اعلام النبلاء ، ج ١ ص ٢٣٧ - ٣٨ • الاصابة ،  
ج ٣ ص ٦١٩ •

(١٥٣) الاستيعاب ، ج ٣ ص ٣٧٩ • سيرة الرسول ، ص ٤١ •  
(١٥٤) انظر : التنبيه والاشراف ، ص ٢٤٥ : تاريخ الحسبي ، ج ٢ ص ١٨١  
مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٣٠ •

العقد الفريد ، ج ٢ ص ١٤٤ •

(١٥٥) استيعاب ، ج ١ ، ص ٣٠ •

وعبد الله بن عبد الله بن أبي سلول (١٥٥) . وإضاف الديار بكري اسماء  
آخرين (١٥٦) هم : طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وحويطب  
ابن عبد العزيز العامري وأبو سلمة بن عبد الأسد وعبد الله بن زيد بن عبد ربه .  
وحاطب بن عمرو بن حنظلة . وزيد (١٥٧) بن أرقم .

ولاحظت كتاباً يتضمن معاهدة بين النبي (ص) مع نصارى نجران كتبه  
عبد الله بن أبي بكر (١٥٨) ، وكتاباً آخر كتبه قيس بن شماس (١٥٩)  
وربما كان هذا وهماً لأن الذي كتب للنبي (ص) هو ثابت بن قيس بن شماس  
كما مر معنا في هذه الدراسة .

وأخيراً ليعفو القارىء ما قد يعثر عليه من لبس أو غموض ، وأرجو أن  
أوضح أن هذه الدراسة أولية أسأله تعالى أن يفيض لي التبسط بها  
مستقبلاً . والله من وراء القصد ومنه استمد العون والتوفيق .

د. شاکر محمود عبد المنعم

بغداد - العراق

(١٥٦) تاريخ الخميس ، ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢ .

(١٥٧) العقد الفريد ، ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٥٨) مجموعة الوثائق السياسية ، ص ١١١ - ١١٢ .

(١٥٩) ن . م السابق ، ص ١٨٥ .

## مصادر البحث

### القرآن الكريم :

ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي ( ت ٢٤٥ ) ،  
المحبر ( رواية أبي الحسن السكري ) ، تصحيح الدكتور  
ايلزة ليحتن شتير ، حيدر آباد / ١٣٦١ •

ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي بن محمد العسقلاني ( ت ٨٥٢ ) ،  
الاصابة في تميز الصحابة ، القاهرة / ١٣٥٨ / ١٩٣٩ •  
.. .. ، أنباء الغمر في أنباء العمر ، ٣ أجزاء ، تحقيق الدكتور  
حسن حبشي ، القاهرة / ١٣٨٩ / ١٣٦٩ - ١٣٩٢ / ١٩٧٢ •

ابن سعد ، محمد بن سعد ( ت ٢٣٠ ) ،  
كتاب الطبقات الكبرى ، لندن / ١٣٢١ •  
ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ( ت ٤٦٣ ) ،  
الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، القاهرة / ٣٥٨ / ١٩٣٩ •  
.. .. ، جامع بيان العلم وفضله وما يبعث في روايته ، جزآن ،  
تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة / ٣٨٨ / ١٩٦٨ •

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ( ت ٢٧٦ ) ،  
المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة / ١٩٦٠ •  
ابن قدامة ، موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدس ( ت ٦٢٠ ) ،  
الاستبصار في نسب الصحابة من الانصار ، تحقيق الاستاذ  
علي نويهض ، دار الفكر ، بيروت / ١٩٧٢ •

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري ( ت ٢١٨ ) ،  
سيرة النبي (ص) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،  
القاهرة / ١٣٨٣ •

البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ( ت ٢٧٩ ) ،  
فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس  
الطباع ، دار النشر للجامعيين ١٩٥٧/١٣٧٧ •

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي ( ت ١٠٦٧ ) ،  
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، ط ٣ ، طهران  
١٩٦٧/١٣٨٧ •

الحيدر ابادي ، الدكتور محمد حميد الله ،  
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ، والخلافة الراشدة ،  
القاهرة/١٣٧٦/١٩٥٦ •

الديار بكري ، الشيخ حسين محمد بن الحسن ( ت ٩٨٢ ) ،  
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس / القاهرة/ ١٢٨٣  
الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله ( ت ٧٤٨ ) ،  
تذكرة الحفاظ ، ط ٧ ؛ حيدر اباد/ ١٣٧٥/ ١٩٥٥ •

• • • •  
سير اعلام النبلاء ، ج ١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد  
القاهرة/ ١٩٥٦ • و ج ٣ تحقيق محمد اسعد طلس ،  
القاهرة/ ١٩٦٢ •

الرامهرمزي ، القاضي الحسن بن عبد الرحمن ( ت ٣٦٠ ) ،  
المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ، تحقيق الدكتور  
محمد عجلاج نويهض ، دار الفكر / بيروت/ ١٣٩١/ ١٩٧١  
الزمخشري ، جار الله محمود بن محمد ( ت ٣٥٨ ) ،  
كتاب خصائص العشرة الكرام البررة ، تحقيق بهيجة الحسني؛  
بغداد/ ١٣٨٨/ ١٩٦٨ •



الشبلنجي ، الشيخ سيد الشبلنجي المدعو بمؤمن ،  
نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ، القاهرة /  
١٣٨٠ - ١٩٦٠ •

الطبري ، محمد بن جرير ( ت ٣١٠ ) ،  
تاريخ الأمم والملوك ، القاهرة / ١٩٣٩ •

العالملي ، محسن الأمين ،  
سيرة الرسول ( عن طبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام  
وسيرة ابن سيد الناس والسيرة الحلية ) ، بيروت / ؟  
عبد البديع ، الدكتور لطفي ،  
فهرس المخطوطات المصورة ، ج ٢ القاهرة / ١٩٥٦ •

الغساني ، ابو العباس اسماعيل بن رسول ( ت ٨٠٣ ) ،  
المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات العلماء والملوك ،  
( مخطوط ) نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢١٨٩ تاريخ  
ميكروفيلم وعنها نسخة مصورة بالفوتوستات في المجمع  
العلمي العراقي • ونسخة في مكتبي •

الكتاني ، محمد بن عبد الحفي ،  
التراتب الادارية ، بيروت / ؟

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين ( ت ٣٤٥ ) ،  
التنبه والاشراف ، بيروت ، ١٣٨٨ / ١٩٦٨ •

المنجد ، الدكتور صلاح الدين ،  
معجم بني امية ( استخرجه من تاريخ دمشق لابن عساكر ) ،  
دار الكتاب ، لبنان / ١٩٧٠

الينافعي ، عبد الله بن سعد بن سليمان ( ت ٧٦٨ ) ،  
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث  
الزمان ، حيدر آباد / ١٣٣٧ .

ياقوت ، ابو عبد الله ياقوت الحموي الرومي ( ت ٦٢٦ ) ،  
معجم البلدان ، تحقيق محمد أمين الخانجي ، القاهرة /  
١٩٠٦ / ١٣٢٣ .



## تعقيب على بحث (الجامع عنصر وظيفي)

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الاستاذ الدكتور / حسين امين

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

ورئيس تحرير مجلة المؤرخ العربي .

تحية طيبة صادقة وبعد :

لقد ملأت نفسي بهجة وسعادة تلك المجلة الوليدة العملاقة التي  
اضافت الى حقل الدراسات التاريخية جديدا ، واننى لعلنى ثقة من انها  
سوف تثري الفكر التاريخى العربى بالمزيد من الافكار والابحاث ومن هنا ،  
ومن احساسى بالفخر بهذه المجلة القيمة فاننى ابعث الى سيادتكم  
شخصيا ، والى هيئة تحرير المجلة كل تحية وتقدير ، واسمحوا لنا ان نرسل  
لسيادتكم بهذا التعليق البسيط على مقالة الدكتور : خالص الاشعب  
والمنشورة في العدد الثانى بعنوان « الجامع عنصر وظيفى ، عمارى ،  
ومورفولوجى » يقول الدكتور الاشعب في صفحة ٤٢ : تقع الابنية الدينية  
في المدينة عموما تحت عدة أنواع منها الجوامع ( لصلاة الظهر في  
الجمع ) ، المساجد ( لاقامة الصلوات الاخرى ) ، المدارس ( الدينية )  
المقامات والاضرحة . ثم قام بعد ذلك بالفرقة بين هذه الانواع بناء  
على التقسيم الادارى لدوائر الاوقاف في بعض البلاد العربية فجعل  
الجامع ينقسم الى ثلاث درجات اهمها واكبرها ما يقام فيه صلاة  
الجمعة ولعله يخدم المدينة كلها ولذلك فان عدد مستخدميه لا يقل  
عن خمسة افراد ، وفيه تقام صلاة العيدين ، والعديد من المناسبات

الآخرى حتى يصل الى القول « اما جوامع الدرجة الثالثة ( المساجد )  
فتمثل في الواقع مراكز صغيرة للعبادة او مراكز ذات اهمية دينية خاصة ،  
وتخدم السكان المجاورين فقط ويستخدم في مثل هذه المساجد عادة  
الامام فقط » ، ومن هنا فبعد ان فرق الكاتب في بداية المقال بين الجامع  
والمسجد فقد عاد وادرج المسجد كنوع من انواع الجامع وجعله النوع  
الاقبل اهمية ولعمري من اين جاءت الافكار التي تعتبر المسجد من اقل  
الانواع في بيوت العبادة او التي تفرق فتجعل الجامع لاقامة صلاة الجمع  
والمسجد للصلوات الاخرى .

ان القرآن الكريم لم يستخدم على الاطلاق كلمة جامع كمرادف لكلمة  
مسجد على الحرمين الشريفين في مكة والقدس حين قال في سورة الاسراء  
« سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا »  
« ولقد اورد القرآن الكريم اسم المسجد الحرام في سورة البقرة وحدها  
اكثر من خمس مرات ولم يستخدم مرادفا لها مثلا « الجامع الحرام » واذا  
قلنا ان للمسجد الحرام صفة خاصة فاننا نجد ان كلمة مسجد قد ترددت  
في القرآن الكريم في كل من سورة « الانفال » ، « التوبة » ، « الاسراء » ،  
« الكهف » ، « الحج » ، « الجن » .

ولم يرد في القرآن الكريم مرادف لكلمة مسجد الا كلمة « بيت »  
والمقصود هنا هو بيت الله حيث قال في سورة آل عمران ٩٦ « ان اول  
بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا ، وهدى للعلمين » وقال ايضا « فيه  
آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من  
استطاع اليه سيلا » الآية ٩٧ وقال في سورة الانفال « وما كان  
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدقة » الآية ٣٥ وقال جل علاه على

لسان ابراهيم الخليل « ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند  
بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة » هذا بالاضافة الى الآيتين ٢٦ و ٢٩  
في سورة الحج و ٣٦ في سورة النور والتي اطلقت كلمة بيت على ما يقصد  
به المكان الذى يعبد فيه الله « المسجد » .

ولنتقل الان الى العوامل التى جعلت اللغة الحالية في العربية تستخدم  
كلمة الجامع كمرادف لكلمة مسجد ، لقد وردت كلمة جامع في منجد  
اللغة معرفا لها بانها كلمة تطلق على معابد المسلمين ولست اتفق ايضا  
مع هذه التسمية وذلك لان كلمة جامع انما هى صفة للمسجد وليست  
مرادفا لها فعندما حوت المدينة العربية اكثر من مسجد او قل ضمت عددا  
كثيرا من المساجد اطلق لقب المسجد الجامع على اكبر هذه المساجد  
وهو المسجد الذى عادة ما كان يضم بين المصلين الحاكم العام للمدينة  
وفي هذا المسجد اقيمت معظم الاحتفالات الدينية دون ان يعنى ذلك عدم  
قيام هذه الاحتفالات في بعض المساجد الاخرى ، حتى صلاة الحاكم  
او الخليفة لم يكن من الضروري قيامها في المسجد الجامع لان التاريخ يحدثنا  
بان الخليفة عبد الرحمن الناصر حينما ضايقه كلام القاضى سعيد بن المنذر  
في خطبة الجمعة بمسجد الزهراء تركه وانصرف الى الصلاة بمسجد قرطبة .  
بعد ان كان قد ترك المسجد الجامع في قرطبة وذهب للصلاة في  
مسجد الزهراء .

اذن بدأت كلمة الجامع كصفة تطلق على المسجد الكبير ثم نتيجة  
للاختصار والسهولة في الكلام استخدمت كلمة « جامع » للدلالة على المسجد

بصرف النظر عن قيمته الدينية او عن المساحة المكانية التي يشغلها هذا الجامع فقيل مثلا الجامع الازهر وهنا اضيفت الى كلمة الجامع صفة اخرى وهى نسبة الجامع الى السيدة فاطمة الزهراء وهنا اصبح من المستحيل او قل من الصعب لغويا القول « بالمسجد الجامع للزهراء » فعرف تاريخيا بالجامع الازهر واعتقد ان الاختصار لاسماء المساجد الجامعة في الكثير من المدن العربية هو الذى اشاع استخدام كلمة جامع نوعا ما فقيل مثلا « جامع قرطبة » اختصارا لكلمة « المسجد الجامع لقرطبة » .

ولم اجد ايضا ما يؤيد القول بان المساجد هى اماكن صغيرة للعبادة في القرى وليس بها الا مستخدم واحد فهناك مسجد الحسين رضى الله عنه بالقاهرة يضم العشرات من العاملين ويقام به من الاحتفالات الدينية ما لا يقام في الجامع الازهر مثلا ، والامر كذلك في مسجد السيدة زينب مثلا ، كما انه يوجد الكثير من المساجد الصغيرة جدا في الاقاليم والقرى ويطلق عليها لقب جامع .

من هنا اريد ان اوضح ان التسمية لا تعنى على الاطلاق الاشارة الى المكانة الدينية ، ولا المساحة ولا نوعية البناء بل انها كلمتان يدلان على مكان اقامة الصلاة يشاركهما في ذلك كلمتا « مصلى » و « زاوية » وان كان لكل منهما نوع من الخصوصية .

في موضع آخر يقول الدكتور الاشعب « لقد اكد القرآن الكريم والحديث الشريف على مركزية الجوامع وذلك لعدم ورود ما يشجع على بناء الجوامع داخل المقابر والنى غالبا ما تقع عند اطراف المدينة العربية » (\*) . ولقد حاولت استخراج كل الآيات التى وردت في القرآن الكريم عن

---

(\*) .المقال المذكور ص ٤٤ .

المسجد او المساجد او بيوت الله فلم اجد فيها ما ينهى المسلمون عن بناء مساجدهم في أى مكان كان ، أو يأمرهم أو يؤكد لهم بناءها في آخر . ولقد جاءت المساجد دائما في مركز المدينة العربية نتيجة لمكاتها الروحية في نفوس المسلمين ومن هنا حرص الحاكم الاسلامى عند قيامه بتأسيس مدينة ما أن يكون أول شيء هو القصر الذى يقيم فيه ، والمسجد الجامع الذى يضم المسلمين حوله ، بل انه من المعروف قديما أنه كان لكل قبيلة مضاربها ، ومسجدها الخاص بها .

ولست أتفق مع الكاتب في تلك التسمية الجديدة التى اطلقها على المساجد . وفي قوله : الا أن تطور وسائل النقل ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية - قد حول هذه الجوامع الى « جوامع متروبوليتانية » حيث قد بدأت تجذب العابدين ليس من المناطق المجاورة فحسب ولكن من المناطق البعيدة (١) .

فلست أعرف استخداما لكلمة « بولينان » الا للشركة صاحبة امتياز استغلال خطوط قطارات الاتفاق في مدينة مدريد والمسماة « متروبوليتان » . واخيرا فلقد لجأ الكاتب الى استخدام كلمات أوروبية في مقاله مع وجود المقابل السهل في اللغة العربية على سبيل المثال كلمة :

مورفولوجية : وهى تعنى ببساطة التركيب . أو التخطيط بالنسبة للمدن . فلقد كان من السهل عليه قول « لقد تأثر تركيب المدينة العربية » بدلا من قوله « لقد تأثرت مورفولوجية المدينة العربية » .

وفي موضع آخر من الصعب الفهم كيف أن القبلة بانت رمزا للشعور بالوحدة الوحدة بالمشاعر الروحية والتوجيه الفيزياوى للمدن العربية .

وفي النهاية فانتى أمل مراجعة المقالات قبل الطبع حيث ان المقال السابق  
ملئ بالعشرات من الاخطاء المطبعية ..

وشكرا جزيلا ..

محمد عبد الحميد عيسى  
الدراسات العليا في التاريخ  
جامعة الاوتونوما - بمدريد







## نشاطات اتحاد المؤرخين العرب

انبثقت الامانة لاتحاد المؤرخين العرب بعد الاجتماع الاول الذي عقده المؤرخون العرب في مايس ( مايو ) عام ١٩٧٤ وقرروا قيام منظمة اتحاد المؤرخين العرب وان تكون بغداد المقر الدائم لها وانتخبوا بالاجماع ايضا الدكتور حسين امين امينا عاما لها ، وبدعم من حكومة الثورة في العراق رسخت الاسس الاولى لتكويناته وشق طريقه من اجل تطوير الدراسات التاريخية وتوحيد جهود المؤرخين العرب في المجالين القومي والعلمي وبذل الامين العام جهدا كبيرا وكرس لها من فكره ووقته غير اليسير متابعا احتياجاتها مشجعا المؤرخين والباحثين الذين يقدمون ابسط خدمة لها كما وأنه يواصل قصارى جهده في سبل تطوير منهاجها الذي يرمي الى رفع المستوى الثقافي لكل العاملين في الحقول التاريخية ، وكان على اتصال مباشر وغير مباشر مع المؤسسات الثقافية ومع بعض الشخصيات العلمية العالمية والعربية المتعاطفة مع قطرنا الناهض والمثمرة لمنجزات حكومتنا الثورية ومع العاملين في حقل الحضارة العربية ومع اولئك الذين كتبوا مواضع في التراث العربي وقدموا بحوثا قيمة ، ان تلك النشاطات من الاهداف الرئيسية التي وضعها الاتحاد امامه لتكوين صلات ثقافية متينة بين مؤرخي العرب والعالم ولتثبيت المفاهيم والمبادئ الاساسية لكبار علماء العالم وايمانا منه بالحضارة العربية ودورها الكبير في بناء المجتمع الانساني وتطويره وازدهاره في شتى حقول المعرفة والعلم وال عمران واعتزازا منه بتراثنا الخالد ومدى اهميته العظيمة في حياة الامة العربية باعتباره ابرز وجه لنشاط وفاعلية الشعب العربي ومساهمته

في تخليد تراث الانسانية . فقد قام الاتحاد بعقد واقتراح ندوات ومؤتمرات عالمية وعربية شارك في قسم منها الامين العام للاتحاد الدكتور حسين امين مشاركة فعلية وفي قسمها الآخر ارسل وفودا لتسليل الاتحاد هناك لغرض بحث ومناقشة ما يدور على ألسنة الباحثين الحاضرين في تلك الندوات ، كما قام الاتحاد بنشاطات اخرى وفيما يلي اهم النشاطات والندوات والمؤتمرات التي قام بها الاتحاد منذ ولادته وحتى الوقت الحاضر :

١ - ندوة احياء ذكرى الرازي التي عقدت في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٧٦ في جامعة عين شمس بالقاهرة .

٢ - اجتماعات الاتحادات العربية الدورية التي عقدت في مقر الجامعة العربية لتسيق الخطط والبرامج الاعلامية .

٣ - مؤتمر الحضارة العربية الذي عقد في الاسكندرية بجمهورية مصر العربية وساهم الاتحاد بمنحة مالية للهيئة التحضيرية للمؤتمر ليتمكنها من اداء مهامها القومية والعلمية .

٤ - اقامة موسم ثقافي في تونس وليبيا والجزائر تلقى فيه مواضيع مختلفة منها ( سمات وملامح الحكم الوطني التقدمي في العراق بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ) و ( القضية الكردية وتمرد الملا مصطفى وما هي الدوافع الاساسية التي ادت الى تمرد ) .

٥ - اقامة ندوة عالمية يحضرها رؤساء الجمعيات التاريخية في ارجاء العالم العربي وكبار الباحثين والمؤرخين العرب والاجانب وقادة السياسة والفكر في الوطن العربي موضوعها « الوحدة العربية »

سياسيا واجتماعيا وثقافيا وذلك هو الهدف الرئيسي الذي نادى به حزب البعث العربي الاشتراكي وأن تكون المناقشة بأسلوب موضوعي وبروح علمية بناءة تخدم الغرضين القومي والعلمي .

٦ - مؤتمر الدراسات التاريخية لشرق الجزيرة العربية لبحث ومناقشة

عروبة الخليج العربي والذي سيعقد في دولة قطر وفي العاصمة

الدوحة يحضره قادة الفكر في الوطن العربي والعالمي وذلك في ٢١/٣/

١٩٧٧ . وبرعاية سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثان أمير دولة قطر .

٧ - اقترح اقامة مهرجان عربي كبير في اسبانيا لمدة اسبوعين في ربوع

غرناطة ومعالم اشبيلية وبين آثار قرطبة حواضر العرب الزاهية ،

تساهم الدول العربية والاسلامية بهذا المشروع الكبير ذي الأثر

الكبير في تعريف اوربا والعالم بما نورا الخالدة وتاريخنا المجيد وذلك

في صيف ١٩٧٨ .

٨ - اقترح عقد حلقة ودراسة حول تنسيق مناهج تدريس التاريخ

في مراحل التعليم المختلفة في الوطن العربي .

٩ - الاتصالات التي قام بها الامين العام لاتحاد المؤرخين مع

المسؤولين بقصد توضيح اهداف الاتحاد وخطته المستقبلية

ودعوته للمسؤولين لدعم الاتحاد واسناده معنويا وماديا لتمكينه

من تحقيق اهدافه في المجالين القومي والعلمي .

١٠ - نجحت الامانة العامة في عقد المكتب الدائم كما ينص قانون الاتحاد

في الجمهورية العربية الليبية وفي مدينة بنغازي في ١٨/١٠/١٩٧٥

وفي مدينة الدوحة بدولة قطر في ١٨/٣/١٩٧٧ وكان برنامجه ينص

على تشجيع وتعضيد البحث العلمي الذي يقدمته المؤرخون  
والباحثون العرب .

١١ - قدمت الأمانة العامة مساعدات مالية للجمعيات التاريخية  
في الوطن العربي .

١٢ - قام الاتحاد بشراء الكثير من الكتب من المؤرخين وإيداع نسخة  
منها في مكتبة الاتحاد وتوزيع ما تبقى منها على الجمعيات التاريخية  
والمؤسسات الثقافية في أرجاء العالم العربي .

١٣ - قدم الاتحاد مساعدات ثقافية للمدرسة العربية في غرناطة .

١٤ - أتاح الاتحاد فرصة للأعضاء لحضور المؤتمرات العربية  
والعالية والمشاركة فيها .

١٥ - استضاف الاتحاد عدداً من الاساتذة الباحثين العرب والاجانب  
من المعنيين في التراث العربي والاسلامي .

١٦ - أصبحت سلطنة عمان والمملكة العربية السعودية ممثلتان كعضو  
في اتحاد المؤرخين العرب .

١٧ - تنفيذاً لأهداف الاتحاد نجحت الأمانة العامة بإقامة مؤتمر  
الدراسات التاريخية لشرقي الجزيرة العربية والذي يحضره  
المؤرخون العرب والاجانب والذي سيجت ويناقش مواضيع  
تاريخية مهمة .

وبالإضافة الى ما ذكر فقد شرع اتحاد المؤرخين العرب بتدوين

الفكر العربي الذي تجود به اذهان المؤرخين وبمواضيع مختلفة بمطبوعاته التي قام بطبعها منذ ولادته كمجلة المؤرخ العربي التي تشتمل على بحوث قيمة ومختلفة ومنها المتناول بين ايدينا ، وطبع كتاب عروبة الاحواز وأسس الاتحاد مكتبة تظم كثيرا من المصادر والمراجع القديمة منها والحديثة لتكون ملتقى الباحثين والمؤرخين ودعمها مادياً لتستطيع اقتناء العدد الكافي من الكتب ، وهناك امور مهمة انتهجها الاتحاد هي الدعوات التي وجهها الى بعض الشخصيات العالمية والعربية لزيارة العراق لغرض اطلاعها على معالم وادي الرافدين الحضارية والاثرية وعلى منجزات حكومة الثورة التي قام بانجازها حزبنا القائد حزب البعث العربي الاشتراكي منذ تسلمه قيادة السلطة . وأخيرا عسى ان يستلهم القارئ أو الباحث ما يروق له من البحوث المنشورة في هذا العدد الذي بين يديه .

بهجت كيطان بشير  
سكرتير اتحاد المؤرخين العرب



23. SHA Aurel. 6.2, "Manu ad ferrum;" above, note 17.
24. And many others; see my article forthcoming.
25. E.g. Amm. 15.8.5, the soldiers scuta genibus illidentes (quod est Prosperities indicium); 16.12.43 and above, nn. 8f.
26. A Study of History, which I know best in its abridgement (1947).  
See e.g. P.122, on Mercia, "exposed to a frontier stimulus from the unsubdued Celts;" 342, Assyria; etc.
27. Euseb., Orat. ad Const. 9.13, of the Tetrarchs; other examples in Art Bull. 46 (1964) 452f.



rich villa owner of Durostorum has trousers as part of his wardrobe, in A. Frova, *Pittura romana in Bulgaria* (1943) 17 and fig. 9, dated to the fourth century, *ibid.* 29; and D. Levi, *Antioch Mosaic Pavements* (1947) 336. *bracae* in Rome by Severan times. For the skaramangion, see F. Cerny, *Byzantion* 2 (1925) 181-192. Compare the Illyrian hat worn by the Tetrarchs in the statues on San Marco, Venice, and in the mosaic of Piazza Armerina, G.V. Gentili, *La villa Erculia di Piazza Armerina* (1959) 70, "official Tetrarchic uniform;" or again, the Celtic "cruciform fibula . . . ., the insignia common to all *chlamydati*," to be seen, for instance, in the famous Madrid *missorium*, J. Heurgon, *Le trésor de Ténés* (1958) 24f. and Pl. 7, 1 and 3; 11, 1.

18. *Arr.*, *Tact.* 35, calls them Scythian; but Lucian, *How to Write Hist.* 29, hesitates between a Parthian and an Iberian origin. Modern scholars likewise hesitate: see C.V. Trever, *Iranica antiqua* 4 (1964) 162-70, choosing Sarmatia, and other *reft.* in MacMullen, *Art Bull.* 46 (1964) 444 n. 44f.
19. *Amm.* 20.4.18. The "dragons" had paraded with Constantius into Rome in 357, *Amm.* 16.10.7.
20. *Vita Const.* 4.7; cf. *Orat. ad Const.* 5.16 (Migne, *Patrol. graeca* 20.1337). ,at5d9 SHCM1
21. *Herod.* 4.7.3; cf. J.P. Wild, *Textile Manufacture in the Northern Roman Provinces* (1970) 131f., gold thread of the third century or later.
22. See my *Soldier and Civilian* (1963) Chap. VII.

9. Veget., Mil. 3.16, drungos, hoc est globos; cf. 3.19, globis, quos dicunt droungos; Joh. Chrys., Ep. 14.2 (Migne, patrol. graeca 52.614); and drungarii by the sixth century.
9. Pauly-Wissowa, Real-Encyclopadie s.v. Spatha (F. Lammert, 1929); Tac., Ann. 12.35; Veget., Mil. 2.15, gladios quos spathas vocant. (
10. Ox. Lat. Dict. s.v.; Corp. Inscr. Lat. 5.536; 7.1002; 13.1081,
11. Arr., Tact. 4.4, "Called kostophoroi," "fighting in the Alan or Sarmatian fashion." Cf. E. Cabba in La Persia cit: 68.
12. B. Rubin, Historia 4 (1955) 273-78; MacMullen, Art Bull. 46 (1964) 440.
13. Amm. 16.10.8.
14. A. Alföldi, Mitt. deutsch. arch. Inst., rom. Abt. 50 (1934) 54.
15. Amm. 15.8.15; cf. 16.12.13,
16. Amm. 14.10.16; cf. 17.1.13,
17. L. Matzulewitsch, Byzantinische Antike (1929) 95ff. For the penetration of trousers from Iranian, "Scythian," or Sarmatian lands, see Herodian 5.3.12. Elagabalus trousered "in barbarian mode;" Scriptorum hist. Aug. (=SHA), Vita Alex. 40.11. the emperor "wore white braccæ not scarlet as they used to be before;" in Roxolani=Sarmatian fashion (cf. Arr., Tact. 34) a

## NOTES

1. 113 B.C. : Plut., Mor. 283F; cf. Livy 22.57.6 (216) for a precedent
2. La Persia e il mondo greco-romano. . . . 1965 (Quaderno 76, Accad. naz. dei Lincei, 1866).
3. For military control of trade, aside from Hadrian's Wall, see Inscr. Lat. selectae 775, *burgus cui nomen commercium, qua causa et factus est*; MacMullen, *Soldier and Civilian* (1963) 58f. Notice also loan words in German tongues, picked up in camp canabae, e.g. 'kaufen' from *caupo*, H. Rosenfeld, *Rhein. Mus.* 95 (1952) 201. On the sense of technological superiority that forbade export of certain items to "barbarians," cf. Dig. 39.4.11 (Paulus), Cod. Just. 4.41.1 (370-375) and 2 (455-57); Procop., *Bell. Pers.* 1.19.24; Cod. Theod. 4.13.8 (381); 7.16.3 (420); 9.40.24 (419; trans. Pharr).
4. *Ant. class* 32 (1963) 552-61.
5. *Diz. epigrafico* (=DE) s.v. *Leugae* (De Ruggiero, 1953). On *braccatus* first as a term of contempt, *Thesaurus ling. Lat.* s.v.
6. J. Carcopino, *Etapes de l'imperialisme romain* (1961) 232f., citing other points of advantage shown by Gallic farming; specifically on the *vallus*, see R. Legros, *Latomus* 30 (1971) 699.
7. Tac., *Germ.* 6, *acies per cuneis componitur*; the first known cuneus is of Frisii under Alexander Severus; thereafter a term in common use (DE s.v.; Cod. Theod. 5.6.1.347).

origin beyond the borders". as I have tried to use it without overtones of judgement on the inferiority of a way of life, then its application must be traced in a geographical sense, slowly moving forward with the Roman advance, lingering for a generation within the army as the Frisii or the Rhaeti are encountered, are absorbed, and are Romanized by the early and more vigorous Principate. In time this vigor waned. The tide turned. Features of life once thrust back by a frontier that had truly "Roman" meaning, now reappear even on the inner side, partly by revival, partly by intrusion. From the third century on, an unbroken cultural spectrum stretches from Italy to Denmark and the Caucasus. Somewhere near its middle point, confusion of cultural loyalties anticipates the confounding of political sense. That was detected by a contemporary of the great Gothic in 376. How many Goths entered? Ammianus (31.4.4f), true Roman, quotes Vergil to us: "Whoever would know, would learn how many are the grains of sand tossed by the winds of the Libyan desert:" And how were they received by the Romans? Their advent, he says, "was cause for more delight than alarm. Adroit praise exalted the good fortune of the emperor . . . . With tumultuous and insistent enthusiasm, turbido insistentium studio, the ruin of the Roman world was ushered in." There was barbarian influence with a vengeance.

e do  
r at  
for  
ices  
ern  
off  
ous  
an  
nt  
ed  
re  
of  
n  
d  
A  
I

the northern edge. As Rome altered even their internal organization by compacting them, so they by their mere presence (to say nothing of their onslaughts in the 200's) altered the empire most profoundly, first, by attracting to their neighborhood a vast concentration of men, money, and political leadership; second, by producing conditions in which their own traits of life could — indeed, to some extent must — flourish. From these two aspects of barbarian influence flowed consequences too many, too complex, even to list. The least Romanized provinces gained predominance, grew wealthy, when other regions were poor, assumed a patron capacity, and thereby set their mark on arts and manners. I may instance the linear quality of the Panticapaem dish or the frostality of the well known Madrid missonium, likewise in silver relief, likewise from the fourth century, likewise depicting an emperor. Liscar and frontal is the art of the period in its very essence. Or I may instance the half-educated, uncouth, often savage note struck in the behavior of the leaders of society, "raging like wild dogs," or the like phrase."

Intangible phenomena of this sort carry us far beyond the visible, manifest signs of cultural change to a level of interpretation equally subjective. Nothing about their source can be decisively proven. Yet one can see, I think, a chain of relationship unbroken that joins so little a thing as the silver in Caracalla's cloak to so fateful an event as the placing of a new capital at Byzantium, with all that entailed for future centuries.

One can see, too, a train of cause and effect hidden in the history of that ambiguous term barbari. If it is to mean "of an

corners of the past — Athens, Alexandria, Carthage, Rome — we do not see history any longer made within their walls but rather at obscurer cities like York, whose palace formed the setting for Caracalla's accession. The bulk of new, vast imperial residences from Trier to Constantinople lay inevitably along the tier of northern provinces.<sup>24</sup> Here were born, lived, and worked the great figures of late antiquity. Different ways prevailed here, needing self-conscious explanation by contemporary writers who addressed themselves to an audience lying in the inner, older, peaceful empire.<sup>25</sup> A different degree of prestige, of energy, of the power to shape events prevailed here, too. In the century and a half or more leading up to the settlement of the Goths in the lower Danube provinces, the edge of the Roman empire became, so to speak, its center. Barbarian influences along this edge therefore transcend in their historical importance the limitations on their territorial settings.

Violent contact along this edge produced profound effects on the outer barbarians. It compacted some of them into larger and therefore more viable units. One such called itself "Everybody" the Alemanni. Another called itself "The March Men." Marcommani call to mind Arnold Toynbee, who has seen so deeply into the stimulus developing at the point of conflict between two peoples.<sup>26</sup>

But the stimulus of course worked in both directions. It is the less familiar direction, from outside inward, that provides my topic, and leads on to an interpretation of greater difficulty.

It seems clear to me that the chief cause of the chief changes in the later empire was the threat offered by the barbarians along

with his role as champion of all that he thought purest and oldest in the classical heritage. The contrast was resolved within the man. In the delicate shading of cultural varieties across the face of the empire, it was inner colors that Julian sought to preserve, although himself obliged to live among the peripheral shades that blended into outer barbarism.

It must be conceded that the data presented thus far - equipment uniform, and so on - indeed prove barbarian influence, but only in limited contexts. Their contexts are all in some sense military, either by reason of place — near the borders — or by reason of role, where the emperor appears amidst his troops or as a conqueror. On the silver plate from south Russia, he is triumphing. In his very palace, he remains the empire's commander in chief, surrounded by castrenses, even his civilian agents wearing the army cingulum, and so forth.<sup>(22)</sup> Militarization of late Rome is a well known phenomenon. No person reflected it more clearly than the person whose fate hung on his army's will, the emperor. And an emperor like Tacitus, so briefly on the throne, so civilian, so thoroughly Roman a failure, demonstrated the truth about this to his cost.

On the other hand, consider such successes as Caracalla, bearing a nickname and clad in various items that derived from the camp. Consider Aurelian, called "Hand on-hilt" by his men, or the Tetrarchs, shown in the famous porphyry group at Venice literally, each one grasping their swords and wearing the round hats of their Pannonian countrymen.<sup>23</sup> Their point of origin is instructive. From Caracalla on to the battle of Hadrianople, if we look at the four

official, settings, in camps and palaces. The triumphant thrust of Frisii, Rhaeti, Roxolani, or Sarmatae is most easily detected in the body of the empire through this kind of tangible or visible evidence. That such evidence demonstrates barbarization on a significant scale and strongly suggests an accompaniment of invisible influences, is clear. Nevertheless, there is an unsatisfactory, shallow quality to the survey so far. An historian should be able to rise above trappings to the higher implications of cultural transfer.

To attack problems of a greater degree of difficulty, then, I may recall what was said earlier about the word "Roman" as opposed to "barbarian." While it may be defined in various ways for any any chosen period, and while each definition is permissible if it is explicit, I think the word by itself alone is too ambiguous to be useful in interpretation. The shading of differences shifts too subtly and gradually from Italy to a hundred miles beyond the frontier, making the empire's circuit walls purely political, military, or symbolic, but culturally meaningless. We can speak only of degrees of approximation to life as it was lived in Italy in, for example, the reign of Hadrian. In that sense I use the term "Roman" in my title.

For historians, this semantic cloudiness in itself, however, holds great meaning. It reminds us of the immensity of the pax Romana, the immensity of its tolerance. In the tableau of Julian's accession, such overt features as the torque placed on his head or the serpent banners waving above his army contrast most sharply, most curiously,



From the same Sarmatians -- at least, from the area of south Russia and northern Iran -- derived the use of banners of right fabric and hollow construction which the wind could inflate.<sup>1\*</sup> They were called serpents, dracones, thier bearers draconarii; and it was very suitably a dracinarius who donated his gold neck-band to fit out Julian for coronation ceremonies.<sup>1\*</sup>

Eusebius tells us, "I myself have sometimes stood near the entrance of the imperial palace and observed a noticeable array of barbarians in attendance, differing from each other in costume and decoration....All of them in turn would present to the emperor those gifts which their own nation held in most esteem, some offering....barbaric garments embroidered with gold and flowers." "What is especially interesting is to find Eusebius earlier describing Constantine as clad in exactly these same garments "embroidered with gold and flowers." We can go back to Caracalla in "the costume of the Germans, in the kind of cloak they wear, decorated with silver." Better to go forward to the whole fourth century and thereafter into Byzantine times, when gold and silver thread belonged to ruler and great officials as almost a sign of their rank.<sup>21</sup>

I have thus far dealt with hats, pants, brooches; with banners, spears, swords, shields; with actions portrayed in our sources, of a cavalry charge or a coronation; thus, with things one could see. I have traced them in a series moving from west to east from the mouth of the Rhine to the Sea of Azov. And shown their presence in what should be purely Roman, at least formal and

ritual. He could expect to be applauded by his supporters not in any way that Augustus could have recognized but by their "striking their shields against their knees with a terrible clash,"<sup>15</sup> and in his very treaties with their borthers opposed to him, he would conclude an amistice "according to barbarian fashion."<sup>16</sup>

Who in such ceremonies was truly Roman? Was it Julian, surrounded by wild tribesmen of exotic speech and origin, his uniform distinguished by their own insignia of rule, his reign begun by alien rites of coronation?

When it is the emperor that is involved, dress assumes historic significance, as much felt by his subjects as if today the head of some western democracy were to appear on state occasions in a costume taken from the Orient. That would excite comment. A silver dish from *panticipaeum* illustrates the point. It bears a picture in relief of a diademed ruler, to be identified as Constantius. Shown triumphans, he is nevertheless in the Sarmatian mode astride a horse, wearing riding trousers and the riding coat that later was taken over as the Byzantine *skaramangion*.<sup>17</sup> We have no way of knowing who made this picture, or for whom. It cannot have been produced in a spirit of caricature — at worst, it merely anticipated a development that was accomplished by the next century. But the symbolism of dress was sensed and alien modes still resisted as late as Honorius' reign (Cod. Theod. 14.10.2f., A.D. 399). It forbade trousers to be worn in the capital, meaning Rome. Doubtless in Constantinople change had already passed beyond the reach of legislation.

"wedges" and cuneus developed into a term of general use.<sup>7</sup> Similarly another formation began its history as a Celtic word, drungus.<sup>8</sup> The long Germanic sword was nick-named "spatula" (spathe, Latin *spatha*) and spread by the second century from auxiliaries to the regular army, producing units of *spatharii*;<sup>9</sup> the heavy spear of the Gauls, Celtic *gaesum*, enters Latin as a word to be used in literary works by the late Republic, giving a name to its native users in the army, the *gaesati* of Rhaetia from Augustus on:<sup>10</sup> light spear troops were specially recruited from Celts and Sarmatians;<sup>11</sup> and fully armored mounted *aschers* worked their way from China into the Middle East and thence into Roman service by the second century, providing a spectacular sight in parades and spectacular victories from the later third century onward.<sup>12</sup> They entered Rome in the train of Constantius in 357, "masked, breast-plated, girt with iron belts, whom you might take not for men but for statues polished by Praxiteles."<sup>13</sup>

The history of this entire development is as rich as it is familiar. So also is the derived history of the army's effect on other institutions. At all periods and especially in the latter empire the army occupied a prominent position in the state, providing a means by which people from outside could indirectly produce changes in what should have been the innermost fastnesses of conservatism. Julian was probably not the first emperor,<sup>14</sup> and certainly emblematic of future practices, to be lifted to the throne literally on a shield crowned by a gold neckband, wholly according to Germanic warrior

deep within the longest settled parts of Gaul, are we to consider this a proof of barbarization? If the custom of wearing trousers penetrated from Gallia braccata into Italy, have the Romans descended -- as we ourselves, then -- to a cruder fashion?<sup>5</sup>

And what are we to say about the mowing machine native to Remi, certainly a more advanced device than could be found at the heart

of the empire?<sup>6</sup> In raising these questions, we must also raise the degree of difficulty in our discussion; for obviously the Gauls by the third century cannot be called barbari even if we were unwilling to call them Roman. Yet their peripheral civilization asserts its own personality at the expense of the central. A serious problem of method begins to appear. We cannot very well contrast the two cultures, Roman and alien, without agreeing on the definition of the former.

But to return to points of contact between the two: besides the peaceable points through immigration and commerce, there was a third, the military. Aliens made their deepest impress bearing arms. Enrolled in contingents sent by client states during the second century B.C., as irregular troops in the later Republic, as auxilia under the Principate, and as elite as well as regular soldiers under the Dominate, they gradually worked their way upward in the defense system of the empire. In the process they profoundly affected the nature of equipment tactics, and terminology. Attack by cavalry formation in wedge-shape was so peculiarly Germanic that some of Rome's Germanic mounted units as such came to be called

to them," in the Black Sea region, are warned that to do so is a capital crime.<sup>5</sup>

Second, note the intrusive settlements of alien tribes en masse or at least in substantial numbers admitted to districts sparsely inhabited and therefore militarily weak. I have described archeological evidence elsewhere. While some is found as far south as Auvergne the vast bulk lies close to the Rhine and Danube; association with camps and forts is usually close.

What strikes us about both large-scale immigration and the exchange of goods at trading stations is the manifest preeminence of the empire, which during its height drew in nothing to speak of that it could not equal or surpass from its own capabilities, until in its decline, its northwestern border regions sank close to the level of the intruders. Not before then, from the third century on, can we see barbarian pottery, grave-ornaments, or burial customs able to maintain themselves or even, to inspire imitation within the frontier. And such intrusive enclaves are properly viewed as presursors to the great invasions heralded in 376.

The later empire, however, saw in its north and northwestern provinces a more subtle and pervasive rapprochement to a middle ground with barbarian culture. For reasons not easy so to determine, a sort of revival of pre-conquest days appears in art, costume, and so forth. Before leaving these provinces we should note the fact and bear in mind its implications. If good, government-built highways bore milestones marking leugae, the Celtic unit of distance,

purposes. From the African peoples that filled the vacuum left by the Punic wars, as from the native tribes and kingdoms left bare in Spain by the Punic retreat, Rome borrowed only mercenary support from the Gauls, during the Republic, Rome likewise borrowed only troops - plus the two captives to be used in human sacrifice at a time of national hysteria.<sup>1</sup> Since in the same ritual two Greeks as well were buried alive in the Forum Boarium, the Romans were demonstrating a fine indifference to levels of culture as late as the days of Marius; nor is it clear in this incident just whom we should call "barbarian" - probably the senators themselves.

The period of the Republic, then, and the areas to the south and west of Italy we may in this rapid survey dismiss without further attention; likewise the east, whose more ancient peoples the Romans could hardly call inferior and whose impact on Rome was investigated ten years ago in yet another international meeting of scholars.<sup>2</sup> It is the period of the empire and the whole range of peoples from Scotland to south Russia that will repay study.

Among the influences they exerted, the simplest to describe are the material, uncovered by archeologists. We may imagine the various contexts in which objects of import might be found: first, the trading posts at carefully controlled points along the frontier, in which were received only raw materials to be manufactured into more refined articles by a superior technology. Rome's consciousness of superiority shows in many decrees. Exportation of iron, grain, or arms was forbidden. Skills, too: "Those persons who have betrayed to the barbarians the art of building ships, that was hitherto unknown

## BARBARIAN INFLUENCE ON ROME

### BEFORE THE GREAT INVASIONS

Professor T. R. S. Broughton, to whom Roman studies owe so much, suggested my topic. In addressing myself to it, I would like to invoke the rules of another kind of international meeting, the modern Olympic games, where ice-skaters, gymnasts, or divers are judged not by failure or success but according to the degree of difficulty of what they attempt.

For the topic turns upside down the conventional way of looking at "Le rayonnement des civilisations grecque et romaine sur les cultures peripheriques" -- on which an earlier international congress concentrated. What emerged more clearly from that joint effort of classical archeologists in 1963 was the extent and depth of contact between the Mediterranean world and its neighbors. Yet so much contact, despite the predominance of the Greeks and the Romans, cannot have been a one-way street. It would be reasonable a priori to suppose that Greeks and Romans adopted some features of life as it was lived beyond their borders.

I may most conveniently treat the evidence in an Olympic fashion, according to degree of difficulty. Relatively easy is the marking off of periods and areas that hold little of use for my



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



**BARBARIAN INFLUENCE ON ROME  
BEFORE THE GREAT INVASIONS**

